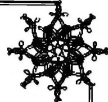


عَلِيٌّ فِي الْقُرْآنِ

كتاب يبحث في الآيات النازلة
في حق الإمام عليٍّ عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام
الجزء الأول والثاني



عبد الأمير حسن كاشغول



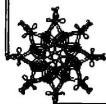
عَلَى فِي الْقُرْآنِ

كتاب يبحث في الآيات النازلة
في حق الإمام عليٍّ وأهل بيته

الجزء الأول

شبكة كتب الشيعة

بقلم
عبد الأمير حسن كشكول



shia-books.net

رابطہ بدیل < mktba.net



المؤلف : كشكول، عبدالامير حسن.
العنوان و المؤلف علي في القرآن : كتف يبحث في الآيات النازلة في حق الامام علي وأهل بيته (ع)
عبدالامير حسن كشكول
الناشر : قم : دار الكتف لسلامى ١٤٣٠ ق = ٢٠٠٩ م = ١٣٨٨ .
الكتفة : العربية .
التسلسل الرقمي: BP BP ١٠٥٨/١٣٨٨ تسلسل نويى: ٢٩٧/١٥٩ رقم الاداع بالمكتبة الوطنية: ١٨٣٦٠٩٢
الترقيم الدولي : 978-964-465-289-9

جميع حقوق الطبع محفوظة و مسجلة

الكتاب : علي (ع) في القرآن
المؤلف : عبد الأمير حسن كشكول
الناشر : مؤسسة دار الكتاب الاسلامي
الطبعة : الاولى ١٤٣٠ هـ ق / ٢٠٠٩ م
المطبعة : ستاره
عدد المطبوع : (١٠٠٠) نسخة
الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٦٤-٤٦٥-٢٨٩-٩

مركز التوزيع

مؤسسة عاشوراء قم المقدسة هاتف ٦٦١٨٩٤١-٢٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

صدق الله العلي العظيم

البقرة : ٢٨٦

الله هدى

إليك يا سيد الوصيين وإمام المتقين ويعسوب المؤمنين
وقائد الغر المحجلين ...

إليك يا سيدي يا أمير المؤمنين ...

وإلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين، أئمة الهدى،
ومصاييح الدجى، وأعلام التقى، ومنار الهدى،
وذوي النهى، وكهف الورى، والعروة الوثقى،
والحجة على أهل الدنيا ...

اهدي هذا المجهود المتواضع

عبد الأمير كشكول

حديث نبوي

من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكماً الأيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله في قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة^(١) .

(١) فتح القدير ج ٤ ص ٥٢٢ ، تفسير الرازي ج ٧ ص ٢٧٤ ، وتفسير الكشاف ج ٣ ص ٤٠٢ بتاييد المودة ص ٢٩ .

تقديم الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفت على بحث الأستاذ عبد الأمير حسن كشكول الموسوم "علي في القرآن" وتتبعته منهجيته من خلال السور والآيات الكريمة التي نزلت للإمام علي عليه السلام. فوجدت فيه جهداً علمياً كبيراً، ورؤية واضحة، لشخصيته وتبعه للمصادر والمراجع، مستخدماً التفاسير الأولية والثانوية، وكتب الحديث الأساسية، إضافة إلى كتب التاريخ، والسيرة والفقه والأصول والعقائد، وبرز جهده في الموارد التي تختلف فيها الآراء، وتشابك الروايات، فيستخدم لفظه: أقول ولا شك أن رأيه هذا سوف يصبح عرضه للنقد العلمي وفق قناعة القارئ أو معارضته إياه، وهذا سوف يضيف على البحث بعداً علمياً جديداً. ولعل من أبرزها عدم رجوعه إلى كتب اللغة في تفسير المصطلحات اللغوية الواردة في النصوص، وإنما اكتفى بتحصيله اللغوي والثقافي وكان عليه الرجوع إلى المصادر الواردة في مضامين البحث مباشرة دون الاعتماد على النقولات منها، لأن احتمال التصحيف والإسقاط وارده فيها، وهذا مما يعزز قيمة البحث العلمي، وقد يضيف مادة جديدة، وقد كان الباحث يكتفي بالقول: "نقلاً عن" ويمكن استخدام ذلك إذا كان الأصل مفقوداً أو مخطوطاً في موضع لا يمكن الوصول إليه. ويبقى بحث الأستاذ عبد الأمير جديداً في تتبع الآيات الكريمة النازلة في حق أمير المؤمنين عليه السلام بدءاً من فاتحة الكتاب وحتى نهايته، ولا شك أن المرحوم آية الله الشيخ محمد حسن المظفر في كتابه: "دلائل الصديق" قد تناول هذا

الموضوع ، وقد استفاد منه المؤلف وأضاف إليه كثيرا ، وقد أخرجه بمنهجية جديدة ومما يلاحظ بالمؤلف انه كان محايدا في بحثه، فلم تطغ عليه العواطف أو الميول العقائدية، وهذه من سمات الباحث المنصف الجاد ، إذ نحن بحاجة إلى مثل هذه الدراسات، لان الدراسات القرآنية قياسا إلى غيرها من الدراسات الإنسانية قليلة، وان أي نتاج علمي يتناول القرآن الكريم يعد إضافة للمكتبة العربية، فأرجو من الله تعالى أن يحقق للباحث دراسات أخرى في المستقبل ومن الله تعالى التوفيق .

الأستاذ الدكتور حسن الحكيم

النجف الأشرف

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

تقديم

السيد حسين أبو سعيدة الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وكفى وصلاة على النبي المصطفى وآل بيته من آل المرتضى وبعد :
 هذه الفرصة الثانية التي بها أطلعت على هذا المخطوط الثمين الشامل على الآيات الشريفة النازلة
 في حق إمام الهدى والتقى مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .
 قد وقفت على جهود كبيرة قد صرفها الأستاذ القدير عبد الأمير الحاج حسن كشكول
 الحساني في تحرير هذه الدراسة القيمة . وتعبيراً منه للولاء التام لآل البيت عليهم السلام .
 ولا شك بأن الأخ الأستاذ سيشارك غيره من المحققين في تغطية حاجة المكتبة الإسلامية
 الملحة لكثير من الإصدارات في مجالات عديدة .
 أبتهل من الباري تعالى أن يرزق المؤلف حفظه الله قلساً يتفجع المسلمون بمداذه خدمة
 للدين الحنيف، فبارك الله تعالى له هذا المجهود وبه وعليه، أنه ولي كل توفيق .

حسين أبو سعيدة الموسوي

النجف الأشرف

٢١ ذ.ق ١٤١٩ هـ

مُتَلَمِّمَاتُ

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء وخاتم المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين بحبهم نرجو النجاة غداً لأنهم سفن النجاة إلى شاطئ الأمان، فمن اهتدى بهداهم وسلك طريقهم فإلى الجنة مشوا، ومن تخلف عنهم فإلى النار مهوا.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اهتدوا بالشمس فإذا غابت الشمس فاهتدوا بالقمر فإذا غاب القمر فاهتدوا بالزهرة، فإذا غابت الزهرة فاهتدوا بالفرقدين، فقليل: يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان؟ قال: الشمس أنا، والقمر علي، والزهرة فاطمة، والفرقدان الحسن والحسين عليهما السلام^(١).

لقد نزلت في علي أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته آيات من القرآن الكريم وهذا يدل على أن لأهل هذا البيت عظمة عند الله ومكانة لم ينلها أي مخلوق في الدنيا كيف وان الكائنات خلقت من اجلهم فقد خلق أهل البيت قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق ادم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم أودع ذلك النور في صلبه فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففي النبوة وفي علي الإمامة^(٢).

(١) رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٥٩، معاني الأخبار ص ١١٤. كما ذكره الطوسي في أماليه ص ١٣٠ بسند آخر.

(٢) ذكره القندوزي في بتابيع المودة ص ١١١.

كيف لا وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكمة، فمن كانت له هذه المنزلة عند الله والعظمة، حتى أن آدم ونوحاً عليهما السلام توسلا إلى الله تعالى بهم. وإن الله سبحانه وتعالى حباهم بهذه المنزلة الرفيعة فكرمهم وفضلهم فكان تكريمه لهم أن نزل آيات من القرآن المجيد تشيد بفضلهم ومكانتهم .

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام اعلم الناس بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأهل البيت أدرى بالذي فيه وهو القائل سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به وسلوني عن كتاب الله فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم أين نزلت بليل أو نهار أو بسهل نزلت أو في جبل^(١) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً ونهاراً وكنت إذا سألت أجنبي وإن سكنت ابتدأني وما نزلت عليه آية إلا قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها ودعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علمني إياه ، فما نسيت من حرام ولا حلال وأمر ونهي وطاعة ومعصية ولقد وضع يده على صدري وقال: اللهم املا قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً ثم قال لي: اخبرني ربي عز وجل انه قد استجاب لي فيك^(٢) .

ولما نزلت هذه الآية **﴿لِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** فتلاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه فتمعجوا من ذلك تعجباً شديداً فقال النبي ﷺ : منها تتعجبون أن القرآن أربعة أرباع فربع فينا أهل البيت خاصة ، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وإحكام، وإن الله انزل في علي كرائم القرآن^(٣) .

(١) رواه الحسكاني في شواهد التنزيل ص ٣١ والقندوزي في ينابيع المودة ص ٧٩ .

(٢) كفاية الطالب ص ١٩٩ . حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥ . الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤ .

(٣) سورة مريم / ٩٦ .

(٤) كنز العرفان ج ١ المقدمة . كما رواه ابن المغازلي في المناقب الحديث ٣٧٨ .

فلم تنزل آية في القرآن الكريم فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا كان لعلي لها ولهاها وقد روى ابن حجر في الصواعق انه نزل في علي وحده ثلاثمائة آية، فلو غرو فأنهم وإياه الشقيقان لا يفترقان فهم المصطفون من عباد الله السابقون بالخيرات بأذن الله، الوارثون كتاب الله..

فهل بعد كل هذه الفضائل وهذه الكرامات التي حباها الله لأهل البيت يدعي مدع بأنه لم تنزل آية واحدة من القرآن الكريم عليهم، وما قوله هذا إلا بدافع الحقد على آل البيت الذين خصهم الله بالولاية وازهد عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فليعد القارئ آيات هذا الكتاب ليقف على حقيقة البهتان، وعلى سورة النصب والشنآن.

أليسوا حبل الله الذي قال: ﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١). وقال ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾^(٢). ألم يجعل المغفرة لمن تاب وأمن وعمل صالحاً مشروطة بالاهتداء إلى ولايتهم إذ يقول الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٣) ألم يكن إكمال الدين إلا بعد تنصيب الإمام علي عليه السلام خليفة من بعده حيث قال: ﴿الْيَوْمَ اكْتَلَفْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نَفْسِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤). ألم يكونوا جزءاً من الصلاة المأمور بها، قال سبحانه وتعالى: ﴿لِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتِهِ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٥).

قال الرازي في تفسيره: أن الدعاء منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، وقوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمداً وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب^(٦).

(١) سورة آل عمران / ١٠٣.

(٢) سورة الأنعام / ١٥٣.

(٣) سورة طه / ٨٢. (٥) سورة الأحزاب / ٥٦.

(٤) سورة المائدة / ٣. (٦) تفسير الرازي، ج ٧، ص ٣٩١.

وذكر ابن حجر في الصواعق : أن النبي ﷺ قرن الصلاة على اله بالصلاة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه، ثم قال: وهذا دليل على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته واله عقب تزولها ولم يجابوا بها ذكر فلما أجيب به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه صلى الله عليه واله وسلم أقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد في الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم.

ويروى لاتصلوا علي الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون : اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد". فطوى لهم وحسن ما ب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب.

وقد بذلت جهداً فبحثت عن كل آية نزلت في أهل البيت عليهم السلام في بطون التفاسير والصحاح والسنن والمراجع الأخرى ما تيسر لي ذلك فكان هذا حصيلة ما نقلته من تفاسير الآيات النازلة بحق أهل البيت، ولا أقول بأني قد أحصيت كل الآيات التي نزلت بحقهم فربما قد فأتني منها شيء كثير لم استطع العثور عليها في مصادر أخرى.

ولكن ما توصلت إليه من الآيات عدداً كبيراً وهذا يدل على كرامة أهل البيت وعظمتهم عند الله. وذكرت لكل آية رواية أو عدة روايات تدل على أن الآية نازلة بحق أهل البيت عليهم السلام مع ذكر سند الرواية والمصدر الذي أخذت منه الرواية لتسهيل على القارئ مراجعة المصدر إذا أراد ذلك كما ذكرت في نهاية كل آية تعليقاً خاصاً دعماً للروايات التي تثبت نزول الآية بحقهم، وهذا التعليق أطلقت عليه بـ (أقول).

وقد رتب الآيات القرآنية حسب ترتيب السور الموجودة في القرآن الكريم ابتداءً من سورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس.

هذا وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملي، ويتجاوز عن خطأي وزللي ويجعل
أجري عليه تخلص رقبتني من النار في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ومن الله نستمد العون
والتوفيق انه نعم المولى ونعم النصير.

والى ذلك فليتنافس المؤمنون

عبد الأمير حسن كشكول

الأول من رجب / ١٤١٦



«أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»

(الفاتحة ٦)

دلت الآية الكريمة على أن المقصود بالصراط هو أمير المؤمنين عليه السلام، فقد وردت روايات كثيرة تدل على ذلك منها :

١- عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام : (أنت الطريق الواضح وأنت الصراط المستقيم وأنت يعسوب المؤمنين)^(١).

٢- وعن الصادق عليه السلام كما في الفقيه وتفسير العياشي قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٢).

٣- أخرج الثعلبي في الكشف والبيان في قوله تعالى: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» قال مسلم بن حيان: سمعت أبا بريدة يقول: صراط محمد واله^(٣).

٤- وعن الباقر عليه السلام: عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يجرى على الصراط كالريح العاصف ويلج الجنة بغير حساب، فليتلّ وليمي ووصي وخليفتي على أهل على بن أبي طالب عليه السلام، ومن سرّه أن يلج النار فليترك ولايته، فوعزة ربي وجلاله أنه لباب الله الذي لا يؤتى إلا منه: وأنه الصراط المستقيم وأنه الذي يسأل عن ولايته يوم القيامة^(٤).

(١) رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٥٨.

(٢) ذكره الميزان في تفسير القرآن ج ١ ص ٣٩. كما ذكره البحراني في غاية المرام ص ٢٤٦.

(٣) الغدير ج ٢ ص ٣١١، غاية المرام ص ٤٢٦. كشف الغمة ج ١ ص ٣١٦.

(٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ٥٨.

٥- أخرج الخوارزمي في المناقب: الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة. فأما صراط الدنيا فهو علي بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة فهو جسر جهنم، من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة^(١).

٦- أخرج شيخ الإسلام الحموي بإسناده في فرائد السمطين في حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: نحن خيرة الله: ونحن الطريق الواضح أو الصراط المستقيم إلى الله^(٢).

أقول:

الصراط المستقيم هو الصراط الذي يصل بسالكه إلى النعيم الأبدي، وإلى رضوان الله، وهو أن يطيع المخلوق خالقه، ولا يعصيه في شيء من أوامره ونواهيه وإن لا يعبد غيره وهو الصراط الذي لا عوج فيه. ((فعن الصادق عليه السلام قال: الصراط هو الطريق إلى معرفته عز وجل وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة. فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض في الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى به مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه على الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم))^(٣).

فالذي تقتضيه الآية أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح والحجة الصادقة، والطريق السوي للوصول إلى طريق النجاة. ولما كان أهل البيت عليهم السلام هم سفن نجاة الأمة، وباب حطتها، وأمانها في الاختلاف في الدين، وأعلام هدايتها وثقل رسول الله وهم الولاية والهداة، والدعاة والسقاة والحماة، وجهم طريق النجاة وعين الحياة: وهم السبيل والسلسيل والمنهج القويم والصراط المستقيم، فإن الآية دالة على أنها في حق علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

(١) الغدير ج ٢ ص ٣١١.

(٢) الغدير ج ٢ ص ٣١٢.

(٣) مواهب الرحمن ج ١ ص ٥٠.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

(البقرة ٢)

١ - عن أحمد بن عبد الله الدقاق ببغداد، عن عبد الله بن ثابت المقرئ: قال: حدثني أبي، عن الهذيل بن حبيب بن أبي صالح: عن الضحاك: عن عبد الله بن عباس في قول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني لا شك فيه أنه من عند الله نزل (هدى) يعني بياناً ونوراً (للمتقين) علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لم يشرك بالله طرفة عين، اتقى الشرك وعبادة الأوثان، واطلص لله العبادة يبعث إلى الجنة بغير حساب هو وشيعته^(١).

أقول:

التقوى هي الصفة المثل التي يتصف بها الإنسان الكامل، لأنها ملازمة ذكر الله تعالى ليلاً ونهاراً. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده سلام الله عليهم أجمعين ملازمين العبادة والإيثار والخشوع والخضوع والقيام بحوائج الناس ملازمة لا يضاھيهم فيها أحد: فهم حقاً قادة البشر أجمع، إذ هم بكماھم النفسي يوجهون النفوس البشرية نحو الكمال المنشود، ومن سواهم لا يقوى على ذلك لأن فاقده شيء لا يعطيه. فالإنسان يقاس بتقواه لا بحسبه ونسبه. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢). وقال بعضهم: (التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك^(٣)). وهذه الصفة لا يتصف بها إلا الأنبياء والأوصياء، فعلى بن أبي طالب عليه السلام من هؤلاء المتقين الذين وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم.

قال العلامة الحلي ما نصه: فانتفاء الريب والشك من جميع الوجوه وفي جميع الأزمان يلزم عنه وجود معصوم يعلم جميع مدلولات القرآن يقيناً، فلا يكون فيه ريب ولا شك في أي

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٦٧. مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٧٩، رواه قريباً منه.

(٢) سورة الحجرات / ١٣.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ٣٧.

دلالة من دلالات ألفاظه أو معنى من معانيه، وكيف يتم للمتقين الهدى أن تعددت الآراء في كتاب الله^(١).

فالآية الكريمة تدل على أن القرآن هو الكتاب الصامت الذي لا شك فيه، والولي هو الكتاب الناطق، فأينما كان الكتاب الناطق كان الكتاب الصامت، فالولي هو الكتاب، وعلي هو الولي. فعلى هو الكتاب المبين والصراط المستقيم، فهو الكتاب وأم الكتاب، ونفصل الخطاب، وعنده علم الكتاب، وويل للمنكر والمرتاب^(٢).

(١) كتاب الألفين ص ٦٢ .

(٢) مشارق أنوار اليقين ص ١٢٣ .

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

(البقرة ٥)

روى الحاكم الحسكاني في عدة روايات وبأسانيد مختلفة عن سلمان الفارسي تدل على أن المقصود في هذه الآية في قوله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام وحزبه، ومن هذه الروايات:

١- عن عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب قال: قال لي سلمان الفارسي ما طلعت على رسول الله ﷺ يا أبا حسن وأنا معه إلا ضرب بين كنفَيَّ وقال: يا سلمان هذا وحزبه هم المفلحون^(١).

أقول:

الفلاح بمعنى الفوز وصلاح الحال والنجاة، أي فازوا بثواب الله الذين صدقوا بالله وبوحدانيته وبرسله.

يقال: افلح الرجل: فاز وظفر بما طلب ونجح في سعيه. وقيل: معنى افلح بقي: أي بقيت أعمالهم الصالحة.

والفلاح الظفر وإدراك بغيه، وذلك ضربان: دنيوي وآخروي، فالدنيوي: الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز بلا ذل، وعلم بلا جهل، لذلك قيل: لا عيش إلا عيش الآخرة.

(١) شواهد التزليل ج ١ ص ٦٧.

فالمفلحون في هذه الآية هم المؤمنون الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى وبشرهم بنيله
قال تعالى: ﴿قد افلح المؤمنون﴾ فالمراد بذلك هو الظفر بالسعادات والفوز بالحق والغلبة على
الشقاء وإدحاض الباطل في الدنيا والآخرة .

ولما كان أمير المؤمنين ~~عليه السلام~~ قد اجتمعت فيه كل صفات الكمال والخير والفلاح
والنجاح بما أعطاه الله تعالى من غزارة العلم والعرفان واتصف بأعلى درجات الأيمان وذلك ما
يؤهله إلى أن ينال الولاية الكبرى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمِ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾

(البقرة ١٣)

١- عن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ قال: علي بن أبي طالب، وجعفر الطيار، وحمة، وسلمان، وأبو ذر وعمار ومقداد وحذيفة بن اليمان وغيرهم^(١).

أقول:

أن أول من آمن برسول الله ﷺ هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد بعث النبي يوم الاثنين وصلّى علي يوم الثلاثاء. هذا ما ذكره الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١١، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢، وغيره من المصادر من كلا الطرفين.

فإن إسلامه عليه السلام مما ثبت بالطرق الصحيحة والرجال الثقة، والحفاظ حكموا بصحته، وأرباب السير أطبقوا عليه. وكان من المتسالم عليه بين الصحابة الأولين والتابعين. ومن أراد المزيد من النصوص النبوية والروايات والأحاديث الدالة على صحة أسبقية علي عليه السلام فليراجع كتاب الغدير للأميني ج ٣ ص ٢١٩ وما بعدها.

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام المثل الأعلى للإيمان بالله تعالى وعبادته وطاعته حيث كان إيمانه صادراً عن معرفة تامة بمعنى العبودية لله تعالى: وعن إخلاص صادق لحب الله تعالى، وامثال أوامره ونواهيه، حتى انفرد عليه السلام بكلمته المشهورة التي لم يقلها أحد سواه حيث قال عليه السلام: ((الهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك))^(٢). ثم أن إسلامه كان جارياً من روحه كما تجرى الأشياء من معادنها والمياه

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٧١.

(٢) مرآة العقول ج ٢ ص ١٠١.

من يتابعها، لأنه من معدن الرسول مولداً ونشأة، ومن ذاته خلقاً وفطره، أنه إسلام أتبع له أن
 ينشأ على حب الخير وينمو في رعاية النبي ويصبح إمام العادلين وربان السفينة في غمرة
 العواصف والأمواج.



﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾

(البقرة ١٤)

١ - عن الهذيل، عن مقاتل، عن محمد بن الحنفية قال: بينما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد أقبل خارج المدينة ومعه سلمان الفارسي وعمار وصهيب والمقداد وأبو ذر، إذ بصريهم عبد الله بن أبي سلول المنافق ومعه أصحابه، فلما دنا أمير المؤمنين عليه السلام قال عبد الله بن أبي: مرحباً بسيد بني هاشم وصي رسول الله وأخيه وختنه وأبي السبطين الباذل له ماله ونفسه، فقال: ويلك يا ابن أبي أنت منافق أشهد عليك بنفاقك. فقال ابن أبي: وتقول مثل هذا لي؟ والله أنا لمؤمن مثلك ومثل أصحابك. فقال علي عليه السلام: نكلتك أمك ما أنت إلا منافق. ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما جرى فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. يعني وإذا لقى ابن سلول أمير المؤمنين المصدق بالتنزيل قالوا: آمنا: يعني صدقنا بمحمد والقرآن، وإذا خلوا إلى شياطينهم من المنافقين قالوا: أنا معكم في الكفر والشرك، إنما نحن مستهزون يعني بن أبي طالب وأصحابه. يقول الله تعالى تبكيثا لهم: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يعني يجازيهم في الآخرة جزاء استهزائهم بعلي وأصحابه (رض).^(١)

أقول:

أن الآية تدل على منتهى إيمان الإمام علي عليه السلام ظاهراً وباطناً وعلى قطعه موالاته المنافقين وإظهار عداوتهم وأنه يعرفهم بمجرد اللقاء معهم والتحدث إليهم، لأن المنافقين إذا رأوا المؤمنين ﴿قالوا آمنا﴾ وصدقنا بمحمد وبما أنزل على محمد كما صدقتم، وإذا خلوا إلى

(١) سورة البقرة: ١٥.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٧٢. كما ذكره كشف الغمة ج ١ ص ٣١٢ عن ابن عباس مع اختلاف في العبارات.

شياطينهم قالوا: إِنَّا مَعَكُمْ وَعَلَى دِينِكُمْ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤْنَ﴾ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَنَسْخَرُ بِهِمْ وَقَدْ نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الاسْتِهْزَاءِ وَالسَّخَرَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَحْتَرَمُوا غَيْرَهُمْ وَيَحَافِظُوا عَلَى سَمْعَتِهِمْ وَكِرَامَتِهِمْ، لِأَنَّ السَّخَرَةَ تَوْرَثُ الْبُغْضَاءُ فِي الْقُلُوبِ، وَتَقْطَعُ رَوَابِطَ الْمَوَدَّةِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ .

روى الخوارزمي عن زيد بن علي، عن إِيَّاهُ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لقيني رجل فقال: يا أبا الحسن أما والله أني أحبك في الله، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول الرجل فقال رسول الله ﷺ يا علي لعلك اصطنعت إليه معروفاً قال: والله ما اصطنعت إليه معروفاً فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودة ^(١).

وقد كان جل غرض هؤلاء المنافقين من أظهار الأيمان بالمصانعات والدجل والخداع لأمر منها: حفظ دمائهم وأموالهم، وصيانة أعراضهم، ومنها الإطلاع على أسرار المسلمين وإفشائها لدى أعدائهم وهم اليهود ومشركي قريش، ومنها الأطياع بالغنائم والزكاة وغير ذلك من الحقوق الشرعية، ولكن الله جل وعلا كشف عن سوء نواياهم وحذر المؤمنين من خداعهم .

فهذه الآية تدل على أن هؤلاء المنافقين حالات قبيحة وصفات ذميمة يستحق بسببها التنديد والتوبيخ من الله تعالى: كادعاء الأيمان، والمخادعة من الله والمؤمنين، والإفساد في الأرض، ودعوى الصلاح ومحاولة إثارة الفتن بين المسلمين، والاستكبار والعناد. ثم اخذوا يستمرون على هذه السيرة المنكرة مع النبي ﷺ والمؤمنين، حتى إذا اخذ الإسلام في القوة والتقدم، وقويت شوكته فعندها بدلوا حالهم، وظهروا المجاملات والمصانعات في الملاقاة للنبي ﷺ والمؤمنين والتحبب لهم وإبداء الموافقة في الأقوال بنوع من المراوغة.

(١) رواه الخوارزمي في مناقبه ص ١٩٦ وكفاية الطالب ص ٢٤٨ .

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

(البقرة: ١٥)

١- ابن شهر آشوب، عن تفسير الهنلي ومقاتل، عن محمد بن الحنفية في خبر طويل، إنما نحن مستهزون بعلي بن أبي طالب، فقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يعني يجازيهم في الآخرة جزاء استهزائهم بأمر المؤمنين. قال ابن عباس: وذلك أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله الخلق بالجواز على الصراط فيجوز المؤمنون إلى الجنة ويسقط المنافقون في جهنم، فيقول الله: يا مالك استهزئ بالمنافقين في جهنم فيفتح مالك باباً من جهنم إلى الجنة ويناديهم معاشر المنافقين ههنا ههنا فاصعدوا من جهنم إلى الجنة فيسبح المنافقون في بحار جهنم سبعين خريفاً حتى إذا بلغوا إلى ذلك الباب وهتوا بالخروج أغلقه دونهم، وفتح لهم باباً إلى الجنة من موضع آخر فيناديهم من هذا الباب فأخرجوا إلى الجنة فيسبحون مثل الأول فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم ويفتح من موضع آخر، وهكذا أبد الأبدین^(١).

٢- ابن شهر آشوب، عن الباقر عليه السلام أنها نزلت في ثلاثة لما قام النبي ﷺ بالولاية لأمر المؤمنين عليه السلام اظهروا الإيمان والرضا بذلك، فلما خلوا بأعداء أمير المؤمنين قالوا: إنما معكم إنما نحن مستهزون^(٢).

أقول:

الاستهزاء هو محاكاة أقوال الناس، أو أفعالهم، أو صفاتهم وخلقهم قولاً وفعلاً، أو إيحاءً أو إشارة. ويستعمله المجان (أي قليل الحياء) على وجه يضحك منه، وباعته إمّا العداءة أو التكبر واستصغار المستهزاء به.

(١) غاية المرام ص ٢٣ ٤ الباب ١٧٧.

(٢) نفس المصدر ص ٢٣ ٤ الباب ١٧٨.

ولا ريب في انه صفة من لا حظ له في الدين، لأنه يظهر أكاذيب الأقوال، ويرتكب أعاجيب الأفعال والمرتكب لهذه الفعال بعيد عن الإنسانية ومستوجب لعقوبة العاجل وعذاب الآجل كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أنا كذبناك المستهزئين﴾ وشر إستهزائهم بأن أهلكتناهم وكانوا خمسة نفر من قريش وهم: العامر بن وائل، والوليد بن المغيرة، وأبوزمعة وهو الأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن قيس. وقيل كانوا ستة وسادسهم الحارث بن طلائة. ومن المعلوم أن مثل هذا الأيمان الصوري الأدعائي لا يجدي شيئاً، وإنما أرادوا به الخديعة للمؤمنين كما يبدو هذا واضحاً من قولهم لشياطينهم ﴿إنما نحن مستهزؤن﴾. وإلا فالأيمان لا يمكن أن يكون في لقلقة اللسان وإظهار القول، لأن الأيمان الحقيقي هو من أفعال القلب الذي هو عبارة عن القصد والتصديق بما أمر الله جل وعلا على لسان الرسول الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

(البقرة ٢٥)

١- عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: مما نزل من القرآن خاصة في رسول الله ﷺ وعلي وأهل بيته من سورة البقرة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ﴾ الآية، نزلت في علي وحمة وجعفر وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب^(١).

أقول:

اتفقت كلمة اللغويين في معاجهم على أن معنى الأيمان في اللغة هو مطلق التصديق من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وهو على صيغتين الأيمان بالله، والأيمان له ومعنى الأول: هو التصديق بنعوته الثلاثة بجلاله وكبريائه. ومعنى الثاني: هو الخضوع له والقبول عنه والأتباع لما يأمر وينهى. وقد نقل من معناه اللغوي إلى الحقيقة الشرعية في التصديق الخاص، أي التصديق بالشهادتين وبموالاة أهل البيت المطهر، متضمناً إلى ذلك إقامة الأركان .

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الأيمان، فقال: أن الله عز وجل جعل الأيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهد .

فالصبر من ذلك على أربع شعب: على الشوق والإشفاق^(٢) والزهد والتقرب. فمن اشتاق إلى الجنة سلى عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات .

(١) شواهد التزويل ج ١ ص ٧٤، غاية المرام ص ٤٤٢ الباب ٢٣٧.

(٢) الخوف .

واليقين على أربع شعب: تبصرة الفطنة، وتناول الحكمة، ومعرفة العبرة، وسنة الأولين. فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة، ومن تناول الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة عرف السنة، ومن عرف السنة فكأنها كان مع الأولين واعتدى إلى التي هي أقوم.

والعدل على أربع شعب: غامض الفهم، وغمر العلم، وزهرة الحكم وروضة الحلم. فمن فهم فسر جميع العلم، ومن علم عرف شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً.

والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنأ الفاسقين". فمن أمر بالمعروف شدَّ ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم انف المنافق وأمن كيده، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه، ومن شنأ الفاسقين غضب لله، ومن غضب لله غضب الله له، فذلك الأيمان ودعائه وشعبه".

فمن أولى بهذه الصفات غير أمير المؤمنين عليه السلام: فهو الأيمان كله وينبوعه ومصدره، ومنه تعلم الناس دروس الأيمان. ولهذا فلم تنزل آية في القرآن الكريم فيها ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا كان لعلي لبها ولبابها.

(١) كثير العلم.

(٢) بغض الفاسقين.

(٣) ورثة الفردوس ص ١٦.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

(البقرة ٣٠)

١- عن عبد الله بن مسعود قال: وقعت الخلافة من الله عز وجل في القرآن لثلاثة نفر: لآدم عليه السلام، لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني آدم والخليفة والثاني داود صلوات عليه لقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(١) يعني ارض بيت المقدس. والخليفة الثالث علي بن أبي طالب لقول الله تعالى: ﴿لِيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٢) يعني آدم وداود^(٣).

٢- عن سفيان الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أَن وَصِيَّ وَخَلِيفَتِي وَخَيْرٌ مَنْ أَتْرَكَ بَعْدِي يَنْجُزُ مَوْعِدِي وَيَقْضِي دِينِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام^(٤).

٣- عن أبي سعيد الخدري، عن سلمان رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله لكل نبي وصي، فمن وصيك؟ فسكت عني فلما كان بعد رأي قال: يا سلمان فأسرعت إليه فقلت: لبيك، قال: تعلم من وصي موسى، قلت: نعم يوشع بن نون. قال: لم؟ قلت: لأنه كان أعلمهم يؤمّن. قال: فإن وصي وموضع سري وخير من أترك بعدي ينجز عهدي ويقضي ديني علي بن أبي طالب عليه السلام^(٥).

(١) سورة ص: ٢٦. (٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٧٥.

(٣) سورة النور: ٥٥. (٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ٧٦.

(٥) كفاية الطالب ص ٢٩٢، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣، تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٠٦، كتر العمال ج ٦ ص ١٥٤، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٨.

أقول:

ولما كانت الخلافة نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا، وأنه يخلف النبي في أمته فيقال خليفة بإطلاق وخليفة رسول الله^(ص)، وأنه تعالى كلّمها ذكر الإمام والخليفة في كتابه الكريم اسند تعيينه إلى ذاته المقدسة كقوله سبحانه للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^(١).

ولما كانت الولاية هي السلطة التامة التي يستحقها أفضل البشر وأعلمهم وأكملهم وأصلحهم فيختاره الله تعالى لهداية الناس وتعليمهم وتكميلهم والمحافظة على حقوقهم من القوضى والاضطراب والاعتداء. ولا يتخلو زمان من الأزمنة من ولي وحجة الله على خلقه. ففي كل زمان منذ خلق آدم حتى قيام الساعة ولي يهدي البشر إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم وكمالهم، ولولا سيد المرسلين محمد^(ص) صرح بأنه خاتم الأنبياء، وإن شريعته خاتمة الشرائع لوجب بحكم العقل أن يكون في كل زمان نبي، ولكنه^(ص) نفى النبوة عن كل أحد بعده ولم ينف الولاية التي يحكم العقل بلزومها ووجوبها واستمرارها في كل زمان.

فقد بلغ أمير المؤمنين^(عليه السلام) من العلم مبلغاً عظيماً استحق معه أن يكون حجة وولياً وخليفة على الخلق أجمعين كما استحق ابن عمه سيد المرسلين^(ص) بعلمه الذي آتاه الله تعالى وحياً وإلهاماً أن يكون رسولاً وولياً على العالمين.

أن أمير المؤمنين علياً^(عليه السلام) هو ولي كل مؤمن بعد رسول الله^(ص)، كما صرح بذلك النبي^(ص) في كثير من الأحاديث، وهو حجته على خلقه، وهو خليفة الله على أرضه آتاه الله من العلم كما أتى من قبله من الأنبياء والمرسلين. لقد علمه رسول الله^(ص) جميع العلوم التي تلقاها^(ص) من وحي السماء حتى كان^(عليه السلام) يصرح دائماً (سلوني قبل أن تفقدوني). ولما كان وصي

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٩١.

(٢) لوامع الحقائق ص ٨ مبحث الإمامة.

موسیٰ هو یوشع بن نون لانه كان أعلمهم، فعلي بن أبي طالب عليه السلام هو أعلمهم بعد الرسول كما صرحت بذلك الروايات والأحاديث المتواترة .



﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾

(البقرة ٣٧)

١- الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام في تفسيره قال علي بن الحسين: حدثني أبي عن أبيه عليه السلام عن رسول الله عليه السلام قال: يا عباد الله أن آدم عليه السلام لما رأى النور ساطعا من صلبه إذ كان الله تعالى نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح فقال: يا رب ما هذه الأنوار؟ قال: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرش إلى ظهرك ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح، فقال آدم عليه السلام: يا رب لو بيتهما لي فقال الله تعالى عز وجل: انظر يا آدم إلى ذروة العرش فنظر آدم عليه السلام وواقع أنوار أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ قال الله تعالى: يا آدم هذه الأشباح أشباح أفضل خلقتني، هذا محمد عليه السلام وأنا المحمود في أفعالي شقت له اسما من اسمي، وهذا علي أنا العلي العظيم شقت له اسما من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل القضاء وفاطم أوليائي مما يبرهم ويشينهم شقت له اسما من اسمي وهؤلاء خيار خلقي وكرائم بريتي بهم اخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أتيب فتوصل بهم إلي يا آدم، وإذا دهنتك داهية فاجعلهم لي شفعائك فاني آليت على نفسي قسما حقا لا أخيب لهم أملا، ولا أرد لهم سائلا. فذلك حين صدرت منه الخطيئة دعا الله عز وجل فتاب عليه وغفر له^(١).

٢- عن ابن عباس، عن الديلمي بإسناده عن علي عليه السلام قال: سألت النبي عليه السلام عن قول الله. ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فقال: الله ابط آدم بالهند وحواء بجده - إلى أن قال - حتى بعث الله إليه جبريل، وقال: يا آدم ألم أخلقك بيدي؟ ألم أنفخ فيك من روحي؟ ألم اسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوجك حواء أمتي؟ قال: بلى، قال: فما هذا البكاء؟ قال: وما

يمنعني من البكاء؟ وقد أخرجت من جوار الرحمن. قال: فعليك بهؤلاء الكلمات فان الله قابل توبتك وغافر ذنبك.

قل: اللهم أني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت، عملت سوءً وظلمت نفسي فاغفر لي أنك أنت الغفور الرحيم. فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم^١.

٣- وروى أبو الفتح محمد بن علي التطتزي في كتابه الخصائص، عن ابن عباس أنه قال: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فقال: الحمد لله، فقال له ربه: يرحمك ربك. فلما اسجد له الملائكة فقال: يا رب خلقت خلقاً هو أحب إليك مني؟ قال: نعم، ولولا هم ما خلقتك. قال: يا رب فأرينهم، فأوحى الله إلى ملائكة الحجب أن إرفعوا الحجب. فلما رُفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش قال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمد نبيي، وهذا علي أمير المؤمنين ابن عم نبيي ووصيه، وهذه فاطمة بنت نبيي، وهذا الحسن والحسين ابنا علي وولدا نبيي، ثم قال: يا آدم هم ولدك، وفرح بذلك فلما اقترف الخطيئة قال: يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي، فغفر الله له، فهذا الذي قال الله تعالى: ﴿تلقى آدم من ربه كلمات﴾ أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه: اللهم بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي. فتاب الله عليه^٢.

٤- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمينه العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجدوا وركعوا قال آدم: هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم؟ قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هبتي وصوري؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك ولولا هم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسامي لولا هم ما خلقت الجنة والنار، والعرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن. فانا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا

(١) الفدير ج ٧ ص ٣٠٠، شواهد التنزيل هامش ص ٧٨، كنز العمال ج ١ ص ٢٣٤.

(٢) الفدير ج ٧ ص ٣٠١، غاية المرام ص ٣٩٣ الباب ١٠٧.

علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، أليت بعزي أن لا يأتيني أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم ألا أدخله ناري ولا أبالي يا آدم، هؤلاء صفوتي بهم أنجيهم وبهم أهلكهم، فإذا كان لك إلي حاجة فبهؤلاء توصل. فقال النبي ﷺ: نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت^(١).

٥- وروي أن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمة ومكرمة فسأل عنها فقيل له هذه أسماء أجل الخلق منزلة عند الله تعالى، والأسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فتوسل آدم ﷺ إلى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته^(٢).

أقول:

أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي أسماء أجل الخلق عند الله وأفضلهم وهي أسماء معظمة ومكرمة ولولاها لم يخلق الله الكون بها فيه من سموات وأرضين وجبال وأنهار وأنس وجن. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((كنت أنا وعلي بين يدي الله عز وجل يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم أودع ذلك النور في صلبه فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففسي النبوة وفي علي الإمامة^(٣)). فقد كُنت هذه الآية أهل البيت بالأسماء والكلمات كما تنص على ذلك بعض الروايات، ويذهب إليه بعض العلماء والمفسرين، حيث أعطت هذه الآية بعداً آخر في أهل البيت يرتبط بأصل خلق الإنسان ووجوده على الأرض وامتيازها على بقية المخلوقات، فإن هذه

(١) الفدير ج ٢ ص ٣٠٠ نقلاً عن فرائد السمعين، وروى قريباً منه الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٢٥٢.

(٢) رواه الطبرسي في مجمع البيان ج ١ ص ٨٩، كما روى قريباً منه وبأسانيد مختلفة عن ابن عباس الفدير ج ٧

ص ٣٠٠ نقلاً عن الدر المنثور ج ١ ص ٦٠، غابة المرام ص ٣٩٣، ينابيع المودة ص ٢٣٩ والخصال ج ١

ص ٢٧٠.

(٣) ينابيع المودة ص ١١١.

الأسماء هي التي أعطت آدم - باعتباره يمثل النوع الإنساني - هذا الامتياز، والكلبات هي التي أنقذت آدم، وبها تحققت التوبة الإلهية عنه. وهذا يدل على أن أهل البيت لأهل الأرض، وبدونهم لساخت الأرض بأهلها.



﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾

(البقرة ٤٣)

١- عن ابن عباس في قوله: «واركعوا» قال: مما نزل في القرآن خاصة في رسول الله وعلي بن

أبي طالب وأهل بيته من سورة البقرة: «واركعوا مع الرَّاكِعِينَ» أنها نزلت في رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب عليه السلام وهما أول من صلى وركع^(١).

٢- عن ابن يحيى بن عفيف الكندي، عن أبيه، عن جده قال: قدمت مكة لأبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها فأويت إلى العباس بن عبد المطلب وكان رجلاً تاجراً، فأنا جالس عنده انظر إلى الكعبة وقد طلعت الشمس في السماء وارتفعت إذ جاء شاب فرمى بيصره إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة ثم لم البث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام عن يمينه، ثم لم البث لا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة، فقلت يا عباس أمر عظيم. فقال العباس: نعم أمر عظيم، تدري من هذا الشاب؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هذا ابن أخي، هل تدري من هذا الغلام؟ قلت: لا. قال: هذا علي بن أبي طالب هذا ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ قلت: لا. قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجته، أن ابن أخي هذا أخبر أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة^(٢).

(١) رواه شواهد التنزيل ج ١ ص ٨٥، قال: ورواه الحافظ السروي عن خصائص النظري وكتاب ما نزل من القرآن في علي كما في تفسير الآية الكريمة من البرهان ج ١ ص ٩٢ ط ٢. غاية المرام ص ٣٩٥.

(٢) ممن رواه النسائي في كتاب الخصائص ص ٤٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٣ عن طريق أحمد وأبو يعلى. وذكره لسان الميزان بتعدد طرقه. ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٧ في ترجمة أم المؤمنين خديجة.

٣- عن ابن مسعود قال: أن أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ، قدمت مكة مع عمومة لي فار شدونا إلى العباس بن عبد المطلب فانتبهنا إليه وهو جالس إلى زمزم فجلسنا إليه فيينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا، أبيض يعلوه حمرة له وفره جعده إلى أنصاف أذنيه ألقى الأنف براق الشيا أدعج العينين كث اللحية دقيق المسربة شثن الكعبين والقدمين عليه ثوبان أبيضان كأنه القمر ليلة البدر يمشي على يمينه غلام أمرد حسن الوجه مراهق أو محتلم تقفوه امرأة قد سترت محاسنها حتى قصد نحو الحجر فاستلمته ثم استلمه الغلام ثم استلمت المرأة ثم طاف بالبيت سبعاً والغلام والمرأة يطوفان معه، قلنا: يا أبا الفضل أن هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم أو شيء حدث؟ قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة امرأته خديجة، أما والله ما على وجه الأرض من أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة^(١).

أقول:

المشهور عند اللغويين أن الصلاة كلمة عربية بمعنى الدعاء، ثم جعلها الإسلام اسماً لعبادته وذلك من باب تسمية الكل باسم الجزء. وقيل أنها لفظ مشترك بين الدعاء، والتعظيم، والرحمة والبركة.

وإنما سميت صلاة لأنها صلة بين العبد وربّه فهي كمواجهة واتصال معه جل جلاله روي عن النبي ﷺ أنه قال: الصلاة مرضاة الله، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء، ونور المعرفة.

وذكره الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٥٦ و ٥٧. كما ذكره ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ١٨٨، وفي تهذيبه ج ٣ ص ٤٥٨ مع تغيير في السند واختلاف في بعض العبارات. ورواه أسد الغابة ج ١ ص ٢٠٩، والإصابة ج ٤ ص ٢٤٨. مسند أحمد ج ١ ص ٢٠٩، مجمع البيان ج ٥ ص ٦٥. كما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ١١٩ مع اختلاف في اللفظ.

(١) ذكره كنز العمال ج ٧ ص ٥٦، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٢، كما ذكره فضائل الخمسة ج ١ ص ١٩٨ نقلاً عن كنز العمال.

وأصل الأيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة في الرزق، وراحة في البدن، وصلاح على الأعداء، وكراهة الشيطان، وشفيع بين صاحبها وملك الموت، وسراج في القبر، وفراش بين جنبيه، وجواب منكر ونكير، ومؤنس في السراء والضراء، وصائر إلى قبره إلى يوم القيامة. وقال ﷺ: لكل شيء زينة وزينة الإسلام الصلاة الخمس.

﴿وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾

(البقرة ٤٥)

١- عن الحسين بن الحكم، عن الحسين العري، عن حبان، عن الكعبي، عن أبي صالح، قال: الخاشع: الذليل في صلاته، المقبل عليها، يعني رسول الله وعلي، نزلت في علي وعثمان بن مظعون، وعمار بن ياسر، وأصحاب لهم رضي الله عنهم^(١).

٢- وروى ابن شهر آشوب، عن الباقر عليه السلام أن الآية نازلة في علي وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر وأصحاب لهم^(٢).

أقول:

الروايات كثيرة في فضل التخشع في الصلاة والإقبال عليها، وإن يصلي صلاة مودع، وإن من صلى ركعتين يعلم ما فيها انصرف وليس بينه وبين الله عز وجل ذنب إلا غفر له، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كنت في صلاتك فعليك بالخشوع والإقبال على صلاتك، فإن الله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٣) أي خاضعون متذللون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً.

وأن الخشوع في الصلاة يكون بالقلب والجوارح. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يتغير وجهه إذا أخذ في الوضوء، وكان يشتغل عما سوى الله في صلاته، ومن كلام له عليه السلام ((طوبى

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٨٩ تحت رقم (١٢٦) قال: وهذا هو الحديث (٥) من تفسير الحبري الورق ١/٤.

ورواه عنه في حديث (١٣) من تفسير فرائد بن إبراهيم ص ٤٤. كما ذكره غاية المرام ص ٣٩٦ الباب (١١٣).

(٢) الميزان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٥٤.

(٣) ورثة الفردوس ص ٤٠.

لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها يؤسها^(١) وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افتترشت أرضها، وتوسدت كفها، في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاغت جنوبيهم وهممت بذكر ربهم شفاههم وتعشقت بطول استغفارهم ذنوبيهم (أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم الغالبون)^(٢).

(١) البؤس : الضر . وعركه بالجنب : الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه .

(٢) ورثة الفردوس ص ٤٠ .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

(البقرة ٨٢)

١- عن الكمي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: مما نزل من القرآن خاصة في رسول الله وعلي وأهل بيته من سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت في علي خاصة وهو أول مؤمن وأول مصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- وعن ابن عباس أيضاً قال: لعلي أربع خصال: هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم المهراس انهزم الناس كلهم غيره: وهو الذي غسله، وهو الذي ادخله قبره.

أقول:

لقد دلت الأحاديث والروايات على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو أول من صلى مع النبي ﷺ فقد بعث النبي يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء، هذا ما ذكره الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١١، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢، كما ذكره الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١١٢، فقد أخرج ابن المغازلي والحموي بسنديهما عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: صلت الملائكة علي وعلى سبع سنين لأنه لم يكن من الرجال غيره. وعن عبد الله وموفق بن أحمد بسنده عن زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٩٠ رقم (١٢٧).

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٩٠ رقم (١٢٨). كما ذكره الخوارزمي في مناقبه ص ٢١.

(٣) بتابع المودة ص ٦٨.

(٤) بتابع المودة ص ٦٩.

وأعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام ما زال يدعي ذلك لنفسه، ويفتخر به، ويجعله في أفضليته على غيره، ويصرح بذلك وقد قال غير مرة: أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر وصليت قبل صلاته^(١).

كيف لا وهو العارف بأهمية الصلاة لن يقبل عمل إلا بها، أن قبلت قبل ما سواها وإن ردت، رد ما سواها.

قال الصادق عليه السلام أن أول ما فرض الله تعالى على عباده الصلاة، وآخر ما يبقى عند الموت الصلاة، وأول ما يحاسب به يوم القيامة الصلاة، فمن أجاب فقد سهل ما بعده، ومن لم يجب فقد اشتد ما بعده^(٢). وإنما سميت صلاة لأنها صلة بين العبد وربّه فهي كمواجهة واتصال معه جل جلاله.

(١) شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ١٢٢.

(٢) ورقة الفردوس ص ٢٩.

﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾

(البقرة ١٢٤)

١- روى الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة بإسناده مرفوعاً إلى المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: يارب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ألا تبت علي فتأب الله عليه أنه هو التواب الرحيم، فقلت له يا ابن رسول الله فما يعني بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: فَأَتَمَّهُنَّ إلى القائم اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام قال المفضل: فقلت له يا ابن رسول الله فأخبرني عن كلمة الله عز وجل ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين إلى يوم القيامة، فقلت له يا ابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن عليها السلام ومهما جميعاً ولدا رسول الله ﷺ وسبطاه وسيدا شباب أهل الجنة، فقال: أن موسى وهارون نبيان مرسلان أخوان فجعل الله النبوة في صلب هارون دون صلب موسى ولم يكن لأحد أن يقول لم فعل الله ذلك، وإن الإمامة خلافة الله عز وجل ليس لأحد أن يقول لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن، لأن الله عز وجل هو الحكيم في أفعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

٢- عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا دعوة أبي إبراهيم، قلت: يا رسول الله وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم قال: أوحى الله عز وجل

(١) سورة الزخرف: ٢٧

(٢) رواه الطبرسي في مجمع البيان ج ١ ص ٢٠٠، وغاية المرام ص ٢٧١، والمختار ج ١ ص ٣٠٤.

إلى إبراهيم أني جاعلك للناس إماماً فاستخف إبراهيم الفرح قال: ومن ذريتي أئمة مثلي فأوحى الله عز وجل إليه أن يا إبراهيم أني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به قال: يا رب ما العهد الذي لا تنفي لي به قال: لا أعطيك لظالم من ذريتك عهداً، قال إبراهيم عندهما: ﴿واجبني وبني أن نعبد الأصنام﴾^١. رب انهن أضللن كثيراً من الناس فقال النبي: فانتهت الدعوة إلي وإلى علي لم يسجد احدنا لصنم قط، فأتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً^٢.

٣- وفي تفسير العياشي، بأسانيد عن صفوان الجهمي قال: كنا بمكة فجرى الحديث في قول الله: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ قال: فأتمهن بمحمد وعلي والأئمة من ولد علي في قول الله: ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾^٣.

أقول:

الإمامة بمقتضى الآية عهد من عهد الله التي لا يتطرق اختيار الناس إليها مطلقاً، أما أنها من عهد الله فلقوله: ﴿لا ينال عهدي﴾ وأما أنها من اختياره فلقوله تعالى: ﴿أنني جاعلك للناس إماماً﴾ الأمر الذي يثبت عدم جواز اختيار الناس للإمام. ولقد اختار الله إبراهيم للإمامة بعد أن اختاره للنبوّة، ولما كان الإجماع قد انعقد على أن الاختيار للنبوّة من شأن الله فحسب، فوجب إذن أن يكون منصب الإمامة من الله، ولقد أشار الله إلى ذلك في أكثر من موضع كقوله: ﴿وجعلنا أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ فالله أوحى إليهم فعل الخير وجعلهم أئمة للناس هداة لهم.

وخلاصة القول المستفاد من الآية وتصريح الرواية أن الإمامة مجعول الهي ومنصب شرعي لا يمكن أن يترشح إليه إلا من توفرت فيه صفات الكمال وكان حائزاً على درجة

(١) سورة إبراهيم: ٣٥.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٢٠٠، غاية المرام ص ٢٧١، الخصال ج ١ ص ٣٠٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢٧٩.

العصمة، لان الإمام قدوة ومقتدى في الأقوال والأفعال لجميع أفراد الأمة التي يتقدمها، ومن هنا يجب أن يكون هو الأفضل على الإطلاق لثلا يلزم من ذلك تقديم المفضول على الفاضل أو الناقص على الكامل وهو باطل عقلاً.

قال السيد محمد تقي الحكيم: وما أروع ما نسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي من الاستدلال على إمامة علي بقوله: ((استغناؤه عن الكل واحتياج الكل إليه دليل إمامته)) وهو دليل يصلح للاستدلال به على إمامة جميع الأئمة إذ لم يحدث التأسيس في رواية صحيحة عن احتياج أحد منهم إلى الاستفسار عن أي مسألة أو أخذها أو دراستها من الغير مهما كان شأنه عدا المعصوم الذي سبقه، ولو وجد لحفلت بذكره أحاديث المؤرخين كما هو الشأن في نظائره من الأهمية^(١).

وقد استنتج العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية عدة نتائج لخصها بما يلي :

- ١- أن الإمامة مجعولة.
- ٢- أن الإمام يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية .
- ٣- أن الأرض - وفيها الناس - لا تخلو عن إمام حق .
- ٤- أن الإمام يجب أن يكون مؤيداً من عند الله تعالى.
- ٥- أن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الإمام .
- ٦- أنه يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور معاشهم ومعادهم .
- ٧- أنه يستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس^(٢).

(١) الأصول العامة للفقهاء المقارن ص ١٨٩ .

(٢) راجع الميزان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢٧٤ .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

(البقرة ١٤٣)

١- عن عيسى بن يوسف، عن أبي الحسن علي بن يحيى، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس، عن علي عليه السلام قال: أن الله إيانا عنى بقوله تعالى: ﴿تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء على الناس على خلقه، وحجته في أرضه، ونحن الذين قال الله جلّ اسمه فيهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(١).

٢- وروى بريد بن معاوية العجلي، عن الباقر عليه السلام قال: نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه^(٢).

أقول:

الوسط معناه التوسط بين جانبي الإفراط والتفريط المذمومين، قال النبي ﷺ (خير الأمور أوسطها)، ولأجل ذلك فسر الوسط في الأخبار بالعدل، وإن العدالة هي من أهم كمالات النفس، فإذا كان معنى الوسط هو العدل فإن الخطاب موجه إلى البعض فقط ولا يمكن شموله لجميع المسلمين وذلك لعدة أمور^(٣).

١- أن الله تعالى قد ذم أكثر الأمة، في آيات كثيرة، تارة بأنهم لا يعقلون، وأخرى بأنهم لا يعلمون، وثالثة بأنهم لا يشكرون، ورابعة بأنهم لا يؤمنون، وخاصة بأن أكثرهم

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٩٢.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٢٢٤، مواهب الرحمن ج ٢ ص ١١٠ نقلاً عن الكافي.

(٣) مواهب الرحمن ج ٢ ص ٨٨.

الفاسقون، ومن كان هذه حاله فكيف يمكن أن يتصف بالخيار والعدل وكونهم شهداء على الناس .

٢- أن المراد بالشهادة في الآية الشريفة ليست الشهادة الجسمانية بل الشهادة الحضورية على أعمال الجوارح والجوانح أحاطة حضورية من الله تعالى في مقام التحمل في الدنيا، وفي مقام الأداء في الآخرة، ولا يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة كل أحد مع ما هم عليه.

٣- أن شهادة الفرد في الدنيا تحتاج إلى قيود وشروط في الشريعة، وإلا فلا تقبل شهادة كل فرد، فإذا كانت هذه حال الشهادة على الفرد، فكيف تكون الشهادة على النوع في النشأة الآخرة فهل تقبل بلا قيد وشرط ؟ .

٤- أنه لا بد للشاهد على نوع البشر يوم الحشر الأكبر من إطلاعه على صحة أعمال الخلق وفسادها، والتمييز بين جيدها ورديتها، وذلك لا يكون إلا في طائفة مخصوصة. وعليه فالشهادة تقتضي العدالة المطلقة ولا بد أن يكون الشاهد منزهاً عن مخالفة الرسول وليس ذلك إلا المعصوم .

يفهم من هذا أن المقصود من الشهداء هم نوع خاص من أبناء الأمة - يناسب الإمام المعصوم - لا جميع أبنائها، وذلك لوجود قريتين :

١- أن أبناء الأمة الإسلامية لا يصلحون بأجمعهم لهذه الشهادة، لأن فيهم الفساق وضعفاء الأيمان والمتافقين وغيرهم من الأصناف التي لا تصلح - أحياناً - للشهادة على أمر من أمور الدنيا، فضلاً عن الشهادة على الناس، وقد وردت الإشارة إلى هذه القرينة في بعض ما نقل عن أهل البيت عليهم السلام، فمن الباقر عليه السلام قال: ((ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسول، فأما الأمة فانه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا))^(١).

٢- ما ذكره العلامة الطباطبائي: ((أن هذه الشهادة ليست هي كون الأمة على دين جامع للكمال الجسماني والروحاني - كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين - بل هي تحمل حقائق أعمال في الدنيا من سعادة أو شقاء، ورد وقبول، وانقياد وتمرد، وأداء ذلك في الآخرة. ^(١) فان الجمع بين هاتين القريبتين يستتج منه أن الشهادة المذكورة لهذه الأمة هي الإمامة .

(١) الميزان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٤٠.

﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾

(البقرة ١٤٣)

١- عن محمد بن حميد الرازي، عن حكام أبو درهم قال: سمعت الحسن يقول: كان علي بن أبي طالب من المهتدين ثم تلا ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ إلى آخر الآية فكان علي أول من هداه الله مع النبي ﷺ، وأول من لحق بالنبي ﷺ فقال له الحجاج: تراي عراقي. قال: فقال الحسن: هو ما أقول لك^(١).

٢- عن محمد بن ذكوان قال: حدثني محمد بن خالد بن سعيد: أن الشعبي حدثهم قال قدمنا على الحجاج بن يوسف البصرة وكان الحسن آخر من دخل، ثم جعل الحجاج يذكرنا ويتقص علينا وينال منه فنلنا منه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على أبهامه، فقال له الحجاج: يا أبا سعيد مالي أراك ساكتا؟ فقال الحسن: ما عسيت أن أقول، قال الحجاج: اخبرني برأيك في أبي تراب، فقال الحسن: سمعت الله ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من ينبع الرسول ممن يتقلب على عقبه، وإن كانت لكبيرة الأعلى الذين هدى الله﴾ إلى آخر الآية، فعلي ممن هداه الله ومن أهل الأيمان، وعلي ابن عم رسول الله وخخته على ابنته أحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لا تستطيع أنت ردها ولا احد من الناس أن يحضرها إليه^(٢).

٣- عن عبد الله بن الضحاك قال: حدثني عبد الله بن عمرو المداوي قال: قال الحجاج للحسن: ما تقول في أبي تراب؟ قال ومن أبو تراب؟ قال علي بن أبي طالب. قال: أقول أن الله جعله من المهتدين، قال هات علي ما تقول برهانا. قال: قال الله تعالى في كتابه: ﴿وما

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٩٣.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٩٤.

جعلنا القبله التي كت عليها إلا لتعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله: وما الله ليضيع إيمانكم أن الله بالناس لرؤوف رحيم» فكان علي أول من هداه الله مع النبي ﷺ. قال الحجاج: تراي عراقي. قال الحسن: هو ما أقول لك. فأمر بإخراجه قال الحسن: فلما سلمني الله تعالى منه وخرجت ذكرت عفو الله عن العباد^(١).
أقول:

لقد ولد علي بن أبي طالب ﷺ مؤمنا برسالة النبي محمد ﷺ ونصيرا لها. ولقد نسا خلقه ﷺ على شاطئ بيت محمد ﷺ ذلك البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية إلى الوجود. فأن عليا ما كاد يبلغ الرابعة من عمره حتى ضمه محمد إليه وآخاه. وقد أشار علي ﷺ إلى تعهد محمد إياه بخطبته التي تسمى القاصمة يقول فيها ((وقد تعلمون موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة والمثلة الخصيصة. وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره ويكفني فراشه ويمسني جسده ويشمني عرقه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل. وكنت اتبعه أتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالإقتداء به...))^(٢).

لقد فتح علي بن أبي طالب ﷺ عينه على الطريق التي رسمها ابن عمه، وعرف العبادة أول ما عرفها من صلاته، ونعم بعطفه وحنانه وإخائه. وخفق قلب علي أول ما خفق بحب ابن عمه، ونطق لسانه أول ما نطق بما لقنه إياه من رافع القول. واكتملت رجولته أول ما اكتملت لمواظرة النبي المضطهد. وإذا أسلم بعض الوجوه من قریش بدوافع متعددة، وإذا أسلم بعض العبيد والأرقاء طلبا للعدالة واستنكارا للجور. فإن علي بن أبي طالب ﷺ قد ولد مسلما لأنه من معدن الرسول مولدا ونشأ. ولقد شاءت الإرادة الكونية أن يكون علي ﷺ شيئا من ذات الرسول، لأنه كان أول المسلمين وهو لم يبلغ مبلغ الشباب ولما عوتب على

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٩٧.

إسلامه دون مشورة أبيه أبي طالب، أجاب على الفور: ((لقد خلقتني الله من غير أن يشاور أبا طالب، فما حاجتي أنا إلى مشاورته لا عبد الله))

لقد كان أول سجد المسلمين الأول لآلهة قريش.. وكان أول سجد علي لإله

محمد....



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(البقرة ١٥٣)

١- أبو المؤيد موفق بن أحمد من أعيان علماء العامة بإسناده عن مجاهد، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ ما أنزل الله آية فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعليَّ رأسها وأميرها^(١).

٢- عن ابن جبير قال: روى جماعة من الثقات عن الأعمش والليث واللؤم، عن مجاهد وابن

أبي ليلى، عن داود بن جريح، عن عطاء وعكرمة، عن ابن عباس: ما أنزل الله في القرآن آية

فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعليَّ أميرها وشريفها ونحوه. وتفسير وكيع القطان ونحوه

روى الثقفى والمكبري وفي تفسير مجاهد ما في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعليَّ سابقه

ذلك لا نهم سابقهم إلى الإسلام فسماه الله تعالى في تسعة وثلاثين موضعاً أمير المؤمنين^(٢).

أقول:

لقد وردت روايات كثيرة تدل على أن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ المقصود منها هو علي بن

أبي طالب عليه السلام، فقد نزل في قريب من تسعين موضعاً من كتاب الله تعالى، فقد ذكر الطبراني كما

في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢ عن ابن عباس قال: ما أنزلت في القرآن آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

إلا وعليَّ رأسها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير آي من القرآن، وما ذكر علياً

إلا بخير. كما ذكر قريباً منه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٤، والكنجي في كفاية الطالب

ص ١٤٠، وذكره الخوارزمي في مناقبه ص ١٨٨. فكل شيء في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

فإن لعل سابقته وفضيلته لأنه سبقهم إلى الإسلام، فهو أول من آمن برسول الله ﷺ وأول من

(١) غاية المرام ص ٤٤١.

(٢) غاية المرام ص ٤٤١.

صلى معه وهو حامل لواء الإسلام، فبسيفه ثبتت دعائم الإسلام وقويت أركانه فهو الأيمان كله ومنه تعلم الناس دروس الأيمان .

نعم هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام وفوق ذلك، كان المثل الأعلى للإيمان بالله تعالى وانقطاعه إليه في جميع أقواله وأعماله وسيرته فقد كان أول المؤمنين وخاتم المؤمنين وأمير المؤمنين وهو المثل الأعلى للعقيدة والإخلاص، حتى توجه الرسول الأعظم ﷺ بأشرف تيجان الأيمان في كلمته الخالدة (برز الأيمان كله إلى الشرك كله) فبقى صداها يرن في آذان الدهر ومسامع التاريخ، تلك الكلمة الخالدة التي لم يقلها في أحد سواه حيث دل ذلك على أن أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو الأيمان والأيمان كله قد بلغ من عظمة الأيمان وسمو العقيدة واليقين ما كان كل عمله وأقدامه وسكونه وحركاته وقاتله وصبره وتضحيته صادراً عن ذلك الأيمان العظيم الذي لا يضاهيه إيمان أي شخص .

«لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»

(البقرة ١٧٧)

١- عن أبي بكر السبيعي، عن علي بن العباس بن الوليد البجلي، عن محمد بن مروان الغزال،
عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير قال: حدثني أبي، عن السدي قال: نزلت في علي بن أبي
طالب عليه السلام في ناسخ القرآن ومنسوخه^١.

٢- قال الطبرسي: واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن المعنى بها أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه لا
خلاف بين الأمة أنه كان جامعاً لهذه الخصال فهو مراد بها قطعاً ولا قطع على كون غيره
جامعاً لها^٢.

أقول: حقاً لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام جامعاً لكل فضائل العلم والعمل. فلقد ذكرت الآية
نبدأً من جمل أخلاقه بقوله تعالى: «وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ،

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٢٦٤.

وحين البأس» فالعهد هو الالتزام بشيء والعقد له، فقد أدرك عليه السلام هذا الوفاء في نطاق الطبع الخالص الذي يجري بنفسه من نفسه، فوفى وما تكلف وفاءً .

والصبر هو الثبات على الشدائد، ولم تكن حياته كلها سلسلة من صمود اثر صمود في وجه الأعاصير تأتيه من كل صوب والآلام تغزوه من كل جانب، وهو راسخ في إيمانه بفضيلة الصبر كالطود بين العواصف مردداً يقول: ((لا إيمان لمن لا صبر له)) .

وأما تعريفهم بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فهو وصف جامع لكل فضائل العلم والعمل، فإن الصدق خلق يصاحب جميع الأخلاق من العفة والشجاعة والحكمة والعدالة فإنه عليه السلام لا يفعل إلا ما يقول ولا يقول إلا ما يعتقد، وقد بلغ به الصدق مبلغاً أخضاع به الخلافة وهو لو رضي عن الصدق بديلاً في بعض أحواله لما نال منه عدو ولا انقلب عليه صديق .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

(البقرة ٢٠٧)

١- روى الثعلبي في تفسيره: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد الهجرة إلى المدينة خلف علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة لقضاء ديونه وأداء الواضع التي كانت عنده، وأمر ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط لمشركون بالدار أن ينام على فراشه وقال له: إتشع ببردي الحضرمي الأخضر ونم على فراشي فإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى ففعل ذلك علي عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فأختر كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتم مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فتزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله، وجبرئيل ينادي: يخ يخ من مثلك يا علي؟ يساهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة. فانزل الله على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾^(١).

٢- عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فاثبتوه بالوثاق، يريدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجه فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فبات علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً عليه السلام يحسونه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً عليه السلام، والله مكرهم، فقالوا: أين

(١) أحياء العلوم ج ٣ ص ٣٨ ، كفاية الطالب ص ٢٣٩ ، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٩ ، الفصول المهمة ص ٣٣ ، تذكرة الخواص ص ٣٥ ، نور الأبصار ص ٨٦ ، البرهان ج ١ ص ٢٠٧ ، تفسير الرازي ج ٢ ص ١٥٢ ، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥ ، غابة المرام ص ٣٤٤ ، والغدير ج ٢ ص ٤٨ .

صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقفوا أثره فلما بلغوا الجبل خلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال^(١).

٣- عن أبي رافع في هجرة النبي ﷺ قال: وخلفه النبي ﷺ يعني خلف علياً عليه السلام - يخرج إليه بأهله وأمره أن يؤدي عنه أمانته ووصايا من كان يوصي إليه وما كان يؤمن عليه من مال فأدى علي عليه السلام أمانته وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، وقال: أن قريشاً لم يفقدوني ما رأوك: فأضطجع على فراشه وكانت قريش تنظر إلى فراش النبي ﷺ فيرون عليه علياً عليه السلام فيظنونهم النبي ﷺ حتى إذا أصبحوا رأوا عليه علياً عليه السلام فقالوا: لو خرج محمد لخرج بعلي، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبي ﷺ حين رأوا علياً عليه السلام. وأمر النبي ﷺ علياً عليه السلام أن يلحقه بالمدينة فخرج علي عليه السلام في طلبه بعدما أخرج إليه أهله يغشي الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة: فلما بلغ النبي ﷺ قدومه قال: ادعوا لي علياً، قيل يا رسول الله لا يقدر أن يمشي فأتاه النبي ﷺ فلما رآه اعتنقه وبكى رحمة لما تقدمه من الورم وكانتا تقطران دماً، فقبل النبي ﷺ في يديه ومسح بهما رجله ودعا له بالعافية فلم يشكهما حتى استشهد رضي الله عنه^(٢).

٤- عن ابن إسحاق، قال: وأقام رسول الله ﷺ يعني بعد أن هاجر أصحابه إلى المدينة ينتظر مجيء جبرئيل عليه السلام وأمره أن يخرج من مكة بأذن الله له في الهجرة إلى المدينة حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت بالنبي ﷺ وأرادوا برسول الله ﷺ ما أرادوا، أتاه جبرئيل عليه السلام وأمره أن لا يبيت في مكانه الذي يبيت فيه، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى ببرد له اخضر ففعل، ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه، قال ابن إسحاق: وتتابع الناس في الهجرة، وكان آخر من قدم المدينة من

(١) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩١، مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٧، كما ذكره فضائل الخمسة ج ٢ ص ٣١٢ نقلاً عن مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٤٨.

(٢) أسد الغابة ج ٤ ص ١٩.

الناس ولم يفتن في دينه علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك أن رسول الله ﷺ أخره بمكة وأمره أن ينام على فراشه وأجله ثلاثاً وأمره أن يؤدي إلى كل ذي حق حقه ففعل، ثم لحق برسول الله ﷺ.

٥- عن الحسين بن عبد الرحمن بن محمد الأزدي، أنبأنا أبي، أنبأنا عبد النور بن عبد الله: عن محمد بن المغيرة القرشي، عن إبراهيم بن عبد الله بن معبد، عن ابن عباس قال: بات علي ليلة خرج رسول الله ﷺ إلى المشركين على فراشه ليعمى على قريش، وفيه نزلت هذه الآية ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

٦- عن السدي، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب حين هرب النبي ﷺ عن المشركين إلى الغار ونام علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ ونزلت الآية بين مكة والمدينة.

٧- أن قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ أنزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت على الفراش.

٨- عن قيس بن الربيع، عن حكيم بن جبير، عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله عز وجل ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ قال: نزلت في علي عليه السلام حين بات على فراش رسول الله ﷺ.

(١) أسد الغابة ج ٤ ص ١٨، كما ذكره ذخائر العقبى ص ٦٠ باختصار.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ هامش ص ١٠٠ نقلاً عن تاريخ دمشق.

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص ٣٠١.

(٤) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٦٢.

(٥) غايه المرام ص ٣٤٦ الباب ٤٦ الحديث الأول.

أقول:

لقد تواترت الروايات وبطرق مختلفة أن هذه الآية المباركة نزلت في علي عليه السلام لما أرادت قريش قتله عليه السلام. فقد ذكره تفسير البرهان بخمسة طرق، ورواه الثعلبي والحافظ أبو نعيم عن ابن عباس، وأبو السعادات في فضائل العشر بأسانيده عن أبي اليقظان عمار، ورواه الحاكم في المستدرک، والخوارزمي في المناقب، كما رواه أحمد بن حنبل في مسنده، ومسلم في صحيحه عن أبي داود الطيالسي وغيره والنسائي في خصائصه، والغزالي في أحياء العلوم، والقرطبي في تفسيره، وغيرهم من علماء العامة.

حقاً لقد أثر علي بن أبي طالب عليه السلام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله على حياته ليلة الميبت فباهى به الملائكة، كيف لا وهو المؤمن الخالص الذي باع نفسه لمرضاة الله تعالى، وقد نصبه سبحانه نورا يبتدى به ومانراً يستضاء منه، وجعله سبيلاً للرشاد ومرجعاً للعباد، وهو الذي ورد فيه عن النبي صلى الله عليه وآله على ما رواه الفريقان: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) وما صدر عن علي عليه السلام بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله كذلك ما يبرهنه العقول. ومن سيرة علي عليه السلام وأعماله وأقواله وسائر جهاته تكفي لأن يعد عليه السلام معجزة النبي الأعظم بعد القرآن العظيم من هذا يعلم علماً قطعياً بأن هذه الآية الشريفة ينحصر مصداقها في علي عليه السلام لقد كانت توضيح الإمام علي عليه السلام في سبيل عقيدته التي هي عقيدة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وفي سبيل الحق ورعاية الشرف والإخاء، هذه التوضيح التي لم يعرف التاريخ أجلاً منها وأقوى وأروع، لقد كان علي عليه السلام بتوضيحته هذه استمراراً لمحمد، وكانت توضيحته من روح المقاومة التي عرف بها ابن عمه الرسول العظيم، وكان ميّته في فراش النبي صلى الله عليه وآله تزيكاً للدعوة وحافزاً على الجهاد الطويل، ثم أن في هذه التوضيح ما يوجز الحقيقة عن الإمام وطباعه ومزاجه فإذا هي صادرة عنه كما تصدر الأشياء عن معادنها دون تكلف ودون أجهاد .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

(البقرة ٢٠٨)

- ١- عن أبي محمد الفحام قال: حدثني محمد بن عيسى بن هارون قال: حدثني أبو عبد الصمد إبراهيم قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ قال: في ولاية علي بن أبي طالب (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) قال: لا تتبعوا غيره^(١).
- ٢- عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ قال: أتدري ما السلم قال: قلت: أنت أعلم قال: ولاية علي والأئمة والأوصياء من بعده، قال: وخطوات الشيطان والله ولاية فلان وفلان^(٢).
- ٣- وروى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قالوا: السلم يقول: آكل محمد أمر الله بالدخول فيه وهم حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به قال الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣).
- ٤- وفي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ قال: ((أمرنا بمعرفة))^(٤).

(١) غاية المرام ص ٤٣٨ الباب ٢٢٤ الحديث الثاني .

(٢) غاية المرام ص ٤٣٨ الباب ٢٢٤ الحديث الرابع .

(٣) غاية المرام ص ٤٣٨ الباب ٢٢٤ الحديث الثامن .

(٤) مواهب الرحمن ج ٣ ص ٢٣٣ .

أقول:

المستفاد من هذه الآية هو أرشاد الناس إلى أتباع الحق، وتبيين لهم طريق السعادة وترغيبهم للوصول إلى الإنسانية الكاملة: وتحذره من الباطل وعدم أتباعهم خطوات الشيطان، وذلك لا يتم إلا عن طريق معرفتهم بأهل البيت والدخول في ولايتهم لأنهم أمان لكل المؤمنين، ولأنهم أولى بمعرفة أحكام الله تعالى، فهم حبل الله المتين وصراطه المستقيم.

وقد ورد في تفسير (السلم) أن المراد به هو ولاية أهل البيت عليهم السلام، أو ولاية علي عليه السلام، فقد روى الشيخ الكليني عن أبي جعفر في قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ قال في ولايتنا^(١). وما ورد في الحديث القدسي الذي رواه جماعه عن أهل البيت عليهم السلام من قوله تعالى: ((ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني آمن من عذابي))^(٢) وفي رواية (أمن من ناري).

(١) الكافي ج ١ ص ٤١٧.

(٢) الامالي / للصدوق ص ٢٠٦. بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٤٦.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَيُّهَا
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيُّهَا بَرُوحُ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
(البقرة ٢٥٣)

١- عن محمد بن يعلى، عن الأصمغ بن نباته قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد فماذا نستقيمهم فقال: ستهم بما ستهام الله في كتابه قال: ما كل في الكتاب أعلمه قال: أما سمعت الله تعالى قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ إلى قوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا وشاء الله قتالهم، فقتلهم بمشيئة الله وإرادته".

٢- وفي تفسير العياشي، عن الأصمغ بن نباته قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين كبر القوم وكبرنا، وهلل القوم وهللنا، وصلى القوم وصلينا فعلى ما نقاتلهم فقال: على هذه الآية ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَيُّهَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيُّهَا بَرُوحُ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ

اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد» فنحن الذين آمننا وهم الذين كفروا، فقال الرجل: كفر القوم ورب الكعبة ثم حمل فقاتل حتى قُتل^(١).

٣- عن علي بن إبراهيم في تفسيره قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين يوم الجمل فقال: يا علي على ما نقاتل أصحاب رسول الله ﷺ ومن شهد أن لا إله إلا الله وإن عمداً رسول الله قال: على آية في كتاب الله أباحت لي قتالهم فقال: وما هي قال قوله «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد» فقال الرجل: كفر والله القوم^(٢). أقول:

الرسول والأنبياء كلهم يشتركون في فضيلة الرسالة، وهم جديرون بالاتباع والإقتداء بهديهم إلا أنهم متفاضلون في الدرجات ويتفاوتون في المقامات، قال عز وجل «الله يمجّي من رسله من يشاء»^(٣)، وإن جميع الصفات والخصائص الموجودة لدى الأنبياء والمرسلين فهي موجودة لدى النبي ﷺ الذي جعله خاتماً لكل النبوات وهو صاحب المعجزة الخالدة الذي فيه تبيان كل شيء. عن النبي ﷺ: ((ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال ﷺ: أن الله تعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين))

ثم أن الآية تبين أن الإرادة والمشيئة لا يغلبها شيء فهو يحكم ما يشاء ويقضي ما يريد وفق الحكمة المتعالية، ولو شاء الله أن يلجئ عباده على عدم الكفر والعصيان وترك الاقتتال

(١) غاية المرام ص ٤٣٠ الباب ١٩٨، مواهب الرحمن ج ٤ ص ١٦٩ .

(٢) غاية المرام ص ٤٣٠ .

(٣) سورة آل عمران / ١٧٩ .

ولكن اقتضت حكمته أن لا يلجنهم إلى ذلك فقد خلقهم وانعم عليهم بأنواع النعم وميزهم عن سائر خلقه بالعقل وجعلهم أحراراً وانزل عليهم البينات الواضحات ولكنهم اختلفوا بعد وضوح الحق وبيان الرسل سبل الهداية وإتمام الحجّة عليهم وإن سبب الاختلاف كان من أنفسهم فمنهم من آمن أيّماناً صحيحاً لا تشوبه شائبة كإيمان علي عليه السلام الذي هو رمز الإيمان وينبوعه، ومنهم من أتبع هواه وكفر بها جاء به النبي ﷺ فحق عليهم قتالهم .

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَشْيِئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾

(البقرة ٢٦٥)

١- عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله «ومثل الذين ينفقون أموالهم» أنزلت الآية في علي عليه السلام ^(١).

٢- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله قال: «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله» نزلت في علي عليه السلام ^(٢).

أقول:

حث الله تعالى على الأنفاق في سبيل الله والتحريض على الإخلاص فيه، وإن لا يكون الأنفاق للرياء، أي أن الذين يبذلون أموالهم يطلبون بذلك مرضات الله تعالى بقوة اليقين واطمئنان القلب ويحصل ذلك بعزيمة ثابتة في أنفسهم، وهذا هو معنى قوله تعالى: «وتشيئاً من أنفسهم» من دون أن يعترضهم وهن ولا يتخلل غير مرضاته تعالى في البين بوجه من الوجوه لا منا ولا أذى ولا رياء ونحو ذلك من الخطرات القلبية والحركات الخارجية التي تنافي الإخلاص، وإن غاية مراتب الإخلاص هي أن لا يكون شيء سوى مرضات الله، لأن رضاه ثوابه وسخطه عقابه وفي الدعاء المأثور ((اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك إلا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)) وهذا ما كان يفعله الإمام علي عليه السلام عند أنفاقه فسعادة الإنسان ورفع الحاجة وتحطيم الظلم هي نقطة الانطلاق في سياسته وقد نظر إليه النبي مره وقال له: ((يا علي أن الله قد زينك بأحب زينة لديه: وهب لك حب المستضعفين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً)). لقد كان

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٤.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٤.

علي أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود، وما قال: لا لسائل قط، وقد قال فيه معاوية ((لو ملك علي بيتا من تير وبيتا من تبن لا نفق تيره قبل تبنه)) وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها وهو القائل: ((يا صفراء ويا بيضاء غري غري)) .



﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

(البقرة ٢٦٩)

١- عن أبي بكر محمد بن الحسين القنطري، حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن علي العلوي، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: كنت ادخل على رسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً، فكنت إذا سأله أجبني وإن سكت ابتدأني، وما نزلت عليه آية إلا قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها، ودعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علمني إياه فما نسيته من حرام وحلال وأمر ونهي وطاعة ومعصية، وقد وضع يده على صدري وقال: اللهم إملأ قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً، ثم قال لي أخبرني ربي عز وجل أنه قد استجاب لي فيك^(١).

٢- عن يحيى بن آدم قال: حدثنا شريك، عن سعيد بن مسروق، عن منذر، عن الربيع خيثم أنهم ذكروا عنده علياً فقال: ما رأيت أحداً يبغضه أشد له بغضاً ولا محبه أشد له حباً، ولم أراهم يمدون عليه في حكمه، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢).

٣- عن سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: كنت عند رسول الله ﷺ فُسِّلَ عن علي فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء، وأعطى الناس جزءاً واحداً^(٣).

(١) كفاية الطالب ص ١٩٩ الباب (٤٨)، حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤، كنز العمال ج ١ ص ٢٢٨، الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٢.

(٢) كتاب الفضائل الحديث (٩٧) باب فضائل أمير المؤمنين.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٥، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ و ص ٤٠١.

٤ - عن أبي صالح الحنفي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه وإلى نوح في حكمته وإلى يوسف في اجتباؤه فليُنظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

٥ - عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دار الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

أقول:

لقد اختلف في تعريف الحكمة على أقوال: قيل هي معرفة الأشياء الموجودة، وقيل فهم المعاني مع إتباع المباني، وقال مجاهد: هي العقل والفهم والإصابة في القول، وقيل الحكمة القرآن، وقيل الحكمة: نور الفطنة، وقيل الحكمة: اسم لكل عمل حسن وعمل صالح، إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة.

فالحكمة إذن العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، وسميت حكمة لأنها مانعة من الجهل، وإن الله يؤتها على من يشاء وهم خلص عباده، أي ليس لكل أحد الوصول إليها إلا بعناية منه عز وجل.

وإن الله ذكرها في القرآن الكريم مقرونا بالتجليل والتعظيم، فتكون هذه الموهبة الربانية نصيب من أفنى جميع شؤونه الإمكانية في مرضاة ربه، وصار قلبه متبها بحبه ولها في عظمتها، وهم الذين ثبت الحق في ضائرهم، وأزهق الباطل عن سرائرهم، وانقشعت عن بصائرهم سحائب الارتياح، وعن قلوبهم أغشية المرية والحجاب، ففازوا بالمحل الأعلى.

ومن أولى من أمير المؤمنين عليه السلام فهو البيان الناطق فكان كلامه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، فقد أوتي من الحكمة ما لم يؤت غيره فهو الحكمة وباب الحكمة، فمن

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٦.

(٢) غاية المرام ص ٥٢٣ الباب ٣٣ الحديث الأول.

النبي ﷺ: أنا دار الحكمة وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب، وفي الحديث: أولياء الله إذا نطقوا فكان نطقهم حكمه، ويشهد لذلك أيضا ما نسب إلى علي رضي الله عنه: علمني رسول الله ﷺ ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، وعن الصادق عليه السلام: إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا^(١).

(١) مواهب الرحمن ج ٤ ص ٣٣٥.

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(البقرة ٢٧٤)

١- عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ قال: نزلت في علي ابن طالب عليه السلام كانت له أربعة دنانير فتصدق بدينار نهارا ودينار ليلا ودينار سرا ودينار علانية ^(١).

٢- اخرج الواقدي، عن ابن عباس قال: كان مع علي عليه السلام أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية فنزل فيه ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٢).

٣- عن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ قال: نزلت في علي بن ابي طالب عليه السلام لم يكن عنده إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا، وبدرهم نهارا، وبدرهم سرا، وبدرهم علانية، فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على هذا؟ قال: حملني عليها رجاء أن استوجب ما وعد على الله الذي وعدني ما وعد الله، قال رسول الله: ألا ذلك لك، فأنزل الله الآية في ذلك ^(٣).

٤- روى الشيخ المفيد في الاختصاص بإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي عملت في ليلتك قال: ولم يا رسول الله قال: نزلت فيك أربعة معاني قال: بآبي أنت وأمي كانت معي أربعة

(١) كفاية الطالب ص ٢٣٢، أسباب النزول ص ٦٤، الصواعق المحرقة ص ٧٨، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٦، أسد الغابة ج ٤ ص ٢٥، وجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢٤.

(٢) الصواعق المحرقة ص ٧٨، نور الأبصار ص ٧٨، ينابيع المودة ص ١٠٦.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٠٩، أسباب النزول ص ٦٤.

دراهم فتصدقت بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية قال: فان الله انزل فيك ﴿الذين يتفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلم أجهرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١).

٥- روى عكرمة عن ابن عباس قال: كان مع علي عليه السلام أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فنزلت فيه هذه الآية^(٢).

٦- قال ابن عباس نزلت الآية في علي عليه السلام كانت معه أربعة دراهم فتصدق بواحد نهاراً وبواحد ليلاً وبواحد سراً وبواحد علانية وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام^(٣).

٧- قال السيوطي: واخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام كانت معه أربعة دراهم فانفق بالليل درهما وبالنهار درهما وسراً درهماً وعلانية درهماً^(٤).

أقول:

الروايات الدالة في أن الآية الشريفة نزلت في علي عليه السلام متواترة بين المسلمين، فقد رواه جمع غفير منهم الخوارزمي في المناقب، والحافظ أبو نعيم، والثلبي في تفسيره، والحموي في فرائده، وابن المغازلي، وفي الدر المنثور اخرج عبد الرزاق وعبد الحميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن عساكر من طريق عبد الله بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس. وفي مناقب ابن شهر، وتفسير البرهان روى ذلك عن ابن عباس، والسدي، ومجاهد،

(١) غاية المرام ص ٣٤٨ الباب ٤٨ .

(٢) تذكرة الخواص ص ١٤ .

(٣) جمع البيان ج ٢ ص ٣٨٨ .

(٤) لباب النقول في أسباب النزول ص ٥٠ .

والكلبي، وابن صالح، والتعليبي، والطوسي، والواقدي، والطبرسي، والماوردي، والقشيري وغيرهم.

فالآية إنما تحث على الأنفاق وتبشر المتفقين بعظيم الثواب والأجر، وخطاب الهي للمتفقين بالأمن والأمان، وإنما قدم سبحانه وتعالى الليل والسر على النهار والعلانية لبيان فضل صدقة السر لأن العمل فيها اخلص لله تعالى فيكون اقرب للقبول، والآية الشريفة تدل على اهتمام المتفقين بالبذل والعطاء ليشمل جميع الأوقات والأحوال ليستوفوا عظيم الأجر والثواب وتوغلهم في كسب مرضات الله تعالى ونصب أنفسهم في أرادة وجهه عز وجل وتركية نفوسهم.

والإسلام ينظر إلى الأنفاق من جوانب ثلاثة متكاملة، فهو ينظر إلى الجانب الاقتصادي من حيث أن الإنفاق يراد منه رفع الحوائج وإيجاد التكافل الاجتماعي وتحقيق حياة نوعية متقاربة بين الأفراد، ثم انه ينظر إلى الجانب التربوي أي إلى تربية الإنسان تربية واقعية حقيقية تقوم على التعاطف والتراحم بين الأفراد ثم ينظر ثالثا إلى الجانب الأخلاقي حيث يرشد إلى التخلق بأخلاق الكرام والتحلي بصفة الجود والسخاء، وهذا مما دأب عليه أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته حيث جعلوه جزءا من حياتهم فكانوا ينفقون ما يملكون ابتغاء مرضاة الله .

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

(آل عمران ٣٣)

١- عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون وقد اجتمع في مجلسه جماعة من أهل العراق وخراسان وذكر الحديث إلى أن قال فيه: قال المأمون: هل فضل الله العترة على سائر الأمة فقال أبو الحسن عليه السلام: أن الله عز وجل أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه فقال المأمون: وأين ذلك من كتاب الله، فقال له الرضا عليه السلام: في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْضٍ﴾ قلت: يعني أن العترة داخلون في آل إبراهيم عليه السلام لأن رسول الله ﷺ من ولد إبراهيم عليه السلام وهو دعوة أبيه إبراهيم على ما في رواية الخاصة والعامة في قوله ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام وعترة الرسول منه ﷺ.

٢- عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدم، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: يا جابر، الزم الأرض ولا تحرك يدا ولا رجلا حتى ترى علامات اذكرها لك أن أدركتها، وذكر علامات القائم عليه السلام إلى أن قال في الحديث فينادي يعني القائم عليه السلام يا أيها الناس أنا منتصر الله فمن أجابنا من الناس فانا أهل بيت نبيكم ونحن أولى الناس بالله وبمحمد، فمن حاجني في آدم فانا أولى الناس بآدم، ومن حاجني في نوح فانا أولى الناس بنوح ومن حاجني في إبراهيم فانا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجني في محمد ﷺ فانا أولى الناس بمحمد ﷺ ومن حاجني في النبيين فانا أولى الناس بالنبيين، أليس الله يقول في محكم كتابه ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى

العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم». فأنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد ﷺ^(١).

٣- عن العياشي في تفسيره بإسناده عن حسان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض» قال: نحن منهم ونحن بقية تلك العترة^(٢).

٤- قال الطبرسي: وقالوا أيضا أن آل إبراهيم هم آل محمد ﷺ الذين هم أهله ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه تعالى لا يختار ولا يصطفى إلا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من آل إبراهيم وآل عمران سواء نبيا أو إماما^(٣).

٥- قال السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: «أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين» في سورة آل عمران قال: اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي ابن عباس في قوله: «وآل إبراهيم وآل عمران» قال: هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد ﷺ^(٤).

٦- قال الثعلبي في تفسيره حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد القاضي قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن الحسن النصبی قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا أحمد بن ميثم بن نعيم قال: حدثنا أبو

(١) غاية المرام ص ٣١٩ الباب ١٤ .

(٢) غاية المرام ص ٣١٩ الباب ١٤ الحديث السابع .

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص ٤٣٣ .

(٤) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٦٩ .

عبادة السلولي، عن الأعمش، عن أبي وائل قال: قرأت في مصحف عبد الله بن مسعود:

﴿أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ مُحَمَّدٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

أقول:

الاصطفاء، الاختيار، وأصل الكلمة من الصفاء وهو التقاوة من الدنس والفساد. وإن الاصطفاء إنما يكون بإرادة من الله تعالى واختياره وليس للإنسان إرادة فيه فإنه جلت، عظمته أعلم حيث يجعل رسالته، وإن اصطفاه الله تعالى لبعض عباده يدل على الامتياز وإن المصطفين ممتازون عن سائر الخلق لتحقيق الإنسانية الكاملة فيهم وإن لهم نفوساً قدسية هي المرأة الأتم لأخلاق الله تعالى. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الشريفة أربعة ممن اصطفاهم على العالمين، وهم آدم، ونوح، وآل إبراهيم، وآل عمران.

أما آل إبراهيم فهم الطاهرون من آله، الطيبون من ذريته، لأن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء جميعاً بعد نوح، ومن ذريته محمد خاتم النبيين الذي هو المصطفى بالقول المطلق ومظهر لكمال الحق، وآله الطاهرون الذين يؤول أمرهم إليه (صلى الله عليه وآله) في الجهات التشريعية والكمالات الإنسانية ومكارم الأخلاق والملحقون به في الولاية، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿أَنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢). فإنه ظاهر في أن المناط في مفهوم الآل هو المتابعة في الاعتقاد والعمل وبهذا الاعتبار يشمل النبي ﷺ وذريته الطاهرين والذين آمنوا به.

وفي الحديث عنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ

دُعَاءِ﴾^(٣) أنا دعوة أبي إبراهيم، فالمصطفى هو الإنسان الكامل الذي يكون قطب رحي الوجود

(١) غاية المرام ص ٣١٨، شواهد التنزيل ج ١ ص ١١٨.

(٢) سورة آل عمران / ٦٨.

(٣) سورة إبراهيم / ٤١.

وينشرف أهل الأرض بوجوده ويترقب أهل السماء لقاءه، وهو الذي باهى الله تعالى الملائكة بخلقه وإسجاده، فهو مجمع كل فضيلة ومكرمة ومظهر كل فيض ورحمة خاتم الأنبياء، ويلحق به أهل بيته الذين هم من البضعة الطاهرة الصديقة التي تربت في حجر رسول الله ﷺ ووصلت إلى مقام الرضا لأبيها وهم مستودع علم رسول الله ﷺ ومظهر أخلاقه القدسية والذرية الطيبة من نسلها وهم المعصومون الممتازون عن سائر الخلق خلقاً وخلقاً وهم أسرار الله تعالى ومظهر أسائه وصفاته.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

(آل عمران ٦١)

١- عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: قدم وفد أهل نجران على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، العاقب والسيد، فدعاهما إلى الإسلام فقالا: أسلمنا قبلك. قال: كذبتما أن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام، فقالا: هات أنبئنا. قال: حب الصليب وشرب الخمر واكل لحم الخنزير، فدعاهما إلى الملاعة، فواعداه على أن يفادياه بالغداة، فعدا رسول الله ﷺ، فأخذ بيد علي وفاطمة وبيد الحسن والحسين عليهما السلام ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا فأقرأله بالخراج، فقال النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي نارا قال جابر: فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ﴾ قال الشعبي: أبناؤنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٢- وروي أنهم لما دعاهم إلى المباهلة، قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما تحالوا قالوا: للعاقب - وكان ذا رأيهم - يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل. ولقد جاءكم بالفعل من أمر صاحبكم. والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبئت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكن، وإن أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتى رسول الله ﷺ وقد غدا محتضنا الحسين، أخذوا بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلى خلفها، وهو يقول: إذا

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٣٨. أسباب النزول ص ٧٥. العمدة ص ٩٦. الخصائص ص ٦٧. كما رواه البحراني في غاية المرام ص ٣٠٠ الباب الثالث الحديث الرابع. والحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ١٢٢ رقم (١٧٠).

أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران، يا معشر النصارى أني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وان تترك على دينك ونثبت على ديننا. قال: فإذا أبيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا، قال: فاني أنا جزكم. فقالوا: مالنا بحرب العرب طاعة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر، وألف في رجب، وثلاثين درعا عاديه من حديد، فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا^(١).

٣- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب قال: أما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله فلن أسبه لأن يكون لي واحد منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خلفه في بعض مغازيه فقال له علي رضي الله عنه يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله ﷺ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وسمعت يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال: فتناولها فقال: أدعولي علياً فأني به أرمد العين فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله على يده. ولما

(١) تفسير البضاوي ج ٢ ص ٢٢، تفسير الكشاف ج ١ ص ٤٣٣، تفسير النسفي ج ١ ص ١٦٦، تفسير الرازي ج ٢ ص ٤٧١، تفسير النيسابوري ج ١ ص ٣٢٩، تفسير الخازن ج ١ ص ٣٠٢، تفسير البغوي ج ١ ص ٣٠٢، تفسير أبي السموذج ج ١ ص ٢٤٤، نور الأبصار ص ١١٠، وغاية المرام ص ٣٠٠ الباب الثالث.

نزلت هذه الآية ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي^(١).

٤- عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أن وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله ﷺ وهم أربعة عشر رجلاً من أشrafهم منهم السيد - وهو الكبير - والعاقب وهو الذي يكون بعده وصاحب رأيهم. - قال رسول الله ﷺ لها: اسلمي. قالوا: قد أسلمنا. قال: ما أسلمتم. قالوا: بلى قد أسلمنا. قبلك. قال: كذبتما منعكما من الإسلام ثلاث فيكما: عبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير، وزعمكما أن الله ولد. ونزل ﴿أَنْ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلما قرأها عليهم قالوا: ما نعرف ما تقول. ونزل ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ - من القرآن - ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ - الآية - ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ يقول نجتهد في الدعاء أن الذي جاء به محمد هو الحق، هو العدل وإن الذي تقولون هو الباطل، وقال لهم: أن الله قد أمرني أن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم، قالوا: يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك. قال: فخلا بعضهم ببعض وتصادقوا فيما بينهم فقال السيد للعاقب: قد والله علمتم أن الرجل لنبي مرسل ولئن لاعتوه أنه لاستصلحكم، وما لا عن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبست صغيرهم فإن انتم لم تتبعوه وأبستم إلا ألف دينكم فوادعوه وارجعوا إلى بلادكم وقد كان رسول الله ﷺ خرج بنفر من أهله فجاء عبد المسيح بابنه وابن أخيه، وجاء رسول الله ﷺ ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين فقال رسول الله ﷺ: أن أنا دعوت فامنوا انتم. فأبوا أن يلاعته وصالحوه على الجزية^(٢).

(١) أسد الغابة ج ٤ ص ٢٦. ينابيع المودة ص ٥١. صحيح سلم شرح التوري ج ١٥ ص ١٧٥. مسند أحد ج ١ ص ١٨٥. كفاية الطالب ص ٨٥. كما رواه البحراني في غاية المرام الباب الثالث ص ٣٠٠ الحديث الأول.

(٢) دلائل النبوة ص ٢٩٨. روح المعاني ج ١ ص ٦٠٣. الدر المنثور ج ٢ ص ٣٩.

٥- عن محمد بن إسحاق قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم، أحدهم أميرهم واسمه عبد المسيح، والثاني مشيرهم وذو رأيهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الإيهم، والثالث حبرهم وأسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له أبو حارثه بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وملوك الروم كانوا شرفوه و مولوه وأكرموه، لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم، فلما قدموا من نجران ركب أبو حارثه بغلته وكان إلى جانبه أخوه كرز بن علقمة، فيسبغها بغلته أبي حارثه تسير إذ عثرت، فقال كرز أخوه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ فقال أبو حارثه: بل تعست أمك، فقال: ولم يا أخي فقال: إنه والله النبي الذي كنا نتظره. فقال له أخوه كرز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالاً كثيرة وأكرمونا، فلو أمنا بمحمد ﷺ لأخذوا منا كل هذه الأشياء. فوقع ذلك في قلب أخيه كرز، وكان يضره إلى أن أسلم فكان يحدث ذلك. ثم تكلم أولئك الثلاثة الأمير والسيد والحبر مع رسول الله ﷺ على اختلاف من أديانهم: فتارة يقولون عيسى هو الله، وتارة يقولون هو ابن الله، وتارة يقولون ثالث ثلاثة، ويحتجون لقولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير. ويحتجون في قولهم أنه ولد الله بأنه لم يكن له أب يعلم. ويحتجون على قولهم ثالث ثلاثة بقول الله تعالى: فجعلنا وجعلنا، ولو كان واحداً لقال قلت. فقال لهم رسول الله ﷺ: اسلموا، فقالوا قد أسلمنا. فقال رسول الله ﷺ: كذبتكم كيف يصح إسلامكم وانتم تثبتون لله ولداً، وتعبدون الصليب، وتأكلون الخنزير؟ فقالوا فمن أبوه - أي عيسى عليه السلام - فسكت رسول الله ﷺ، فانزل الله تعالى في ذلك آكل عمران إلى بضع وثلاثين آية منها، ثم أخذ رسول الله ﷺ يناظر معهم، فقال: أستم تعلمون أن الله حي لا يموت، وإن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى. قال: أستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟ قالوا: بلى. قال: أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه، فهل يملك عيسى شيئاً من ذلك؟ قالوا: لا. قال: أستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهل يعلم عيسى

شيئاً من ذلك إلا ما علم؟ قالوا: لا. قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء. فهل ذلك؟ قالوا: بلى. قال: ألسن تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث، وتعلمون أن عيسى حملته امرأة كحمل المرأة ووضعت كما تصنع المرأة، وغذي كما يغذي الصبي، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب، ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى. فقال صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يكون كما زعمتم فعفرؤا ثم أبوا، إلا جحوراً، ثم قالوا: يا محمد ألسن تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى. فأنزل الله تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه﴾، ثم أن الله تعالى أمر محمداً ﷺ بملاعتهم إذا ردوا عليه ذلك فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الملا عنه. روي أنهم لما دعوا إلى المباحلة، قالوا: حتى ننظر، فلما تخالوا قالوا لصاحب الرأي فيهم ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإذا أبيتم إلا ألف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا. فأتوا رسول الله ﷺ، وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلى خلفها صلوات الله عليهم أجمعين، والنبي ﷺ يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا. فقال: أسقفهم: يا معشر النصارى أني لأرى وجوهاً لو سألو الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا. فأذعنوا لرسول الله ﷺ وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء، وثلاثين درعاً من حديد، فقال: صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير، ولأضطرم الوادي عليهم ناراً ولا ستأصل الله نجران وأهله، وهذا من دلائل النبوة)).^١

٦- عن ابن عباس وقتادة والحسن، نزلت الآية في وفد نجران العاقب والسيد ومن معها، قالوا لرسول الله هل رأيت ولدأ من غير ذكر فنزل ﴿أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾، فقرأها عليهم فلما دعاهم رسول الله ﷺ إلى المباحلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله

فاحذروا مباہلته وان غدا بأصحابه فباہلوه، فانه على غير شيء، فلما كان الغد جاء النبي ﷺ آخذاً بيد علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه يمشيان وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي ﷺ قد قبل معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته وأحب الخلق إليه وهذان ابنا بنته من علي عليه السلام وهذه الجارية بنته فاطمة اعز الناس عليه وأقربهم إلى قلبه وتقدم رسول الله فجتا على ركبته قال أبو حارثة الأسقف جثا والله كما جثا الأنبياء للمباہلة فكع ولم يقدم على المباہلة، فقال السيد: ادن يا أبا حارثة للمباہلة فقال: لا أني لأرى رجلاً جريئاً على المباہلة وأنا أخاف أن يكون صادقاً، ولئن كان صادقاً لم يخل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الأسقف: يا أبا القاسم أنا لا نباہلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به فصالحهم رسول الله ﷺ على ألفي حلة من حلل الاواقي قسمه كل حله أربعون درهماً فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلاثين درعاً وثلاثين ربحاً وثلاثين فرساً أن كان باليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتاباً.

وروي أن الأسقف قال لهم أني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، وقال النبي: والذي نفسي بيده لو لا عنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم ناراً ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم قالوا: فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي وأهدى العاقب له حلة وعصا وقدحاً ونعلين واسلماً^(١).

٧- عن محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السدي في قوله تعالى: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم﴾ الآية، فأخذ النبي ﷺ بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلي: اتبعنا، فخرج معهم فلم يخرج يومئذ النصارى، وقالوا: إنا نخاف أن يكون هذا النبي ﷺ وليست دعوة كغيرها، فتخلفوا عنه يومئذ فقال النبي ﷺ: لو

خرجوا لا حرقوا، فصالحوه على صلح على أن له عليهم ثمانين ألفاً، فما عجزت الدراهم ففي العروض الحلة بأربعين، وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً وثلاثاً وثلاثين بعيراً وأربعة وثلاثين فرساً غازية كل سنة، وإن رسول الله ﷺ ضامن لها حتى تؤديها إليهم".

٨- عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسكم) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام فقال: ((اللهم هؤلاء أهلي)).

أقول:

تشير الآية إلى أن قوله تعالى (وأنفسنا وأنفسكم) إذ المقصود بالأنفس هنا نفس علي، وقد اتفق أئمة المفسرين على ذلك كالبيضاوي والطبري والرازي في تفاسيرهم. حيث لا يمكن أن يكون المراد هو نفس النبي، لأن الإنسان لا يدعو نفسه، فالمراد إذن في هذه الآية غيره وهو علي، ولأن نفس علي مثل نفس النبي وذلك بمقتضى التساوي من جميع الوجوه فيما عدا النبوة والوحي، أمّا عدا ذلك في حق النبي فيبقى معمولاً به في حق علي، ومحال أن يكون النبي قد دعا علياً لمجرد قرابته إذ لو كان كذلك لأحضر العباس وعقيلاً فلزم أن يكون قد اختصر علياً لكمال فضله. ولما كان النبي إماماً واجب الأتباع لازم الطاعة فقد وجب ذلك لعلي، وإذا كان النبي أفضل من جميع الأنبياء فضلاً عن الصحابة فقد وجب ذلك لعلي أيضاً، ولما كان

(١) تفسير الطبري ج ٣ ص ٢١٢.

(٢) تاريخ الخلفاء ص ١١٤. الصواعق المحرقة ص ٧٢. مستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٥٠. البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٠. ذخائر العقبى ص ٢٥. كفاية الطالب ص ٥٤. غاية المرام ص ٣٠١ الباب الثالث. وتاريخ دمشق الحديث (٢٦٨).

(٣) وذلك بدلالة قوله ﷺ: ((من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلقه وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فهو إذن قد اجتمع فيه من الفضائل ما كان متفرقاً في هؤلاء الأنبياء والمرسلين).

الفضل كله قد اجتمع له بمشابهته نفس النبي ولما كانت الإمامة لا تكون إلا للأفضل فقد وجب إذن أن يكون علي إماماً^١.

وعليه فإن آية المباهلة تدل على الفضل العظيم والمنزلة الكبرى والمنقبة العظمى لأهل بيت النبي ﷺ وذلك من وجوه.

منها: اختصاصهم باسم النفس والنساء والأبناء للرسول الكريم ﷺ دون سائر الأمة رجالاً ونساءً.

ومنها: دلالة الآية الشريفة على أن مع رسول الله ﷺ شركاء معه في الدعوة والدعاء والصدق مقابل الطرف الآخر الذين وصفوا بالكذب، وهذا يدل على أنهم في المنزلة كنفسه الشريفة وانحصار من هو قائم بدعواه من الأبناء والنساء والأنفس بمن أتى بهم.

فتجلى إذن عظمة المباهلة أنها لا قامة الحق ودحض الباطل وإبقاء الشريعة الحتمية والنور المحمدي: وهي تدل على فضل تام وورع كامل لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام حيث استعان بهم رسول الله ﷺ في الدعاء إلى الله تعالى والتأمين على دعائه لتحصل له الإجابة.

ويمكن أن نتزع من هذه الآية الكريمة بعداً آخر وهو بعد الامتداد والاستمرار لرسول الله ﷺ ولدوره في أهل البيت ﷺ. فأهل البيت هنا ليسوا مجرد أفراد معصومين اصطفاهم الله تعالى من بين عباده، وإنما هؤلاء الناس دور مهم خاص، يمثلون فيه الامتداد لرسول الله ﷺ لأنهم أبناء الرسول ونسأؤه ونفسه، عندما جاء رسول الله ﷺ بأهل بيته دون غيرهم من أصحابه.

ولعل السر في مجيء الحديث في الآية عن أهل البيت ﷺ بهذا التسلسل ولم يقل: أنفسنا وأنفسكم، ونساءنا ونساءكم، وأبنائنا وأبنائكم، وإنما قدم الأبناء على النساء والأنفس باعتبار الإشارة إلى هذه الخصوصية، فإن فيها الترقى من الأبناء، لأنهم الامتداد الطبيعي

للإنسان، تم إلى النساء باعتبارهن يمثلن عامل هذا الامتداد، لان الزهراء عليها السلام هي أم الأئمة الأطهار، ثم الترقى بعد ذلك إلى الأنفس تأكيداً لهذا الارتباط، لان المحور الرئيس في الحديث هو رسول الله ﷺ، كما انه محور النبوة والإمامة .



﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾

(آل عمران ١٠٣)

- ١- عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمد القطيعي قال: نحن حبل الله الذي قال الله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام المتمسك بالبر فمن تمسك به كان مؤمناً، ومن تركه كان خارجاً من الأيمان^(١).
- ٢- عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ انه قال: أيها الناس أي قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض^(٢).
- ٣- عن أسباط، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله سمعتك تقول اعتصموا بحبل الله فما حبل الله الذي نعتمد به فضرب النبي ﷺ يده في يد علي وقال: تمسكوا بهذا فهذا هو الحبل المتين^(٣).
- ٤- عن العياشي في تفسيره بإسناده عن ابن يزيد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ قال: علي بن أبي طالب حبل الله المتين^(٤).
- ٥- عن الحسين بن خالد، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يركب سفينة النجاة ويتمسك بالعروة الوثقى ويعتمد بحبل الله المتين فليوال علياً وليأتم بالهداة من ولده^(٥).

(١) الصواعق المحرقة ص ٩٠. نور الأبصار ص ١١٢. غاية المرام ص ٢٤٢. بتأنيع المودة ص ١٧٤. مجمع البيان ج ٢ ص ٤٨٢. كما ذكره فضائل الخمسة ج ٢ ص ٦٨.

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص ٤٨٢.

(٣) غاية المرام ص ٢٤٣ الباب ٣٦ الحديث الثالث.

(٤) غاية المرام ص ٢٤٣.

٦- عن محمد بن شهاب الزهري، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: قال لي جبرائيل: قال الله تعالى: ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني آمن من عذابي^(١).

أقول:

اخرج الإمام الثعلبي في معنى هذه الآية من تفسيره الكبير بالإسناد إلى أبان بن تغلب عن الإمام جعفر الصادق قال: نحن جبل الله. وعدا ابن حجر في الآيات النازلة فيهم فهي الآية الخامسة من آياتهم التي أوردها في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه فالتمسك بأهل البيت عليهم السلام تمسكاً صحيحاً يؤدي إلى عدم الفرقة وتنام الألفة، أن الله تعالى يقول في مقام الامتثال على المؤمنين بنعمة الألفة معظماً شأن الاختلاف: ﴿لَوْ أَتَقَفْتُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ فقدم التمسك بجبل الله والتدين بدينه القويم على عدم الفرقة، ولهذا وقع الحث على التمسك بهم لأنهم العلماء بكتاب الله عز وجل.

وقد حث النبي ﷺ على التمسك بهم حيث قرأهم بالكتاب الكريم، قال ﷺ: أني خلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً. لأنهم مصابيح الدجى الذين إحتج الله بهم على عباده. وهم من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم، وافترض مودتهم في الكتاب.

هم العروة الوثقى وهم معدن التقى وخير جبال العالمين وثيقها

وقد قال الإمام الشافعي، كما في رشفة الصادي للإمام أبي بكر بن شهاب الدين:

ولما رأيت الناس قد ذهب بهم	مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سنن النجا	وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت جبل الله وهو ولاؤهم	كما قد امرنا بالتمسك بالحبل

﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ﴾

﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ إِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾

(آل عمران ١٤٤)

١- عن أحمد بن حازم الغفاري، عن عمرو بن حماد، عن أسباط بن نصر، عن سماك بن حرب عن عكرمة، عن ابن عباس: أن علياً صلوات الله عليه كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل يقول: ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ إِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ والله لا تنقلب على أعقابكم بعد إذ هدانا الله، والله لئن مَاتَ أَوْ قُتِلَ، لأقاتل على ما قاتل عليه حتى أموت والله أني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه ومن أحق مني^(١).

٢- عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ إِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ يعني بالشاكرين علي بن أبي طالب عليه السلام والمرتدين على أعقابهم الذين ارتدوا عنه^(٢).

٣- عن الأصمعي بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول في كلام له يوم الجمل: أيها الناس أن الله تبارك اسمه وعزَّ جنده لم يقبض نبياً قط حتى يكون له في أمته من يهدي بهداه ويقصد سيرته ويدل على معالم سبيل الحق الذي فرض الله على عباده تم قرأ ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾^(٣).

(١) ذخائر العقبى ص ١٠٩. غايه المرام ص ٤٠٥ الباب ١٣١. الخصائص للنسائي ص ٨٥.

(٢) غايه المرام ص ٤٠٦ الباب ١٣١.

(٣) غايه المرام ص ٤٠٦ الباب ١٣٢ الحديث السابع.

أقول:

' يستفاد من هذه الآية لاختيار الناس وتمحيص المؤمنين، وإن هذه الآية الشريفة تبين حقيقة من الحقائق الواقعية، فإن الناس فيها على قسمين: قسم استعدت نفوسهم لنيل المعارف الإلهية وتمكنت فيهم فيكون حضور النبي وغيته عندهم على حد سواء، بل لا يرون غيبته غيبة حضور معارفه لديهم أبداً ويرون أن العمل بها منشأ لسعادتهم الدنيوية والاخرية قال تعالى: ﴿أَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفُرُوعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِأَذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١). وقسم آخر يكون إيمانهم طمعاً في الحطام أو خوفاً من الحسام فهم: ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^(٢). فلا محالة يميلون مع كل ريح بعد غيبته يميناً وشمالاً ويسعون وراء كل شهوة .

وفي أمالي الشيخ عن ابن عباس: ((أن علياً عليه السلام كان يقول في رسول الله ﷺ أن الله عز وجل يقول: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ولئن مات أو قتل قاتلت عليه حتى أموت والله أني لأخوه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني)) .

لقد كانت هذه الآية الكريمة طوال عمر علي عليه السلام في حياة الرسول وبعد وفاته لا تبارح ذاكرته، وأنها لتلح على وجدانه الحاحاً دائماً وعجيباً. فهو دائماً يذكرها فيتلوها، ويتبع تلاوته بكلماته ((والله لا نقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله)) .

ولكن الآية برهنت على أن الأمة انقلبت بعد رسول الله ﷺ على الخلافة الشرعية التي كانت تتجسد في شخص الإمام علي عليه السلام وغصبها منه بعد ما عهد إليه الرسول ﷺ في ذلك، ويؤيد ذلك أيضاً ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه في الجزء الثالث ص ١١٥ بإسناده عن علقمة قال: قال علي: عهد إلي النبي ﷺ أن الأمة ستغدرك من بعدي كما ذكر أيضاً في الحديث ١١٥٦

(١) سورة إبراهيم / ٢٤-٢٥ . (٢) سورة إبراهيم / ٢٦ .

بإسناده عن ثعلبه عن علي قال: أن القرية تكون فيها من الشيعة فيدفع بهم عنها: ثم قال: أبيت
إلا أن أقولها فوالله لعهد إلي من رسول الله ﷺ: أن الأمة ستغدر بي. وذكر في الحديث ١١٥٧
بإسناده عن أبي إدريس الأزدي عن علي قال: أن ما عهد إلي رسول الله ﷺ: أن الأمة ستغدر
بك بعدي. وجاء في غاية المرام ص ٥٧٢ أربعة عشر حديثاً في ذلك من طرق العامة.



﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ ❁ وسنجزي الشاكرين ﴿

(آل عمران ١٤٤، ١٤٥)

١- عن محمد بن مروان، عن جعفر بن محمد قال: قال ابن عباس: ولقد شكر الله تعالى علياً في

موضعين من القرآن: ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ ❁ وسنجزي الشاكرين ﴿^(١).

٢- عن حذيفة بن البيان، قال: لما التقوا مع رسول الله ﷺ بأحد وانهم أصحاب رسول الله ﷺ،

فأنزل الله: ﴿ولقد كنتم تمنون الموت﴾ إلى قوله تعالى ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ علياً وأبا

دجانة^(٢).

٣- عن أبان بن عثمان، عن أبي جعفر عليه السلام أنه أصاب علياً عليه السلام يوم أحد ستون جراحة وإن

النبي ﷺ أمر أم سليم وأم عطية أن تدأبياه فقالتا: أنا لا نعالج منه مكاناً إلا أنفتق مكان

آخر وقد خفنا عليه فدخل رسول الله ﷺ والمسلمون يهودونه وهو قرحة واحدة فجعل

يمسحه بيده ويقول إن رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى واعدز وكان القرحة الذي يمسحه

رسول الله ﷺ يلتئم فقال علي عليه السلام: الحمد لله إذ لم أفر ولم أؤلي الدبر فشكر الله له ذلك في

موضعين من القرآن وهو قوله ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ من الرزق في الدنيا ﴿وسنجزي

الشاكرين﴾^(٣).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٣٦.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٣٦.

(٣) مجمع البيان ج ٢ ص ٥١٥. الميزان في تفسير القرآن ج ٤ ص ٦٧.

أقول:

يستفاد من هذه الآية بوجود طائفة في مَنْ آمَنَ بالنبي ﷺ قد استحكم فيهم الدين واستقاموا على الصراط المستقيم وظهروا الشكر العملي ولم ينقلبوا على أعقابهم لأنهم دخلوا في زمرة الشاكرين الذين استقر فيهم الشكر.

فالشاكرون هم الذين ثبتوا على الأيمان وأقاموا على طاعة الله عز وجل والإخلاص له واستقر فيهم وصف الشكر فهم في حالة ذكر الله تعالى بالقول والعمل، وهم الأقلون الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾^{١٣}.

فالذين شكروا نعمة الرسالة ولم ينقلبوا ولم يحدثوا بعد الرسول ﷺ حدثاً ولم يبدلوا واستقاموا على ما أمرهم الله تعالى به ورسوله ﴿وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾. واعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
وان علياً عليه السلام وأهل بيته في غنى عن مدحة المادحين وتقريظ الواصفين بما لهم من تأييد الدين ونشر دعوة الحق المبين، فمودتهم واجبة والدعاء لهم فريضة .

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نَاعِسًا﴾

(آل عمران ١٥٤)

١ - عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نَاعِسًا﴾ الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام غشيه النعاس يوم أحد^(١).

أقول:

الغم، حالة تعرض على الإنسان عند المصائب والحزن، ومادة غمم تدل على الستر والخفاء فكان هذه الحالة تستر الفرح والسرور وتخفي أسارير الوجه وتضييق الصدر. والأمنة بالتحريك مصدر وهو بمعنى الأمن.

فالذي يستفاد من هذه الآية أن نزول النعاس كان معجزه خاصة للطائفة المؤمنة وإن الله تعالى أظهر قدرته وعنايته بهم في أنزال ما يوجب السكون والطمأنينة والأمن في حال تقتضي الحركة والاضطراب ولا يتصور فيها السكون فضلا عن النعاس فالمعجزة تظهر في جعل الفائدة والأثر في الأمر المضاد لتلك الحالة ظاهرا.

ويمكن أن يكون المراد من النعاس حالة الراحة والاسترخاء والسكون الموجبة للأمن، وإن المؤمن منهم بعد أنزال النعاس ينام حتى تحت ترسه كأنه آمن بخلاف غيره فإنه أهتمهم أنفسهم فلم يكرمهم الله تعالى بهذه المكرمة، فكانت هذه نعمة كبرى وسكينة إلهية وعناية خاصة بهم في هذه الحالة التي سلبت عنهم لبهم وازداد غمهم فكان النعاس لهم راحة للأجسام بعد الضعف والفتور، واطمئنان للقلب الذي أصابه الغم، والتسليم لقضاء الله وقدره، وهؤلاء هم الذين رجعوا إلى النبي ﷺ واحتفوا به ونصروه.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٣٣، وقال رواه فرائد في تفسيره ص ١٩ الحديث ٦٢.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(آل عمران ١٧٢)

١- ذكر ابن شهر آشوب قال: روي عن أبي رافع بطرق كثيرة انه لما انصرف المشركون يوم احد بلغوا الروحا قالوا: لا الكواعب أردفتهم ولا محمد قتلتم ارجعوا، فبلغوا ذلك رسول الله ﷺ فبعث في أثارهم عليا عليه السلام في نفر من الخزرج فجعل لا يرتحل المشركون من منزل الانزل علي عليه السلام، فانزل الله ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ وفي خبر أبي رافع أن النبي ﷺ نفل على جراحه ودعاه وبعثه خلف المشركين فنزلت فيه الآية.

٢- عن العياشي، عن جعفر بن محمد قال حدثني العمري بن علي، وحمدان بن سليمان، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرضا بن سالم الاشلي، عن سالم بن أبي مريم، قال: قال لي أبو عبد الله: أن رسول الله ﷺ بعث عليا في عشرة استجابوا لله والرسول من ما أصابهم القرح وقوله: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام.

٣- عن أبي رافع، أن رسول الله ﷺ بعث عليا في أناس من الخزرج حين انصرف المشركون من احد فجعل لا ينزل المشركون منزلا إلا نزله علي عليه السلام فانزل الله في ذلك ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾.

(١) غاية المرام ص ٤٠٨.

(٢) غاية المرام ص ٤٠٨. شواهد التنزيل ج ١ ص ١٣٤.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٣٢.

٤- عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لََّ وَالرَّسُولَ﴾ الآية، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام وتسعة نفر معه بعثهم رسول الله ﷺ في أثر أبي سفيان حين ارتحل فاستجابوا لله ورسوله^(١).

أقول:

يستفاد من هذه الآية هو الثناء الجميل لمن أحسن ممن استجاب لله ورسوله واتفق في أقواله وأفعاله وامتلأ أوامر الله تعالى والرسول بحسن نية وإخلاص واحترز عن كل ما يوجب البعد عنه عز وجل، فإن الله تعالى وإن وصف الجميع بالاستجابة إلا إنها اعم من الإحسان والتقوى اللتين عليهما مدار هذا الثناء والأجر الجزيل.

والاستجابة أمر ظاهري تشمل جميع من لبى دعوة الرسول ﷺ إلا أن وراء ذلك أمراً خفياً لا يمكن أن يطلع عليه إلا الله تعالى وهو مخبري الإخلاص، ومراقبة العمل والتحذر مما يشينه فانه الإحسان الذي أمرنا الله تعالى بابتغائه في جميع الأحوال. وإذا لازم ذلك التقوى والتحذر عما يوجب سخط الله تعالى في الأقوال والأفعال، فقد استحق العامل ذلك الثناء الجميل والعظيم الأجر، وهذا عما يختص به طائفة معينة. كما أن الإحسان والتقوى هما المنطوق إلى الله تعالى وإحراز الأجر العظيم والثناء الجميل وهذان الأمران لا يتوفران في كل أحد، والإحسان والتقوى يكشفان عن شدة الخلوص لله تعالى فيهم وكمال الإيمان عندهم وشدة ارتباطهم مع الله تعالى وذلك هو السبب في استحقاقهم لهذا الأجر العظيم.

فإن الآية تشير إلى بعض مقامات العارفين بالله في سيرهم وسلوكهم للوصول إليه سبحانه وتعالى، فتجاوزوا كل شيء وخرقوا جميع الحجب الظلمانية بهمهم العالية، فرأوا أن الأملاك قد وضعت أجنحتها تبركاً بمقدمهم ووصلوا إلى ما عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فنزلت عليهم أنوار الجمال واستشرقوا من مشارق الجلال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران ٢٠٠)

١- عن الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله «اصبروا» يعني في أنفسكم «وصابروا» يعني مع عدوكم «ورابطوا» في سبيل الله «واتقوا الله لعلكم تفلحون» نزلت في رسول الله وعلي وحمة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنهم^(١).

٢- عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن حماد بن عيسى، عن أبي الفتح، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل «اصبروا ورابطوا» قال: اصبروا على الفرائض، وصابروا، ورابطوا على الأئمة عليه السلام^(٢).

٣- عن عبيد الله بن موسى، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن علي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمران البجلي، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام، أن عباس بعث إليه من يسأله عن هذه الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا» فغضب علي ابن الحسين وقال للسائل: وددت أن الذي أمرك بهذا واجهني به ثم قال: نزلت في أبي وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد وسيكون ذلك ذرية في نسلنا المرابط. إلى آخر الحديث^(٣).

٤- عن العياشي في تفسيره بإسناده عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى «اصبروا» عن المعاصي «وصابروا» على الفرائض «واتقوا الله» يقول الله أمروا

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٠.

(٢) غاية المرام ص ٤٠٨ الباب ١٤٠ الحديث الأول، كما رواه في الحديث الثامن عن العياشي بإسناده.

(٣) غاية المرام ص ٤٠٨.

بالمعروف وانهموا عن المنكر، ثم قال: وأي منكر أنكر من ظلم الأمر لنا وقتلهم إيانا (ورابطوا) يقول في سبيل الله، ونحن سبيل الله، ونحن السبيل فيما بين الله وخلقه ونحن الرباط. فمن جاهد عنا فقد جاهد عن النبي ﷺ وما جاء به من عند الله، لعلكم تفلحون، يقول لعل الجنة توجب لكم أن فعلتم ذلك ونظيرها من قول الله، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين^٥.

٥- عن العياشي بإسناده قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام تبقى الأرض يوماً بغير عالم منكم يفرغ الناس إليه قال: فقال لي إذا يا عبد الله يا أبا يوسف لا تخلوا الأرض من عالم منا ظاهر يفرغ الناس إليه في حلالهم وحرامهم فإن ذلك بين في كتاب الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ اصبروا على دينكم وصابروا عدوكم ممن يخالفكم ورابطوا إمامكم فاتقوا الله فيما أمركم به وافترض عليكم^٦.

٦- عن العياشي بإسناده قال: وفي رواية عنه يعني الصادق عليه السلام اصبروا على الأذى فينا. قلت: فصابروا قال: عدوكم مع وليكم. ورابطوا قال: المقام مع إمامكم. واتقوا الله لعلكم تفلحون. قلت: تنزيل، قال: نعم^٧.

أقول:

يستفاد من هذه الآية أن الصبر فضيلة سامية، وخصلة حميدة فهو جوهر من جواهر العقل، وفضيلة من الفضائل الخلقية ونفحة من النفحات الروحية، يعتصم به المؤمن فيخفف من بأسائه ويدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان، وهو دعامة للأيان، تفرعت منه فروع البر والإحسان، ومنزل من منازل السالكين، ومقام من مقامات الموحدين، وهو محمود العاقبة،

(٣) غاية المرام ص ٤٠٩.

(٢) غاية المرام ص ٤٠٩.

(١) غاية المرام ص ٤٠٨.

وفيه النجاح والنجاة، فمن هداه الله بنور توفيقه ألهمه الصبر والتثبيت في حركاته وسكناته ولهذا عني القرآن الكريم بالصبر ومدحه ورفع منزلته وأثنى على المتحليين به ثناء لا مزيد عليه.

كما أن الآية تبين معنى المراقبة التي هي الملازمة والثبات والمواظبة، ومن هذا نعلم أن مأخذ المراقبة لا بد أن يكون الثقل الأكبر أي كتاب الله تعالى، والثقل الأصغر أي العترة الطاهرة الشارحة لكتاب الله والمبينة لإحكامه بكل دقائقها، وإلى ذلك يشير الحديث الشريف: ((أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) ولما كانت المراقبة هي تهذيب الكمالات الواقعية والثبات في تنفيذ أحكام الله تعالى وهذه الخصلة الحميدة تبين كيفية استمرار السعادة وتثبيتها بعد أصل ثبوتها فأنها لا تحصل إلا بالمراقبة، وهي الالتزام والثبات على منهج الأئمة لأنهم العارفون بأحكام الدين.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾

(النساء ١)

١- عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ نزلت في رسول الله وأهل بيته وذوي أرحامه وذلك أن لكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببه ونسبه (أن الله كان عليكم رقيبا) يعني حفيظا^(١).

٢- عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها، عن جدتها فاطمة الكبرى (رضي الله عنها) قالت: قال أبي رسول الله ﷺ: كل بني آدم يتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم. أخرجه الطبراني في الكبير وأخرجه أبو يعلى والحافظ عبد العزيز بن الأخضر في معالم العترة النبوية وابن أبي شيبه والخطيب البغدادي في تاريخه^(٢).

٣- وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وكل ولد آدم فان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فاني أنا أبوهم وعصبتهم. أخرجه أبو صالح والحافظ عبد العزيز بن الأخضر وأبو نعيم في معرفة الصحابة والدارقطني والطبراني في الأوسط^(٣).

٤- وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: توفي لصفية بنت عبد المطلب (رضي الله عنها) ابن، فبكت عليه، فقال لها رسول الله ﷺ: تبكين يا عمة من توفي له ولد في الإسلام، كان له بيت في الجنة يسكنه فلما خرجت لقيها رجل، فقال لها: إن قرابة محمد لن تغني عنك من الله شيئا فبكت، فسمع رسول الله ﷺ صوتها ففرغ من ذلك فخرج وكان ﷺ مكرما لها يبرها ويحبها فقال لها: يا عمة تبكين وقد قلت لك ما قلت؟ قالت: ليس ذلك أبكاني،

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٣٥. مواهب الرحمن ج ٧ ص ٢٥٤ عن أبي شهر آشوب.

(٢) ينابيع المودة ص ٣١٨. جواهر العقدين ق ٢ ج ١ ص ١٤٧.

(٣) ينابيع المودة ص ٣٢٠.

وأخبرته بها قال الرجل. فغضب ﷺ وقال يا بلال هَجِّرْ بالصلاة. ففعل ثم قام ﷺ وأثنى عليه وقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع، أن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسبيي وإن رحي موصولة في الدنيا والآخرة^١.

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: ما بال رجال يقولون أن رحم رسول الله ﷺ لا ينفع قومه يوم القيامة، بل والله أن رحي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيتها الناس فرط لكم على الخوض. رواه أحمد، والحاكم في صحيحه، والبيهقي من طريق عبد الله بن محمد^٢.

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أنا والعباس جالسين عند رسول الله ﷺ إذ دخل عليّ ﷺ، فسلم فردّ عليه النبي ﷺ، وقام إليه وعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتجبه؟ فقال: يا عم والله الله أشدّ حباً له مني، الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا. أخرج أبو الخير الحاكمي في أربعينه، ورواه صاحب كنوز المطالب في بني أبي طالب عن العباس^٣.

٧- وحكي بعضهم أن الرشيد قال لموسى الكاظم ﷺ: كيف قلتم نحن ذرية رسول الله ﷺ، واتم بنو علي، وإنما ينسب الرجل إلى جدّه لأبيه دون جدّه لأمه، فقرأ الكاظم ﷺ قوله تعالى ﴿ومن ذرية داود وسليمان﴾ إلى قوله: ﴿وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ ثم قال: وليس لعيسى أب وإنما الحق بذرية الأنبياء من قبل أمه، وكذلك ألحقنا بذرية النبي ﷺ من قبل أمنا فاطمة رضي الله عنها، وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾

(١) جواهر العقدين ق ٢ ج ١ ص ١٣٤. ذخائر العقبى ص ٦.

(٢) جواهر العقدين ق ٢ ج ١ ص ١٣٣. يتابع المودة ص ٣١٩.

(٣) جواهر العقدين ق ٢ ج ١ ص ١٥١.

ولم يدع صلى الله عليه وآله وسلم عند مباہلتهم غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء^(١).

أقول:

الآية الكريمة دالة بصراحة على تعظيم الرحم في حقه ولزوم مراعاته، والنهي الشديد على مقاطعته، كما أنها تدل على أن تقوى الأرحام من تقوى الله تعالى فيجب مراعاة حقوقها. وكذلك الأخبار الصحاح التي رواها الفريقان من العامة والخاصة كلها تزيد بالتأكيد على المحافظة في حق الرحم والايضاء به، ومما جاء من طريق العامة :

روي عن عبد الرحمن بن عوف: أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: أنا الرحمن وهي الرحم اشتقت اسمها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته.

وعن انس قال: قال رسول الله ﷺ: أن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع الله بهما المحذور والمكروه. ومن طريق الخاصة: روى الحسن بن راشد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: صلوا أرحامكم ولو بالتسليم.

وعليه فإن الرحم كان معظماً عند الناس ويتناشدون بحرمته قبل الإسلام، وعلى هذا جاء الحديث: أن الرحم معلق في ساق العرش يقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني.

ولا ريب في رحم آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين هي المتينة مما ورد في صلة الأرحام من الكتاب والسنة والأدلة العقلية .

في الكافي بإسناده عن محمد بن الفضيل الصيرفي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أن رحم آل محمد الأئمة المعلقة بالعرش تقول: صل من وصلني واقطع من قطعني ومعنى التعلق

بالعرش كونهم بوجودهم النوراني موجودين في هذا المقام العظيم يدعون لمن وصلهم وعلى من قطعهم وان رحم آل محمد ما كان متصلا إلى يوم القيامة لان ما سواه ينسون أنفسهم في تلك الأحوال والشدائد فضلا عن أرحامهم قال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأبيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يفنيه﴾^(١). وعليه فان كل رحم منقطع يوم القيامة إلا رحم آل النبي.

وعن ابن شهر آشوب بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ نزلت في رسول الله ﷺ وأهل بيته وذوي أرحامه وذلك أن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببه ونسبه ﷺ^(٢).

(١) عبس / ٣٧ .

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ج ٧ ص ٢٥٤ .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

(النساء ٢٩)

- ١- عن عباد بن صهيب، عن الكلبي، عن كامل أبي العلاء، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: لا تقتلوا أهل بيت نبيكم ﷺ.^(١)
- ٢- عن علي بن جعفر بن موسى، عن جندل بن والثي، عن محمد بن عمر، عن عباد، عن كامل، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال: لا تقتلوا أهل بيت نبيكم أن الله يقول: ﴿تَعَالَوْا ابْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ وكان أبناءنا الحسن والحسين، وكان نساءنا فاطمة، وأنفسنا النبي وعلي ﷺ.^(٢)

أقول:

أن المنصرف من الأنفس هي الأنفس التي لها موقعه عند الله تبارك وتعالى، وهي منحصرة برسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ الذين هم حملة القرآن وشراحه ويمكن أن يشهد لذلك ببعض الآيات والأخبار، فتختص الآية حيثئذ بأولياء الله الذين هم العلة الغائية لخلق العالم، وقد ورد في الحديث (من أذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) و(من أذاهم فقد أذى الله) فلا بد من الاحتفاظ على العلة الغائية فأنها العلة واقعا.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤١ .

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٢ . كما ذكره الخوارزمي في مناقبه الحديث ٣٦٥ .

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

(النساء ٥٤)

- ١- قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: أنها نزلت في علي عليه السلام وما خص به من العلم^(١).
- ٢- عن أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، عن يعقوب بن يوسف، قال حدثنا أبو عيان، عن مسعود بن سعيد عن جابر، عن أبي جعفر يعني محمد بن علي الباقر عليه السلام ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال: نحن الناس والله^(٢).
- ٣- أخرج الفقيه ابن المغازلي في المناقب عن ابن عباس: أن الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي رضي الله عنه^(٣).
- ٤- عن أيوب بن نوح بن دراج، عن محمد الفضيل، عن أبي الصباح قال: قال لي جعفر بن محمد: يا أبا الصباح أما سمعت الله يقول في كتابه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية قلت: بلى أصلحك الله. قال: نحن والله هم، نحن والله المحسودون^(٤).
- ٥- عن محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أنه قال: أهل البيت هم الناس^(٥).
- ٦- قال ابن الأعرابي في كتاب معجم الشيوخ: أنبأني الفلاحي، أنبأنا ابن عائشة، أنبأنا إسماعيل بن عمرو البجلي، عن عمرو بن موسى، عن زيد بن علي عن آبائه، عن علي قال: شكوت

(١) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٢٠.

(٢) غاية المرام ٢٦٨. الصواعق المحرقة ص ٩١. العمدة ص ٣١٧. البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٣٧٩.

ينابيع المودة ص ١٢١. فضائل الخمسة ج ٢ ص ٦٨. (٣) الغدير ج ٣ ص ٦١.

(٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٤. (٥) نور الأبصار ص ١١٢. إسعاف الراغبين ص ١٠٩.

إلى رسول الله ﷺ حسد الناس أيّ فقال: أما ترضى أن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيّائنا وشمائنا، وذرائنا خلف أزواجنا، وأشياعنا من ورائنا^(١).

٧- وفي تفسير العياشي بإسناده عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال، ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذي قال الله في كتابه ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ الآية^(٢).
أقول:

الحسد وهو غمّي زوال النعمة أو الفضيلة أو نحو ذلك عن المحسود. فإن للحسد تأثيراً قوياً في النظر في إزالة النعمة عن المحسود فإنه ربما يحمله حسده على قتل المحسود وأهلاك ماله، وأبطال معاشه، فكأنه سعى في غلبة المقدور لأنه الله تعالى قد قدر للمحسود الخير والنعمة وهو يسعى في إزالة ذلك.

في الكافي قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل لموسى بن عمران: يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتاهم من فضلي ولا تمدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني.

وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولأدم عليه السلام الاجتباء والهدى والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء، فكن محسود ولا تكن حاسداً، فإن ميزان الحاسد ابدأً يثقل ميزان المحسود.

(١) تذكرة الخواص ٣٢٣. شواهد التنزيل ج ١ هامش رقم ٢ ص ١٤٤، كما ذكره أحمد بن حنبل في الفضائل ص ١١٣ في الحديث ١٩٠.

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ٦١. غاية المرام ص ٢٠٧ الباب ٦١ الحديث (٢٢)، ورواه في الحديثين (٦، ٨) من الباب ٦١ بسند آخر.

والحسد أصله من عمي القلب وجحود فضل الله تعالى فهما جناحان للكفر . وقد قرن الله تعالى الحاسد بالشيطان والساحر فقال: ﴿ومن شر غاسقٍ إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد﴾ .

والمراد بالناس إذن هو سيدهم رسول الله ﷺ على ما يدل عليه ذيل الآية الشريفة ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكاً عظيماً﴾ وبما آتاهم الله تعالى من الفضل العظيم، وما إختص به الرسول من النبوة والرسالة ومن أتى أهل بيته من المقام الرفيع والمنزلة السامية ووجوب الطاعة وما حباهم من الفضل العظيم والمعارف الربوية، كل ذلك أدى إلى السبب في حقدهم الأكبر ضد الدين الحق والإسلام ولذا كان صراهم معهم مستمراً إلى أن تقوم الساعة.

هذه الحقيقة كانت قائمة من خلال التقارب في دائرة علي عليه السلام من النبي ﷺ حيث تربى في حضن رسول الله ﷺ وهو ابن عمه، تزوج من ابنته، فكان رسول الله ﷺ يدخل إلى بيت علي كما يدخل إلى بيته، وعلي يدخل على رسول الله ﷺ كما يدخل إلى بيته، هذه العلاقة كانت موجودة بدرجة عالية مما كان يثير في كثير من الأحيان الحسد أو الفيرة أو غير ذلك من الانفعالات حتى في دائرة الأشخاص القريبة لرسول الله ﷺ.

﴿قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾

(النساء ٥٤)

- ١- عن الفضل بن شاذان، عن محمد بن أبي عمر الأزري، عن هشام بن الحكم، عن جعفر بن محمد عليهما السلام في قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: جعل فيهم أئمة من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله^(١).
- ٢- عن حميد بن عبد الله بن يزيد، أن النبي ﷺ قال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت^(٢).
- ٣- عن جعفر بن أحمد قال: حدثني ابن شجاع، عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن قريب، عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر في قوله الله: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ قلت: ما هذا الملك ؟ فقال: أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، فهذا ملك عظيم^(٣).
- ٤- عن ابن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿قَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون في آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه في آل محمد ﷺ. قال: قلت: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم^(٤).

(١) الصواعق المحرقة ص ٩٣. أرجح المطالب ص ٧٦. كما رواه ابن المغازلي في المناقب في الحديث ٣١٧.

(٢) ذخائر العقبى ص ٢٠. الصواعق المحرقة ص ٩٠. فضائل الخمسة ج ٢ ص ٧٠.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٦.

(٤) غاية المرام ص ٢٦٨ الباب ٦١ في الحديثين (٤، ١٣) وص ٣٢٥ الباب ٢٢ في الحديث الرابع.

٥- عن العياشي بإسناده، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) فقد أتينا آل إبراهيم الكتاب قال: فهو النبوة والحكمة فهم الحكماء من الأنبياء من الصفوة، وأما ملك العظيم فهم الأئمة الهداة من الصفوة^(١).

أقول:

يستفاد من الآية الشريفة تعظيم آل إبراهيم الذين أتاهم الله تعالى الفضل العظيم، على أن المراد منها إبراهيم وهذا النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) باعتبار أنهم حفظه الكتاب ومستودع علم الرسول ﷺ. فإن الله تعالى أتاهم ما لم يئوت أحدا من العالمين، فقد أتاهم ملكاً عظيماً من النبوة والرسالة والولاية، وليس المراد بالملك هنا الملك الدنيوي المادي بل المراد بالملك العظيم هنا سلطان الرسالة وعظمة الدين والشرعية وزعامة الإمامة التي منحها لإبراهيم (عليه السلام)، وأهل بيت النبي محمد ﷺ وإنها ذكر عز وجل الكتاب والحكمة لأنها من مظاهر النبوة والإمامة.

(١) غاية المرام ص ٢٦٨ الباب ٦١ في الحديث ٢٦.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

(النساء ٥٩)

١- عن أبان بن أبي عياش قال: حدثني سليم بن قيس الهلالي، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: شركائي الذين قرنهم الله بنفسه وبني وانزل فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ الآية فإن خفتم تنازعاً في أمر فأرجعوه إلى الله والرسول وأولي الأمر. قلت: يا نبي الله من هم؟ قال: أنت أولهم^١.

٢- عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الذين صدقوا بالتوحيد ﴿أطيعوا الله﴾ يعني في فرائضه ﴿وأطيعوا الرسول﴾ يعني في سنته ﴿وأولي الأمر منكم﴾ قال: نزلت في أمير المؤمنين حين خلفه رسول الله بالمدينة فقال: أتخلفني على النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال له: اخلفني في قومي وأصلح: فقال الله: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ قال: علي بن أبي طالب ولاه الله الأمر بعد محمد في حياته حين خلفه رسول الله بالمدينة، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه^٢.

٣- عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: لما نزل رسول الله ﷺ الجرف وإذا خلفه علي بن أبي طالب يحمل سلاحاً، فقال يا رسول الله خلفتني عنك ولم أتخلف عن غزوة قبلها، وقد أرجف المنافقون في أنك خلفتني لما استقلتني!! قال سعد: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: يا علي إلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فأرجع فأخلفني في أهلي وأهلك^٣.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٨. (٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٩.

(٣) مستدرک الصحيحین ج ٢ ص ٣٣٧. المثالي ج ١ ص ١٧٧. تاريخ دمشق الحديث ٣٧٠. شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٠.

٤- عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالاً: لما كان عند غزوة جيش العُسرة وهي تبوك قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: انه لا بد من أن أقيم أو تقيم، فـخلفه، فلما فصل رسول الله ﷺ غزياً قال ناس ما خلف علياً إلا لشيء كرهه منه، فبلغ ذلك علياً فاتبع رسول الله ﷺ، حتى انتهى إليه، فقال له: ما جاء بك يا علي؟ قال: لا يا رسول الله إلا إني سمعت ناساً يزعمون أنك إنما خلفتني لشيء كرهته مني، فتضاحك رسول الله ﷺ وقال: يا علي أما ترضى أن تكون مني هارون من موسى غير أنك لست بنبي؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فإنه كذلك^(١).

٥- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ قال: أما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحب إليَّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له حين خلفه في بعض مغازيه، فقال علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبوة بعدي. وسمعت يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فقال: فتناولها فقال: ادعوا علياً، فأتي به أرمداً، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي^(٢).

٦- عن ابن شهر آشوب، عن تفسير مجاهد، أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين خلفه، رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: يا رسول الله أتخلفني على النساء والصبيان فقال يا أمير المؤمنين أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال: أخلفني في قومي

(١) الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٤.

(٢) أمد الغابة ج ٤ ص ٢٦. ينابيع المودة ص ٥٧. مسند أحمد ج ١ ص ١٨٥. صحيح مسلم شرح النووي

ج ١٥ ص ١٧٥. غاية المرام ص ٣٠٠ الباب الثالث.

وأصلح. فقال الله: ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: علي بن أبي طالب ولاه الله أمر الأمة بعد محمد وحين خلفه رسول الله ﷺ بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه^(١).

٧- عن أبي يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن موسى وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد أبي سعيد، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصيرة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فقال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام فقلت له: أن الناس يقولون: فما له لم يسم علياً وأهل بيته في كتاب الله عز وجل قال: فقولوا لهم أن رسول الله ﷺ نزلت عليه الصلاة لم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسر ذلك لهم، ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ونزلت في علي والحسن والحسين، فقال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال: صلى الله صلى عليه وآله وسلم: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيته فأنى سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما حتى يردهما علي الخوض فأعطاني ذلك، إلى آخر الحديث^(٢).

٨- عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: حدثنا محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن عبد الله بن محمد الحجاج، عن حماد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنَّكُمْ عَلَىٰ ذِكْرِهِمْ كَانَتْ ثُلُثُ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ عَلَىٰ سَائِرِ النَّاسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قال: لائمة من ولد علي عليه السلام وفاطمة إلى أن تقوم الساعة^(٣).

(١) غاية المرام ص ٢٦٣. الميزان في تفسير القرآن ج ٤ ص ٤١١.

(٢) غاية المرام ص ٢٦٥. شواهد التنزيل ج ١ ص ١٤٩.

(٣) غاية المرام ص ٢٦٧.

٩- عن عيسى بن السري: قلت لجعفر الصادق عليه السلام حدثني عما ثبت عليه دعائم السلام إذا أخذت بها زُكِّيَ عملي ولم يضرنني جهل ما جهلت؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله وحق في الأموال من الزكاة، والإقرار بالولاية التي أمر الله بها ولاية آل محمد عليهم السلام قال رسول الله ﷺ من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال الله عز وجل: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فكان علي صلوات الله عليه، ثم صار من بعده حسن ثم حسين، ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي وهكذا يكون الأمر، أن الأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وأخرج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا، وأهوى بيده يقول: حيثذ لقد كان على أمر أحسن".

١٠- عن الباقر والصادق عليهما السلام أن أولي الأمر هم الأئمة من آل محمد أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز أن يوجب إليه طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره وأمين منه الغلط والأمر بالقيح وليس ذلك بحاصل في الأمر ولا العلماء سواهم جلَّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه".

١١- عن ابن بابويه بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي: أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة

(١) يتابع المودة ص ١٣٧.

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ٦٤.

بالباقر ستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمعي محمد وكنيتي حجة الله في أرضه وبقيته في عبادته ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبه لا يثبت فيه إمامته إلا من امتحن الله قلبه للايمان^(١).

أقول:

لقد قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله بقوله: ﴿وَأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ ويعد ما أمر بطاعته والتمسك بأوامره إعطاه الولاية العامة على المسلمين فقال تعالى: ﴿الذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾.

وعلى ضوء هذه القاعدة خاطب الرسول محمد ﷺ الأمة بالولاية لعلي بن أبي طالب ﷺ على الأمة من بعده حيث لا بد للأمة من يقوم مقامه. والأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى من يوجهها بعد الرسول ﷺ نحو الفضيلة والتربية الصالحة خوفاً من الانحراف نحو الرذيلة والشهوات ثم لا بد لها من يسوسها وينظم حياتها في جميع المجالات أن كانت سياسية أو عسكرية أو دينية أو اجتماعية وبعد هذا كيف يتقل الرسول محمد ﷺ بدون تعيين لولي الأمر من بعده ويعرض الأمة إلى هزات عنيفة واختلاف في الرأي ويعرض متاعبه الجليلة للضياع وهذا ما لا يقره عقل سليم ولا يرضاه دليل علمي. فالتصريحات الدالة على تعيين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ للولاية كثيرة جداً حيث أن النبي ﷺ صرح بها كما أخرجها الحفاظ والرواة.

(١) الميزان في تفسير القرآن ج ٤ ص ٤٠٨.

فأولوا الأمر الواجب طاعتهم يجب أن تكون أوامرهم وأحكامهم موافقة تماماً لأحكام الله حتى تجب لهم الطاعة ولا يتسنى هذا إلا بعصمتهم إذ لو وقع الخطأ منهم لوجب الإنكار عليهم وذلك يضاد أمر الله بالطاعة لهم. واليك ما قاله بعض العلماء والمفسرين في هذا الصدد.

قال العلامة الحلي: تدل هذه الآية على بطلان اختيار الأمة للأئمة، إذ قرن الله طاعتهم بطاعته ورسوله فوحدة السياق وتساوي المتعاطفات في الحكم يقضي بالآي ينطق أولو الأمر عن الهوى حتى تجب طاعتهم، إذ لو ارتكبوا العصيان أو أمروا به لوقع التضارب بين وجوب طاعتهم وبين وجوب طاعة الله ورسوله من ناحية، وكذلك بين وجوب طاعتهم وبين وجوب زجرهم عملاً بأمره تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالإمام إذن وجب أن يكون معصوماً منصوفاً عليه من الله^(١).

وقال الفخر الرازي في تفسيره:

أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ، يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منه عتبه، فهذا يفضي إلى أجماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوماً^(٢).

(١) كتاب الأئمة ص ٤٠.

(٢) تفسير الرازي ج ١ ص ١٤٤.

ويقول السيد محمد تقي الحكيم:

ويؤيد هذا التقريب مساواتهم لله والرسول في وجوب طاعتهم مما يدل على أن جعل الطاعة لهم ليس من نوع جعلها للأميرين بالمعروف والناهيين عن المنكر بل هي من نوع إطاعة الله والرسول التي تجب على كل حال^(١).

وقال العلامة أحمد الاشتياني:

وجه الدلالة انه سبحانه قرن طاعة أولي الأمر بطاعة نفسه وطاعة رسوله وأوجب على الخلق إطاعتهم على الإطلاق، ولا يمكن أن يوجب الله عز وجل إطاعة أحد من الخلق على الإطلاق إلا من كان مأموناً من الخطأ والغفلة والسهو والنسيان وكان متصفاً بصفة العصمة وعالمًا بجميع أحكام الشرع حتى يكون كل ما أمر به أو نهى عنه حجة ويكون أمره ونهيه أمر الله تعالى ونهيه ويجب متابعتي في جميع أقواله وأفعاله^(٢).

وقال الطبرسي:

عن الباقر والصادق عليهما السلام أن أولي الأمر هم الأئمة من آل محمد وأوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز أن يوجب إليه طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره وأمين منه الغلط والأمر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم جلّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد وللمختلفين في القول والفعل لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه^(٣).

(١) الأصول العامة للفقه المقارن هامش ص ١٥٩.

(٢) لوائح الحقائق ص ٥ مبحث الإمامة.

(٣) جمع البيان ج ٢ ص ٦٤.

وعليه فان الامامية استدلووا بقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر﴾ على
إمامة الأئمة عليهم السلام وخلافتهم بعد الرسول الأعظم ﷺ، فقالوا أن الآية المباركة تدل
على أمور مهمة :

١- عصمة أولي الأمر حيث قرن طاعتهم بطاعة الرسول ﷺ، المطلقة غير المشروطة وقد اعترف
جع غفير من الجماعة على هذا الأمر، وان المراد من أولي الأمر هم الأئمة المعصومون عليهم
السلام.

٢- أن أولي الأمر اعلم الأمة بعد الرسول ﷺ فان من فرض طاعته لا بد أن يكون عالماً بجميع
الأحكام وجهات التشريع.

٣- أن أولي الأمر هم أفراد من هذه الأمة، لان معرفتهم لا بد أن تكون بنص جلي من النبي ﷺ
يبين أسماءهم وخصائصهم.

٤- أصالة منصب الرسول ﷺ ونيابة الإمام ﷺ وولي الأمر وخلافته عن الرسول ﷺ.

٥- أصالة منصب الرسول ﷺ في وصول الوحي إليه بخلاف الإمام ﷺ فانه يعرف الأمور
بالهام رباني أو بفهم ناقد أو غيرها كمصحف فاطمة عليها السلام أو بكتاب علي ﷺ

٦- أن الحاجة التي تدعو إلى الرسول ﷺ عين الحاجة التي تدعو إلى أولي الأمر فأنها تتضمن
مصالح مهمة لا تستقيم حال الأمة بدونها

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾

(النساء ٦٩)

١- عن أبي صالح، عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ يعني في فرائضه ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في سنته ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ يعني علي بن أبي طالب وجعفر الطيار وحمة بن عبد المطلب والحسن والحسين، هؤلاء سادات الشهداء ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ يعني سلمان وأباذر وصهيب وخباب وعمار، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ﴾ أي الأئمة الأحد عشر ﴿رَفِيقًا﴾ يعني في الجنة ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ منزل علي وفاطمة والحسن والحسين ومنزل رسول الله وهم في الجنة واحد.

٢- عن داود بن سليمان قال: حدثني علي بن موسى الرضا، قال: أخبرني أبي، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال: من النبيين محمد، ومن الصالحين الحسن والحسين ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ قال: القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣- عن حذيفة بن اليمان قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وقد نزلت عليه هذه الآية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ فاقرأنيها ﷺ، فقلت يا نبي الله فذاك أبي وأمي من هؤلاء أني أجد الله بهم

(١) النساء / ٧٠.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٣، كما ذكره الميزان في تفسير القرآن ج ٤ ص ٤١٤.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٤.

حفيّا ! قال: يا حذيفه إنّنا من النبيين الذين انعم الله عليهم أنا أولهم في النبوة وأخبرهم في البعث، ومن الصديقين علي بن أبي طالب ولما بعثني الله عز وجل برسالته كان أول من صدّق بي، ثم من الشهداء حمزة وجعفر، ومن الصالحين الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾ المهدي في زمانه^(١).

٤- وروى أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال: فالنبي رسول الله ﷺ ونحن الصديقون والشهداء وانتم الصالحون فتمسوا بالصلاح كما سماكم الله تعالى^(٢).

٥- عن الأعمش، عن الحكم بن عتيبه، عن قيس بن أبي حازم، عن أم سلمة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله الله سبحانه ﴿أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ قال: الذين انعم الله عليهم من النبيين أنا والصديقين علي بن أبي طالب، والشهداء الحسن والحسين والصالحين حمزة، ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾ الأئمة الاثني عشر بعدي^(٣).

٦- عن العياشي في تفسيره بإسناده عن عبد الله بن جندب، عن الرضا عليه السلام قال: حقّ على الله إن يجعل ولينا رفيقا للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا^(٤).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٥.

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ٧٢. غاية المرام ص ٤٢٧.

(٣) غاية المرام ص ٤٢٦. غاية المرام ص ٤٢٦.

(٤) غاية المرام ص ٤٢٧.

أقول:

المراد من الطاعة التي هي الوسيلة للوصول إلى الدرجات الرفيعة السامية والأفق القريب منه جل شأنه، وهي التي أكدت عليها الآيات الشريفة ودعى إليها الأنبياء والأولياء واهتموا بها لأنها المبعث لتكريم الإنسان ونيله إشرف المراتب واجلّ المقامات.

وبالطاعة الحقيقية ينال الإنسان الدرجات الرفيعة والمرتبات الشريفة، إنما جعل سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة جزاء الطائعين لله والرسول مرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

ولما كانت حقيقة العبادة هي الطاعة، وكل من أطاع الله بامثال الأوامر واجتناب النواهي فهو عابد، ولما كانت متعلقات الأوامر الصادرة من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ متنوعة كانت العبادة متنوعة فممنها الصلاة والصيام والحج والزكاة إلى غيرها من أنواع العبادات.

وفي كل ذلك كان علي عليه السلام غاية لا تدرك، كان متحلياً بها، مقبلاً عليها حتى أدرك بمسارحته إلى طاعة الله ورسوله ما فات غيره، وقصّر عنه سواه .

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(النساء ٨٣)

١- عن الشعبي، عن ابن عباس في تفسير مجاهد أن الآية نزلت في علي حين استخلفه في مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- عن العياشي في تفسيره، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ قال: هم الأئمة.

٣- وروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام ﴿فضل الله ورحمته﴾ النبي وعلي.

٤- وفي تفسير العياشي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ قال: الفضل رسول الله، ورحمته أمير المؤمنين.

٥- وعن عبد الله بن جندب، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في كتاب كتبه إليه في أمر الواقفية، أن الله يقول في محكم كتابه ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يعني آل محمد وهم الذين يستنبطون من القرآن ويعرفون الحلال والحرام وهم الحجة لله على خلقه.

(١) غاية المرام ص ٤٣٣.

(٢) غاية المرام ص ٤٣٣. كما رواه الطبرسي في مجمع البيان ج ٣ ص ٨٢. والميزان في تفسير القرآن ج ٥ ص ٢٦.

(٣) مجمع البيان ج ٣ ص ٨٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن ج ٥ ص ٢٧.

(٥) مواهب الرحمن ج ٩ ص ١٠٢.

أقول:

أن المراد بأولي الأمر في هذه الآية هم أنفسهم في قوله تعالى: ﴿وَأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^١. وهم الأئمة المعصومون الذين يستنبطون من القرآن، ويعرفون الحلال والحرام بما وهبهم الله تعالى من الذهن الثاقب والذوق الرفيع واختارهم هداية الناس، وهم قرناء القرآن العزيز ما أن تمسك بهم أحد لن يضل أبداً، لان بهما تحقق العدالة الاجتماعية وتظهر آثارها وتتعمق البشرية بنعم الدنيا ونعيم الآخرة وتطمئن نفوسها.

وأما أنه (صلى الله عليه وآله) فضل، لأنه واسطة في الفيض والمبلغ لما فيه التهذيب والرقى فهو السبب للكمال. وأما علي عليه السلام رحمة فلأنه واسطة في الإفاضة وسبب الدوام والبقاء والنهج العملي للوصول إلى الكمال.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾

(النساء ١٧٤)

- ١- قال الطبرسي في تفسيره: وقيل النور ولاية علي عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام.^(١)
- ٢- عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن ربيع المسلي، عن عبد الله بن سليمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال: البرهان محمد، والنور علي، والصراط المستقيم علي.^(٢)

أقول:

تدل الآية على عصمة الرسول ﷺ فانه البرهان الذي يكون متزهاً عن الخطأ والزيف، وعاصماً لغيره من الوقوع في الضلال وان علياً عليه السلام بلغ دين محمد ﷺ وبينه بلسانه وفعله وأخلاقه بل بوجوده، فلا غرو أن يكون صراطه ومنهجه صراط محمد ﷺ ومنهجه، فيكون نوراً يهتدي به الأمة.

(١) مجمع البيان ج ٣ ص ١٤٣.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٦٠ رقم ٩٣.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(المائدة ٣)

١- عن قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ دعا الناس إلى عليٍّ في غدير خم أمر بها تحت الشجرة من الشوك فقَمَّ وذلك يوم الخميس فدعا علياً، فأخذه بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض أبطي رسول الله، ثم لم يفرقوا حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على أكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتى، وبالولاية لعليٍّ ﷺ من بعدى. ثم قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله^(١).

٢- عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد عليٍّ فقال: ألسنت ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ١١ وانزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٢).

٣- عن المغيرة، عن أبي عبد الله ميمون قال: قال زيد بن أرقم: وأنا اسمع نزلنا مع رسول الله ﷺ بواي يقال له وادي خم وأمر بالصلاة فصلها بهجير، قال: فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: ألسنتم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من

(١) البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤٣٥. غاية المرام ص ٣٣٧. مجمع البيان ج ٣ ص ١٥٩. الغدير ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٩٠. البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٠. شواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٨.

نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه^(١).

٤- عن هارون بن عمرو بن عبد العزيز بن محمد ابو موسى المجاشعي قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه أبي عبد الله عليه السلام، قال المجاشعي وحدثنا الرضا علي بن موسى، عن أبيه موسى عليهما السلام، عن أبيه جعفر بن محمد وقال جميعاً عن آبائه عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بني الإسلام على خمس خصال، على الشهادتين والقريتين قيل له: أما الشهادتان فقد عرفناهما، فما القريتان قال: الصلاة والزكاة فانه لا يقبل احدهما إلا بالأخرى والصيام وحج بيت الله من استطاع إليه سبيلاً وتتم ذلك بالولاية فانزل الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢).

٥- عن العياشي بإسناده عن جعفر بن محمد الخزازي، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما نزل رسول الله ﷺ عرفات يوم الجمعة أتاه جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد أن الله يقرئك السلام ويقول لك قل لا منك ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بولاية علي بن أبي طالب ﴿وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ولست انزل عليكم بعد هذا فريضة، قد أنزلت عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج وهي الخامسة ولست اقبل هذه الأربعة إلا بها^(٣).

٦- عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ يوم غدیر خم: أفضل أعياد أمتي وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي علي بن أبي طالب عليه السلام علماً لأمتي يبتدون به من بعدي وهو اليوم الذي

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٦٨. كفاية الطالب ص ٥٩. الغدير ج ١ ص ٢٩٠.

(٢) غاية المرام ص ٣٣٨. كما ذكره الميزان في تفسير القرآن ج ٥ ص ٢٠٠.

(٣) غاية المرام ص ٣٣٩.

أكمل الله فيه الدين وأتم على أمتي فيه النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً ثم قال: معشر الناس علي مني وأنا من علي خلق من طيبي وهو إمام الحق بعدي يبين لهم ما اختلفوا فيه من سستي وهو أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ويعسوب المؤمنين وخير الرصين وزوج سيدة نساء العالمين وأبو الأئمة المهتدين، معاشر الناس من أحب علياً أحبته ومن أبغض علياً أبغضته ومن وصل علياً وصلته ومن قطع علياً قطعته ومن جفا علياً جفوته ومن والى علياً واليته ومن عادى علياً عاديته، معاشر الناس أنا مدينة الحكمة وعلي بن أبي طالب بابها ولن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب وكذب من زعم أنه يجنبي ويبغض علياً، معاشر الناس والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية ما نصبت علياً علماً لأمتي في الأرض حتى نوه الله باسمه في سماواته وأوجب ولايته على جميع ملائكته".

٧- عن البراء بن عازب قال: كنا عند النبي ﷺ في سفر منزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلى الظهر واخذ بيد علي وقال: أستم تعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى، فاخذ بيد علي وقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال: فلقبه عمر من بعد ذلك وقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة".

٨- عن الإمامين الباقر والصادق ﷺ قالاً: نزلت هذه الآية (يعني آية التبليغ) يوم الغدير، وفيه نزلت ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ قال: وقال الصادق ﷺ: أي اليوم أكملت لكم دينكم بإقامة حافظه، وأتممت عليكم نعمتي أي: بولايتنا، ورضيت لكم الإسلام ديناً أي: تسليم النفس لأمرنا".

(١) غاية المرام ص ٣٤١.

(٢) ذخائر العقبى ص ٦٧. تذكرة الخواص ص ٢٩.

(٣) الغدير ج ١ ص ٢٣٤ نقلاً عن كتاب الخصائص العلوية .

أقول:

أن الإسلام الذي هو مجموعة تشريعات ووظائف وأحكام وتوجيهات وإرشادات أنزلها الله تعالى لغرض إعداد الإنسان إعداداً علمياً وعملياً وعقائدياً ليكون عبداً قانتاً بوظائف العبودية. ومن المعلوم أنه لا يتم ذلك إلا بالدخول في ولايته تعالى وولاية رسوله ﷺ وأوليائه ﷺ بعده بالطاعة لهم والعمل بما جاء به الدين كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١). فيكون اليوم الذي أتم الله النعمة على المؤمنين هو اليوم الذي شرع فيه ما يكون موجبا للدخول في ولاية الله تعالى وولاية رسوله الكريم ومتما لهايتين النعمتين العظيمتين وهو اليوم الذي فرض فيه ولاية أولياء الله تعالى بعد الرسول ﷺ الذين بهم تقام أركان الدين ويسط العدل ويحمي دين الله تعالى، فهم القيمون على الشريعة بعد أن كان القيم عليها رسول الله ﷺ الذي كان مؤيداً بوحى الهي، فلماذا انقطع لابد من أن يقوم مقامه أحد في هذه المهمة العظيمة ويتم به ولاية الله تعالى وولاية الرسول الكريم فان ولاية الأئمة الطاهرين ﷺ هي نوع من فروع ولاية الله تعالى والرسول الأعظم ﷺ ولا ريب في أن لهاتين الولايتين دخلاً في نظامي التكوين والتشريع وتدل على ذلك روايات متعددة، وفي الدعاء المأثور (بكم يجبر المهيب وشفى المريض وتزداد الأرحام وتغيض).

وعليه فان الآية نزلت يوم غدیر خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وذلك في السنة العاشرة من الهجرة، وهي تشير إلى ولاية علي بن أبي طالب ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(المائدة ٥٤)

١- عن الثعلبي في تفسيره في تفسير قوله تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- عن محمد بن الحسن الشيباني في تفسيره نهج البيان في معنى الآية المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام.

٣- عن علي بن إبراهيم في تفسيره في معنى الآية قال: قال مخاطباً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه نزلت في علي عليه السلام.

٤- قال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير الآية قيل هم أمير المؤمنين علي عليه السلام وأصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين وروي ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قال: وروي عن علي أنه قال: يوم البصرة والله ما قاتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية. وقال أيضاً: ويؤيد هذا القول أن النبي وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية فقال فيه وقد ندبه لفتح خير بعد أن رد عنها حامل الراية إليه مرة بعد أخرى وهو يجيب الناس ويحبونه لأعطين الراية غداً

(١) غاية المرام ص ٣٧٤.

(٢) غاية المرام ص ٣٧٥.

(٣) غاية المرام ص ٣٧٥.

رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يده ثم أعطاه إياه^(١).

٥- ذكر الفخر الرازي في تفسيره في ذيل تفسير الآية الشريفة في سورة المائدة قال: وقال قوم: أنها نزلت في علي عليه السلام قال ويدل عليه وجهان: الأول: أنه عليه السلام لما دفع الراية إلى علي عليه السلام يوم خيبر قال: لأدفعنَّ الراية غداً إلى جل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذا هو الصفة المذكورة في الآية .

والوجه الثاني: أنه تعالى ذكر بعد هذه الآية قوله: ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(٢). وهذه الآية في حق علي عليه السلام، فكان الأولى جعل ما قبلها أيضاً في حقه^(٣).

أقول:

من الأحاديث الثابتة في حق علي عليه السلام عند الطرفين حديث الراية ولا يوجد حديث أجمع المسلمون على صحته إجماعهم على هذا الحديث، فقد اعترف بصحته حتى أشد أهل السنة تطرفاً كابن حزم وابن تيمية .

أما وجه الاستدلال على أحقيته بالإمامة أن هذه الصفات التي أوردها النبي صلى الله عليه وآله أصبحت خاصة بعلي عليه السلام فهو وحده الذي يحبه الله ورسوله كرار غير فرار وهذا يدل على الأفضلية وبالتالي الأحقية للإمامة من حيث أن الإمامة للأفضل .

وأما وجه اختصاص علي بهذه الصفات فهو عدم توافرها في غيره من حيث أن غيره لم يفتح الله على يديه الحصن، ولم يتصف بقول رسول الله ((كرار غير فرار)) وقد بلغ مدح

(١) مجمع البيان ج ٣ ص ٢٠٨. المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٢٢. تاريخ دمشق ج ٣ ص ١٢٧.

(٢) سورة المائدة / ٥٥.

(٣) فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٨٢.

النبي أقصى غاية المدح والتعظيم بتشريفه بمحنة الله ورسوله ولا شك أن الأحب أحق بالإمامة .

وعليه فإن هذه الآية مختصة بأمر المؤمنين، ومنذر بآسائه وبأس أصحابه كما نص عليه أمير المؤمنين يوم الجمل، وصرح به الباقر والصادق، وذكره الثعلبي في تفسيره، ورواه صاحب مجمع البيان عن عمار، وحذيفة، وابن عباس وعليه إجماع الشيعة، وقد رووا فيه صحاحاً متواترة عن أئمة العترة الطاهرة وهذا نظير قول رسول الله ﷺ: لن تنتهوا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالإيمان، يضرب أعناقكم وانتم مجفلون عنه إجمال الغنم، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا، قال عمر: أنا هو يا رسول الله، قال: لا، ولكنه خاصف النعل، قال: وفي كف علي نعل يخصفها لرسول الله ﷺ .

ومثله قوله صلى الله عليه وآله وسلم: أن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما فوّلتهم على تنزيله، فقال أبو بكر: أنا هو، وقال عمر، أنا هو، قال: لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة، فخرج علي ومعه نعل رسول الله ﷺ يخصفها، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد في مسنده، ورواه الحاكم في مستدركه، وأبو يعلى في المسند، وغير واحد في أصحاب السنن، ونقله عنه المتقى الهندي في ص ١٥٥ في جزئه السادس من الكنز.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

(المائدة ٥٥)

١- عن الثعلبي في تفسيره قال: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ: إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول (قال رسول الله) إلا قال الرجل (قال رسول الله) فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني، أنا جندب بن جنادة البصري أبو ذر الغفاري، سمعت النبي ﷺ بهاتين وإلا صمتا ورايته بهاتين وإلا فعميتا يقول عن علي عليه السلام: انه قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما أني صليت في مسجد رسول الله ﷺ يوما من الأيام الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه احد شيئا، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله ﷺ. فلم يعطني احد شيئا وكان علي عليه السلام في الصلاة راکعاً فأومىء إليه بخصره اليمنى وكان متختماً فيها، فاقبل السائل فاخذ الخاتم من خصره وذلك بمرأى من النبي ﷺ وهو يصلي، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم أن اخي موسى سألك فقال: ﴿رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون اخي، اشدد به أزري، وأشركه في أمري﴾.

فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾. وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من

أهلي عليا اشدد به ظهري، قال أبو ذر فيما استتم رسول الله ﷺ كلامه حتى نزل جبرائيل من عند الله فقال: يا محمد اقرأ، فقال: وما أقرأ؟ فانزل الله عليه ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(١).

٢- عن أنس بن مالك قال: أن سائلا أتى المسجد وهو يقول من يقرض المني الوفي؟ وعليه رايح يقول بيده اخلعه للسائل أي اخلع الخاتم من يدي. قال رسول الله ﷺ يا عمر وجبت قال: بابي أنت وأمي يارسول الله ما وجبت؟ قال: وجبت له الجنة، والله خلعه من يده حتى خلعه من كل ذنب ومن كل خطيئة. قال: فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرائيل ﷺ بقوله عز وجل ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(٢).

٣- عن ابن عباس قال: تصدق علي بخاتمه وهو راكع فقال النبي ﷺ للسائل: من أعطاك هذا الخاتم قال: ذاك الراكع. فانزل الله فيه ﴿إنا وليكم الله ورسوله﴾ الآية، وكان في خاتمه مكتوبا ((سبحان من فخرني بأني له عبد)) ثم كتب في خاتمه بعد ((الملك لله))^(٣).

٤- عن عمار بن ياسر قال: وقف بجانب علي ﷺ سائل وهو راكع في صلاة تطوع، فترع خاتمه فأعطاه السائل، فأتى رسول الله ﷺ فاعلمه بذلك فنزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ فقرأها

(١) مطالب السؤل ص ٣١. تذكرة الخواص ص ١٥. نور الإبصار ص ٧٧. الفصول المهمة ص ١٠٨. تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ٤٣١. تفسير الطبري ج ٦ ص ١٦٥. درر السبطين ص ٨٧. روح الجنان ج ٤ ص ٢٤٥. مجمع البيان ج ٣ ص ٢١٠. الغدير ج ٢ ص ٥٢.
(٢) كفاية الطالب ص ٢٢٩ الباب ٦١. الغدير ج ٣ ص ١٦٢.
(٣) كنز العمال ج ١٥ ص ٩٥. الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٣.

رسول الله ﷺ على أصحابه ثم قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه^(١).

٥- عن عبد الله بن سلام قال: أذن بلال لصلاة الظهر فقام الناس يصلون فممن بين راکع وساجد وسائل يسأل فأعطاه علي عليه السلام خاتمه وهو راکع، فآخبر السائل رسول الله ﷺ فقرا علينا رسول الله ﷺ ﴿إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راکعون﴾^(٢).

٦- عن ابن عباس قال: اقبل ابن سلام ونفر من قومه آمنوا بالنبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله أن منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله تعالى ورسوله وصدقناه ورفضونا وآلوا على نفوسهم أن لا يجالسونا ولا يتكلمونا ولا يكلمونا، فشك ذلك علينا، فقال: لهم النبي ﷺ ﴿إنا وليكم الله ورسوله﴾ ثم أنه ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراکع، فبصر بسائل فقال: هل أعطاك أحد شيئا؟ فقال: نعم خاتم من فضة. فقال: من أعطاك؟ فقال: ذلك القائم، وأوماً إلى علي عليه السلام فقال النبي ﷺ: على أي حال أعطاك فقال: وهو راکع، فكبر النبي ﷺ ثم تلا هذه الآية: ﴿إنا وليكم الله ورسوله﴾^(٣).

٧- عن سفيان الثوري قال: حدثني الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿إنا وليكم الله ورسوله﴾ يعني ناصرهم الله (ورسوله) يعني محمدا ﷺ ثم قال: ﴿والذين آمنوا﴾ فخص من بين المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ﴿الذين

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٣. مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٧. البرهان ج ١ ص ٤٨٢. غايه المرام ص ١٠٦. كما رواه السيوطي في لباب الغفر ص ٩٣ بعدة طرق.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٠٢. الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) تفسير روح المعاني ج ٢ ص ٣٢٩. المناقب للخوارزمي ص ١٨٦. مجمع البيان ج ٢ ص ٢١٠. غايه المرام ص ١٠٦. كفاية الطالب ص ٢٥٠ الباب ٦٢. شواهد التنزيل ج ١ ص ١٨٢.

يقيمون الصلاة» يعني يتمون وضوءها وقراءتها وركوعها وسجودها «ويؤتون الزكاة وهم راكعون» وذلك أن رسول الله ﷺ صلى يوماً بأصحابه صلاة الظهر وانصرف هو وأصحابه فلم يبق في المسجد غير علي قائماً يصلي بين الظهر والعصر إذ دخل عليه فقير من فقراء المسلمين فلم ير في المسجد أحداً خلا علياً فاقبل نحوه فقال: يا ولي الله بالذي تصلي له أن تتصدق عليّ بما أمكنتك. وله خاتم عقيق ياتي أحمر كان يلبسه في الصلاة في يمينه فمدّ يده فوضعها على ظهره وأشار إلى السائل بنزعه، فنزعه ودعا له، ومضى وهبط جبرائيل فقال النبي ﷺ لعلي: لقد باهى الله بك ملائكته اليوم اقرأ «إنما وليكم الله ورسوله».

٨- عن ابن مردويه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» فخرج رسول الله ﷺ فدخل المسجد والناس يصلون بين راعٍ وقائم وإذا سائل فقال: يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً فقال: لا، إلا ذاك الراكع - لعلي بن أبي طالب - أعطاني خاتمه".

٩- قال ابن أبي الحديد:

وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقه دون المسلمين كافة، وهو الذي تصدق بخاتمته وهو راعٍ، فانزل الله فيه: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون».

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٦٤.

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٨. تفسير بن كثير ج ٢ ص ٧١. كنز العمال ج ١٥ ص ١٤٦. المناقب للخوارزمي ص ١٨٧. معرفة علوم الحديث ص ١٢٧. تاريخ دمشق ج ٤١ ص ١٣٩. غاية المرام ص ١٠٤. فضائل الخمسة ج ٢ ص ١٥ نقلاً عن الدر المنثور.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢٧٦.

١٠- وفي احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أصحاب الشورى قال: نشدكم بالله هل فيكم احد نزلت فيه هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ غيري قالوا: لا^(١).

١١- وفي احتجاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير يقول فيه: معاشر الناس ما قصرت في تبليغ ما أنزل الله تعالى إليّ، وأنا مبين لكم سبب نزول هذه الآية: إن جبرئيل عليه السلام هبط إليّ مراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربي وهو السلام أن أقوم في هذا المشهد فاعلم كل ابيض واسود أن علي بن أبي طالب عليه السلام أخي ووصي وخليفتي والإمام من بعدي الذي عله مني محل هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي وهو وليكم من بعد الله ورسوله وقد انزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آية من كتابه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وعلي بن أبي طالب عليه السلام أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راکع يريد الله عز وجل في كل حال^(٢).

أقول:

الولي إنما هو الأول بالتصرف. وقد صرح اللغويون بأن كل من ولي امراً واحداً فهو وليه فيكون المعنى، أن الذي يلي أموركم فيكون أولى بها منكم إنما هو الله ورسوله وعلي بن أبي طالب عليه السلام لأنه هو الذي اجتمعت به هذه الصفات ونزلت فيه الآية وقد اثبت الله فيها الولاية لنفسه ولنبيه ولوليه على نسق واحد فولاية الله عامة وولاية النبي والولي علي مثلها. والآية الكريمة تقول: ﴿النبي أول بالمؤمنين من أنفسهم﴾ والرسول أعطى هذه الولاية لعلي بن أبي طالب بقوله: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه))

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٠٢.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٧٣.

فالولاية هنا إذن تعني تصرفاً كتصرف الله ورسوله ولا يكون ذلك إلا للإمام، أما إطلاق لفظ الجمع على أمير المؤمنين فيعلل الطبري في تفسيره على أنه تفخيم له وتعظيم وذلك مما هو معروف عند أهل اللغة.

أما الزنجشيري في كشفه فيرى أن ذلك ترغيباً للناس في مثل فعله فينالوا مثل نواله إذ يجب على المؤمنين أن يكون حرصهم على البر والإحسان حتى أن لزومهم أمر الصلاة لم يتأخروا إلى الفراغ من أدائها.

أما عبد الحسين شرف الدين فيذكر تعليل ورود الآية بصيغة الجمع بقوله: أن المنافقين وأعداء علي ما كانوا يطيقون أن يستمعوا للآية على سبيل المفرد إذ لا يبقى لهم مطمع في التمويه ولا ملتصق في التضليل فيكون منهم بسبب بأسهم مما تخشى عواقبه على الإسلام فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها للمفرد واتقاء من معرفتهم، ثم جاءت النصوص تترى بعبارات مختلفة ومقامات متعددة وتثبت فيهم أمر الولاية تدريجياً، وهذه حكمة مطردة في كل ما جاء في القرآن الكريم في آيات فضل أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين^(١).

وللقزويني في كتابه المناظرات تفسير آخر لورود الآية بصيغة الجمع مع دلالتها على علي إذ يقول: أن أيراد الذين آمنوا بصيغة الجمع بعد ذكر الله ورسوله إنما لبيان عدم جواز التعدد في الخالق، ولا في نبيه بخلاف ذلك في الإمام فإنه لا بد من تعدده ولزوم إمام في كل زمان، إذ يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَدْعُو كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فكل أناس إذن قد اختصوا بإمام يجب عليهم التصرف به والانقياد إليه. وعليه فإن الآية الكريمة أشارت إلى عمل إنساني قام به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أثناء صلته بالله من طريق محراب الصلاة حيث جمع بين أداء الواجب الإنساني والواجب العبادي. وقد أجمع المفسرون على نزولها في علي بن أبي طالب عليه السلام إذ تصدق بخاتمته على سائل وهو في الركوع، فقد تجاوزت المصادر حد الاستضافة والتواتر من مراجع كتب التفسير والأحاديث مما يدل صراحة على إجماعهم واتفاقهم على أن آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ

الله» نازلة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وانها كرامة له من الله تعالى دون بقية الصحابة. وإلى هذا المعنى أشار شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسان بن ثابت بقوله: بعد أن استأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرض علياً عليه السلام بشعره فأذن له:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي	وكل بطيء في الهدى ومسارع
أبذهب مدحي في المحبين ضائعاً	وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت أن كنت راعماً	زكاة فدتك النفس يا خير راعع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وثبتها مثني كتاب الشرائع

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
وَلَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

(المائدة ٦٧)

١- عن زيد بن أرقم: لما نزل النبي ﷺ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع وكان في وقت الضحى وحر شديد أمر بالدوحات فقامت ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب فخطب خطبة بالغة ثم قال: أن الله تعالى أنزل إليّ ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض واسود: أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المؤذنين لي واللائمين لكثرة ملازمتي وشدة إقباله عليه حتى سموني أذنًا، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُوْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ خَيْرُ لَكُمْ﴾" ولو شئت أن اسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكرمت، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه فاعلموا.

معاشر الناس ؟ ذلك فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماضي حكمه، جازئ قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم وعليّ إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة حلال إلا ما أحلّه الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم، فما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه فلا تضلوا عنه ولا تستكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نكراً أبد الأبد، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل من الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي

عن جبريل عن الله، فلتنتظر نفس ما قدّمت لغد. افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا آخذ بيده وشاغل بعضه ومعلمكم: أن من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ومولاته من الله عز وجل انزلها عليّ. إلا وقد أدّيتُ، ألا وقد بلغتُ، إلا وقد أسمعْتُ، ألا وقد أوضحت لا محلّ أمرة المؤمنين بعد لأحد غيره، ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركة النبي ﷺ وقال: معاشر الناس؟ هذا أخي ووصي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلى تفسير كتاب ربي. وفي رواية اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، واغضب على من جحد حقه، اللهم انك أنزلت عند تبين ذلك في عليّ، اليوم أكملت لكم دينكم، بإمامته فمن لم يأتهم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. إن إبليس أخرج آدم ﷺ من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم. في عليّ نزلت سورة والعصر أن الإنسان لفي خسر.

معاشر الناس؟ امنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أديبارهم ولنلنهم كما لعنّا أصحاب السبت. النور من النور فيّ ثم في عليّ ثم في النسل منه إلى القائم المهدي.

معاشر الناس؟ سيكون من بعدي أئمةٌ يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، وإن الله وأنا يرثان منهم أنهم وأنصارهم وإتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلوننا ملكاً اغتصاباً فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان؟ ويرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصرون^(١).

٢- عن ابن عباس قال: لما أمر الله رسوله ﷺ أن يقوم بعليّ فيقول له ما قال فقال: يا رب أن قومي حديث عهد بجاهلية ثم مضى بحجه فلما أقبل راجعاً نزل بغدير خم انزل الله عليه

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨. فتح القدير ج ٢ ص ٥٧. كما رواه الغدير في الجزء الأول ص ٢١٧ نقلاً عن تفسير الطبري.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية. فأخذ بعصده عليٌّ ثم خرج إلى الناس فقال: أيها الناس؟ الست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأعن من أعانته، واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه. قال ابن عباس: فوجبت والله في رقاب القوم^(١).

٣- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ تحت شجرة وأخذ بيد علي وقال: الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى يا رسول الله، فقال: ألا، من أنا مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فلقبه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وفيه نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢).

٤- قال الرازي في تفسيره:

نزلت الآية في فضل عليٍّ، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقبه عمر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(٣).

٥- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نصب رسول الله ﷺ علياً علماً فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله وانصر من نصره، اللهم أنت شهيد عليهم، قال عمر بن الخطاب يا رسول الله - وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح - قال لي عمر لقد عقد رسول الله ﷺ عقداً لا يجمله إلا منافق

(١) الغدير ج ١ ص ٢١٧.

(٢) ينابيع المودة ص ٢٩٧. كما رواه الغدير في ج ١ ص ٢٢٠ نقلاً عن مودة القريب مع اختلاف في نص

(٣) تفسير الرازي ج ٣ ص ٦٣٦.

العبارات.

فأخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: يا عمر انه ليس من ولد آدم لكنه جبرائيل أراد أن، يؤكد عليكم ما قلته في علي لهلك^(١).

٦- عن علي بن محمد بن سليمان التوفلي قال: حدثني أبي قال: سمعت زياد بن المنذر يقول كنت عند أبي جعفر محمد بن علي وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له: الاعشى كان - يروي عن الحسن البصري - فقال له: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك أن الحسن يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا من الرجل ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ فقال: لو أراد أن يخبر به لا خبر به ولكنه يخاف. أن جبريل هبط على النبي ﷺ فقال له: أن الله يأمرك أن تدل أمتك على صلاتهم، فدلهم عليها، ثم هبط فقال: أن الله يأمرك أن تدل أمتك على زكاتهم، فدلهم عليها، ثم هبط فقال: أن الله يأمرك أن تدل أمتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ليلزمهم الحجة من جميع ذلك. فقال رسول الله: يا رب ان قومي قريبو عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم واني أخاف فانزل الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه، اخذ بيد علي بن أبي طالب ثم قال: يا أيها الناس من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من ولاء وعاد من عاداه، وانصر من نصره وأحب من أحبه وابغض من أبغضه^(٢).

٧- عن العياشي بإسناده، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما أنزل الله على نبيه ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس انه الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال: يا أيها الناس انه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبل إلا وعمر - ثم دعاه فأجابه - وأوشك أن أدعى فأجيب وأنا مسؤول

(١) ينابيع المودة ص ٢٩٧.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٩١.

وانتم مسؤولون فما انتم قائلون قالوا: نشهد انك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك فجزاك الله أفضل ما جرى المرسلين فقال: اللهم اشهد ثم قال: يا معشر المسلمين ليبلغ الشاهد الغائب أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي إلا أن ولاية علي ولايتي عهداً عهده إليّ ربي وأمرني أن ابلغكموه ثم قال: سمعتم ثلاث مرات يقولها فقال قائل قد سمعنا يا رسول الله^(١).

أقول:

كانت هذه الواقعة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة في السنة العاشرة من الهجرة، وقد أخرج هذه الحادثة واثبت صحتها جملة من أئمة التفسير كالحاكم في مستدركه وأحمد بن حنبل في مسنده وابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة والخطبي في سيرته.

وقد علل السيد عبد الحسين شرف الدين في مراجعته وقوع هذه الحادثة بقوله: كيف يجمع النبي تلك الألوف المؤلفة قبل أن يفرقوا بعد الحج، ويتم بحبسهم في تلك الرمضاء حتى يلحق به من تأخر عنه من الجمع ويرجع إليه من تقدم منهم، ثم ينزلهم في العراء على غير كلاً ولا ماء، ثم يخاطبهم ليبليغ الشاهد منهم الغائب، ثم ينعى إليهم نفسه ويسألهم عما سبق أن سلموا به من الأيمان بالله وبرسوله والكتاب والحساب ثم يردف ذلك بوجوب موالة علي، ولماذا خصه بالدعوات من الله أن يولي من والاه ويعادي من عاداه وينصر من نصره ويخذل من خذله، وَلِمَ أشهدهم على ذلك وَلِمَ احتاج لهذه المقدمات كلها ليعلم على الناس وجوب موالاته؟ وكيف يقصد بآية التبليغ طلب الله منه نشر رسالة التوحيد وقد نزلت بعد حجة الوداع تحوطه مئات الآلاف من الذين آمنوا بالتوحيد، والنبي على وشك أن يرحل من الدنيا، وأي مهمة استوجبت من الله التوكيد واقتضت الخوض على تبليغها بما يشبه التهديد وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه إذا كان كل هذا مجرد أن

يقصد به أن يعلن مجرد نصرته المسلمين لعلي وصدافتهم له، وهذا أمر بيتن لا يحتاج إلى بيان، أفكان كل هذا الجمع وهذه المقدمات لتوضيح الواضحات وبيّن ما هو في حكم البدييات أم يكون من المستساغ عقلاً أن المناسب للمقام في هذا الهجير واللاتق بمعنى أقواله يوم الغدير أن يعلن النبي وصيته ويبلغ عهده ويعين القائم مقامه من بعده، فلا سبيل إلى صرف معنى الولي أو المولى إلى معنى من هذه المعاني المختلفة، وهذا واضح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد^١.

وعليه فإن هذه الحادثة تهدف إلى ما يأتي:

- ١- تأكيد حادثة غدير خم وانتشارها بين جميع المسلمين في شبه الجزيرة العربية.
- ٢- التأكيد أن وصية النبي لعلي من الله لا من عنده وبالرغم إلى أن ما نسب إلى النبي في خطبته يوم الغدير لا يدع مجالاً للشك أنها وصية من الله، فإن تأكيد الخلافة من الله كان لا بد أن يتم عن طريق سائل يسأله صراحة: أهذا أمر من عنده أم من الله؟.
- ٣- التأكيد مرة ثانية أن وصية النبي لعلي ليست فقط من الله من شاء أخذ بها ومن شاء تركها، وإنما هي فرض ديني وواجب شرعي يأثم تاركه ويعد مشركاً، فقد نال هذا الذي قبل جميع أركان الإسلام الخمس وآمن بها ثم تشكك في ولاية علي غضب الله على نحو لم يقع لأحد من معاصري رسول الله مسلمين أو مشركين، إذ ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وإنما هو غضب الله وقع على منكري رسالات الأنبياء الغابرين.
- أن بيعة الغدير من أوثق الأدلة وأكثرها وضوحاً على اختصاص الخلافة والإمامة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

(الأنعام ٨٢)

١- عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني صدقوا بالتوحيد هو علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يعني لم يخلطوا إيمانهم ﴿بِظُلْمٍ﴾ يعني الشرك، قال ابن عباس: والله ما آمن أحد إلا بعد شرك ما خلا علياً فإنه آمن بالله من غير أن أشرك به طرفة عين ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من النار والعذاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يعني مرشدون إلى الجنة يوم القيامة بغير حساب، فكان علي أول من آمن به وهو من أبناء سبع سنين^(١).

أقول:

كان علي عليه السلام وهو طفل لم يبلغ بعد الثامنة من عمره ليدخل المدرسة الإسلامية كأول تلميذ ليكون دعامة قوية للدين الجديد.

بدأ علي عليه السلام يشهد المدرسة الحديثة في بيت محمد صلى الله عليه وسلم، ويشهد المدرسة القديمة في المحيط العام، وسرعان ما هضم الفارق بين المدرستين، وعرف التضاد في كل منهما وفي منهجهما، فبرز للمجتمع يقول كلمته: ((انتم معشر العرب، على شر دين وفي شر دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيات صمّ، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دمائكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة))^(٢). وبهذا يكون الإمام عليه السلام قد أبدى رأيه وموقفه من مدرسة المجتمع الراكزة وسط المحيط الذي كان يعيشه،

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٩٧.

(٢) نهج البلاغة/ صبحي الصالح/ المخططة ٢٦.

وهو إلى ذلك يريدكم أن تكونوا بشراً بعقولهم، وأدميين بعلاقاتهم، فلم يرض لهم عبادة الحجارة والصنم.

على هذا المنهاج المحمدي وفي مدرسة الرسالة الأولى حيث غار حراء، تتلمذ الإمام الخليلي وهو بعد ذاك لم يتأثر بشيء من ذلك العصر وإنما تأثر منه وأثر فيه، حيث كان بطلاً يجول، وإماماً يحكم، وقائداً يربي.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
وَصَّاتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(الأنعام ١٥٣)

١- عن قتادة، عن الحسن البصري في قوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ قال: يقول: هذا طريق علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته طريق مستقيم ودين مستقيم فاتبعوه وتمسكوا به فإنه واضح لا غوج فيه^(١).

٢- عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ هو والله علي هو والله الصراط والميزان^(٢).

٣- عن علي بن يوسف بن جبير، في كتاب نهج الايمان قال: الصراط المستقيم هو علي بن أبي طالب عليه السلام في هذه الآية كما رواه إبراهيم الثقفي في كتابه بإسناده إلى أبي بريدته الاسلمي قال: قال رسول الله ﷺ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ قال: سألت الله أن يجعلها لعل ففعل قلت: وروى ابن شهر آشوب في كتاب المناقب هذا الحديث عن إبراهيم الثقفي عن أبي بريدته الاسلمي قال: قال رسول الله ﷺ الحديث بعينه^(٣).

٤- عن محمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام قالوا: الصراط المستقيم الإمام، ولا تتبعوا السبل يعني غير الإمام فتفرق بكم عن سبيله ونحن سبيله^(٤).

(١) غاية المرام ص ٤٣٤ الباب ٢٠٩.

(٢) غاية المرام ص ٤٣٤ الباب ٢١٠ الحديث الثالث.

(٣) غاية المرام ص ٤٣٤ الباب ٢١٠ الحديث الثامن.

(٤) ينابيع المودة ص ١٣٠.

أقول:

إن الله نهى عباده أن يتفرقوا عن الصراط المستقيم، يعني علياً وعترته، فجعله سبيله الهادي إليه وطريقه الدال عليه، ثم جعل من مال عنهم تابعاً للشيطان ومخالفاً للقرآن وعاصياً للرحمن فقال: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ وهي طريق أعدائهم. وقد وردت عدة روايات من طريق الشيعة وأهل السنة أن علياً هو الصراط المستقيم^(١).

ففي تفسير القمي: أخبرنا الحسن بن علي، عن أبيه، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن سنان، عن أبي خالد القحطاط، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ قال: نحن السبيل فمن أبى بهذه السبل فقد كفر^(٢).

ولا خير في نسبة الصراط المستقيم إلى النبي ﷺ وأهل بيته لأن النبي هو الذي يخاطب الناس بهذه التكاليف عن امر به إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿قل تعالوا أتلقوا فهو المتكلم معهم المخاطب لهم، وأهل بيته أولى الناس به، فكما أن الله تعالى نسب الصراط المستقيم إلى جمع من عباده الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم﴾^(٣) فإن أهل البيت عليهم السلام هم الصراط المستقيم والمنهج القويم وهم سبل نجاة الأمة ومصايح الهدى والعروة الوثقى.

(١) راجع الآية رقم ١ - ص ١٤ من هذا الكتاب .

(٢) الميزان في تفسير القرآن ج ٧ ص ٣٨٥.

(٣) سورة الفاتحة / ٧ .

﴿فَأَذَنُ مُؤَذِّنٍ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

(الأعراف ٤٤)

- ١- عن محمد بن فضيل، عن الرضا عليه السلام أنه قال: المؤذن أمير المؤمنين علي عليه السلام.
- ٢- عن محمد بن الحنفية، عن علي عليه السلام قال: ﴿فَأَذَنُ مُؤَذِّنٍ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فَأَنَا ذَلِكَ الْمُؤَذِّنُ.
- ٣- عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: أن لعلي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس قوله: ﴿فَأَذَنُ مُؤَذِّنٍ بَيْنَهُمْ﴾ فهو المؤذن بينهم يقول: إلا لعنة الله على الذين كذبوا بولائي واستخفوا بحقي.
- ٤- عن محمد بن يعقوب، عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أحمد بن عمر الحلال قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَأَذَنُ مُؤَذِّنٍ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قال: المؤذن علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ٥- عن جابر الجعفي، عن الباقر عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالكوفة عند انصرافه من النهروان وبلغه أن معاوية بن أبي سفيان يسبه ويقتل أصحابه فقام خطيباً إلى أن قال: وأنا المؤذن في الدنيا والآخرة قال الله عز وجل: ﴿فَأَذَنُ مُؤَذِّنٍ بَيْنَهُمْ﴾ يقول إلا لعنة

-
- (١) مجمع البيان ج ٤ ص ٤٢٢. كما رواه الحسكاني في شواهد التنزيل بعدة طرق ج ١ ص ٢٠٣.
 - (٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٤٢٢. شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٢. ينابيع المودة ص ١١٧. غاية المرام ص ٣٥٣.
 - (٣) مجمع البيان ج ٤ ص ٤٢٢. شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٣. ينابيع المودة ص ١١٧. غاية المرام ص ٣٥٣.
 - الميزان في تفسير القرآن ج ٨ ص ١٤٠.
 - (٤) غاية المرام ص ٣٥٣.

الله على الظالمين. وأنا ذلك المؤذن وقال عز وجل: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ وأنا ذلك الأذان^(١).

أقول:

التأذين هو أعلام الحكم من قبل صاحبه ليستقر على المحكومين، فالمؤذن هو الرابطة يربط صاحب الحكم بالمحكومين بتقرير حكمه عليهم.

ومن الواضح إذا كان الطرف هو الله عز وجل كان في ذلك من الشرف والكرامة مالا يعادله شيء، كما في وساطة إبراهيم عن الله سبحانه في قوله: ﴿وَأَذَانٌ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾^(٢). ووساطة علي عليه السلام في إبلاغ آيات البراءة: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ...﴾^(٣). وهذا هو الذي يشير إليه الإمام علي عليه السلام نفسه في خطبته إذ قال: ((وأنا المؤذن في الدنيا والآخرة))، والرواية مروية بطرق متعددة من الشيعة عن علي والباقر والرضا عليهم السلام. ومن طرق أهل السنة ما رواه الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن الحنفية عن علي وإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس.

(١) سورة التوبة/ ٣.

(٢) ينابيع المودة ص ١١٨. الميزان في تفسير القرآن ج ٨ ص ١٤٠ نقلاً عن تفسير روح المعاني.

(٣) سورة الحج / ٢٧.

(٤) براءة / ٣.

﴿وَبَيَّنْتَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمَا﴾

(الأعراف ٤٦)

١- عن الاصمعي بن نباته، قال: كنت جالساً عند علي عليه السلام فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ الآية فقال: ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن أحبنا عرفناه بسيماهم فأدخلناه الجنة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماهم فأدخلناه النار^(١).

٢- عن مقرون قال: سمعت جعفر الصادق عليه السلام يقول جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فسأل عن هذه الآية ﴿وعلى الأعراف رجال﴾ الآية؟ قال عليه السلام: نحن الأعراف ونحن نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يوقفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط لا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من انكرنا وانكرناه، وإن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف الناس نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله ووجهه الذي يتوجه منه إليه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم على الصراط لناكون، فلا سواء من اعتصم الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كثره يفرغ بعضها في بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا تغاد لها ولا انقطاع^(٢).

(١) ينابيع المودة ص ١١٨. مجمع البيان ج ٤ ص ٤٢٣. غايه المرام ص ٣٥٣.

(٢) ينابيع المودة ص ١١٩. غايه المرام ص ٣٥٣. كما ذكره الميزان في تفسير القرآن ج ٨ ص ١٤٥. مع اختلاف في بعض العبارات والاختصار عن الاصمعي بن نباته.

٣- عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ انه قال: الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحمة وعلي بن أبي طالب عليه السلام وجعفر ذو الجناحين يعرفون بحبيهم بياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه^(١).

٤- عن سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام أكثر من عشر مرات: ((يا علي انك والأوصياء من ولدك أعراف بين الجنة والنار، لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلا من انكركم وانكروهم))^(٢).

٥- عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: الأعراف هم آل محمد عليهم السلام لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من انكرهم وانكروه^(٣).

٦- عن العياشي في تفسيره بإسناده عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد عن محمد بن جده عن علي عليه السلام قال: أنا يعسوب المؤمنين، وأنا أول السابقين وخليفة رسول رب العالمين، وأنا قسيم الجنة والنار وأنا صاحب الأعراف^(٤).

٧- عن علي بن إبراهيم في تفسيره قال: حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيوب، عن بريد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأعراف كتابان بين الجنة والنار والرجال الأئمة صلوات الله عليهم يقفون على الأعراف مع شيعتهم وقد سبق المؤمنون إلى الجنة بلا حساب فتقول الأئمة لشيعتهم من أصحاب الذنوب انظروا إلى إخوانكم في الجنة قد سبقوا لها بلا حساب وهو قوله تعالى سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ثم يقال لهم انظروا إلى أعدائكم في النار وهو قوله: ﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وتآدى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم في النار قالوا ما أغنى عنكم جمعكم

(١) فتح القدير ج ٢ ص ١٩٨ . مطالب السؤل ص ١٧ . الصواعق المحرقة ص ١٠١ . مجمع البيان ج ٤

ص ٤٢٣ . ينابيع المودة ص ١١٨ و ص ٣٦٢ . غاية المرام ص ٣٥٣ .

(٢) ينابيع المودة ص ١١٨ .

(٣) مجمع البيان ج ٤ ص ٤٢٣ .

(٤) غاية المرام ص ٣٥٤ .

في الدنيا وما كنتم تسكبون» ثم يقولون لمن في النار من أعدائهم هؤلاء شيعة وأخواني الذين كنتم تختطفون في الدنيا لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الأئمة لشيعتهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون».

أقول:

الحجاب هو الستر المتخلل بين شيئين يستر أحدهما من الآخر. والأعراف أعالي الحجاب، وأعلى كل شيء فقيه معنى العلو، فالمراد من الأعراف أعالي الحجاب الذي بين الجنة والنار وهو المحل المشرف على الفريقين أهل الجنة وأهل النار جميعاً، ثم أن على أعالي الأعراف رجالاً مشرفين على الجانبين لارتفاع موضعهم يعرفون كلا من الطائفتين أصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماهم وعلامتهم التي تحنى بهم وهؤلاء الرجال أفراد تامون في إنسانيتهم لا محالة وهم من أهل المنزلة والمكانة، وأصحاب القرب والزلفى وهم عباد الله المخلصين ارفع مقاماً وأعلى منزلة من سائر أهل الجمع يعرفون عامة الفريقين، لهم أن يتكلموا بالحق يوم القيامة ولهم أن يشهدوا ولهم أن يشفعوا، ولهم أن يأمرؤا ويقفوا.

عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الأعراف ما هم؟ قال: هم أكرم الخلق على الله تبارك وتعالى».

فهذه الصفات والخصوصيات لا يتصف بها إلا أهل بيت النبوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهم أولو الامر الذين قال الله فيهم: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الله والرسول وأولي الامر منكم﴾.

(١) الأعراف / ٤٧، ٤٨.

(٢) غاية المرام ص ٣٥٦.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ج ٨ ص ١٤٤.

(٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٤. غاية المرام ص ٤٢٨.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

(الأعراف ١٨١)

١- عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ قال: يعني من أمة محمد أمة، يعني علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يعني يدعون بعدك يا محمد إلى الحق ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الخلافة بعدك، ومعنى الأمة: العلم في الخير، نظيرها: (أن إبراهيم كان أمة) يعني علماً في الخير معلماً للخير^(١).

٢- عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في معنى قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال: هذه الآية لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

٣- وروى العياشي بإسناده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: والذي نفسي بيده لتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فهذه التي تنجو. وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنها قالوا نحن هم^(٣).

٤- أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي، عن عمر بن أذينة، عن جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ يا علي مثلك في أمتي مثل عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق، فرقة مؤمنون وهم الخواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن دين الله وهم النصاري، وإن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق، فرقة اتبعوك وأحبوك وهم المؤمنون، وفرقة عادوك وهم الناكثون والمارقون والقاسطون، وفرقة غلوا فيك وهم الضالون، يا علي أنت وأتباعك في الجنة وعدوك والغالي فيك في النار^(٤).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٤.

(٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٠٣. غاية المرام ص ٤٢٨.

(٣) ينابيع المودة ص ١٢٨.

- ٥- نقل صدر الأئمة موفق بن أحمد، عن أبي بكر بن مردويه بسنده إلى علي عليه السلام قال: تفرقت هذه الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة في النار إلا فرقة فأنا في الجنة، وهم الذين قال الله عز وجل في حقهم ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وهم أنا وشيعتي".
- ٦- وروى السدي في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ قال: شعية علي يعدلون بالحق من صدَّ عنه ويتدون بالدين القيم وهو حب علي وعترته".

أقول:

تدل أكثر الأخبار أن المراد في هذه الآية هي أمة محمد ﷺ وليس المراد هو الأمة بإطلاقها. ولما استفاض في الأخبار من أن أمة محمد ﷺ تفرقت إلى ثلاث سبعين فرقة، فرقة ناجية وماسواها هالكة في النار، فلا يمكن أن تكون كلها حاوية بالحق بل بعضها وهي الفرقة الناجية، وقد فسرتها الروايات الأنفة الذكر وغيرها بعلي وشيعته، وكما يشهد لها حديث الثقلين وغيره. قال علي عليه السلام كما في كشف الغمة عن ابن مردويه: ((تفرقت هذه الأمة على ثلاث سبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهم الذين قال الله تعالى وعن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وهم أنا وشيعتي)). وعليه فإن علياً عليه السلام وشيعته هم الفرقة الناجية الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، لأنهم العترة الطاهرة والإدلاء على القرآن والعالمون بفضله الذين جعلهم النبي ﷺ قرناء الكتاب.

(١) المراجعات ص ٦٢ هامش رقم ١.

(٢) مشارق أنوار اليقين ص ٦٠.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

(الأنفال ٢٥)

- ١- عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ قال النبي ﷺ: من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنها جحد نبوتي ونبوة الأنبياء قبلي^(١).
- ٢- عن سفيان بن صهبان قال: سمعت الزبير بن العوام يقول: لقد قرأناها زماناً وما نرى أنا من أهلها، وإذا نحن المعنيون بها: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٢).
- ٣- عن مطرف قال: قلنا للزبير: يا أبا عبد الله ضيعتم الخليفة حتى قتل، ثم جثتم تطلبون بدمه؟ فقال الزبير: أنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ ولم تكن نحسب أنا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت^(٣).
- ٤- عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ الآية، قال: حذر الله أصحاب محمد ﷺ أن يقاتلوا علياً^(٤).
- ٥- عن السدي، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ قال: هم أهل الجمل^(٥).

(١) البرهان ج ٢ ص ٧٢. غاية المرام ص ٤٠٧. مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٤.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٧. مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٤. من الحسن البصري.

(٣) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٧. فضائل الخمسة ج ٢ ص ٣٦٨.

(٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٩.

(٥) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٩، مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٤.

٦- عن أبي عثمان مؤذن بني قصي قال: صحبت علياً سنة كلها فما سمعت منه براءة ولا ولاية، إلا إني سمعته يقول: من يعذرني من فلان وفلان إنها بايعاني طائعين غير مكرهين، ثم نكثا بيعتي من غير حدث أحدثت، والله ما قوتل أهل هذه الآية: ﴿وأن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم﴾ إلا اليوم^(١).

٧- روى الثعلبي بإسناده عن حذيفة أنه قال: أتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب مَوْضِع وكل خطيب مصقع، وفي حديث أبي أيوب الأنصاري أن النبي ﷺ قال لعمار: يا عمار أنه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب عليه السلام فإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك عليٌ وادياً فاسلك وادي علي وخل عن الناس، يا عمار أن علياً لا يردك عن هدى ولا يدلك على ردى، يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله^(٢).

٨- عن العياشي في تفسيره بإسناده عن عبد الرحمن بن سالم عن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿واتقوا فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة﴾ قال: أصابت الناس فتنة بعدما قبض الله نبيه ﷺ حتى تركوا علياً وبايعوا غيره وهي الفتنة التي فتنوا بها وقد أمرهم رسول الله ﷺ باتباع علي عليه السلام والأوصياء من آل محمد^(٣).

٩- وفي تفسير القمي قال: نزلت في الطلحة والزبير لما حاربا أمير المؤمنين عليه السلام وظلماه^(٤).

(١) سورة التوبة / ١٢.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٠٩. البرهان ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٤.

(٤) غاية المرام ص ٤٠٧.

(٥) الميزان في تفسير القرآن ج ٩ ص ٦٢.

أقول:

تحذر الآية جميع المؤمنين عن فتنة تختص بالظالمين منهم ولا يتعداهم إلى غيرهم من الكفار والمشركين. ومقتضى ذلك أن تكون الفتنة المذكورة على اختصاصها ببعض القوم مما يوجب على عامة الأمة أن يبادروا على دفعها، ويقطعوا دابرها ويطفؤا لهيب نارها بما أوجب الله عليهم من النهي عن المنكر والأمر بالمعروف وأمر عامتهم باتقائها، وتحذره عن المساهلة في أمر الاختلافات الداخلية التي تهدد وحدتهم وتوجب شق عصاهم واختلاف كلمتهم، ولا تلبث دون أن تحزبهم أحزاباً، ويكون الملك لمن غلب منهم، والغلبة لكلمة الفساد لا لكلمة الحق والدين الحنيف الذي جاء به النبي محمد ﷺ وأهل بيته الأطهار الذين هم سفن نجاة الأمة فمن اقتدى بهم نجا، ومن تخلف عنهم هلك.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

(الأنفال ٣٠)

١- عن معمر، قال: اخبرني عثمان، عن مقسم، عن ابن عباس في قوله الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح محمد فأوثقوه بالوثاق. وقال بعضهم: اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله نبيه على ذلك، فبات علي بن أبي طالب عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً وهم يظنون انه رسول الله، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً ردَّ الله مكرهم فقالوا: اين صاحبك؟ قال: لا أدري. فأقتصوا اثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا فوق الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن على بابه نسج العنكبوت".

٢- قال ابن أبي الحديد: وقد قال أهل التفسير: أن قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ كناية عن علي عليه السلام لأنه مكر بهم، وأول الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ أنزلت في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله تعالى هو منام علي عليه السلام على الفراش".

٣- قال الطبرسي: وقال المفسرون أنها نزلت في قصة دار الندوة وذلك أن نفرأ من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتأمرؤا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عروة بن هشام: فترى به ريب المنون. وقال أبو البحتري: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه. وقال أبو

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢١١. الميزان في تفسير القرآن ج ٩ ص ٧٧. الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٦٢.

جهل: ما هذا برأي ولكن اقلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيا فهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب إليهم هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد وخطاً الأولين، فاتفقوا على هذا الرأي واعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرائيل عليه السلام فأخبر رسول الله ﷺ فخرج إلى الغار وأمر علياً عليه السلام فبات على فراشه فلما أصبحوا وفتشوا عن الفرائض وجدوا علياً، وقد رد الله مكرهم فقالوا: أين محمد؟ فقال: لا أدري فافتقوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابة نسج العنكبوت فقالوا: لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابة فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة^(١).

أقول:

أن الآية الكريمة تشير إلى قصة دار الندوة بتشاورون فيما بينهم في أمر النبي ﷺ من إطفاء نور دعوته وذلك بالتآمر عليه وقلته. وفي الليلة ذاتها التي اعتزم محمد أن يهجر مكة فيها، أعدت قريش عصابة كبيرة من الرجال الأشداء لقتله، وأوفدتهم لكي يحاصروا داره مخافة أن يستتر بالظلام ويفر من أيديهم. غير أن محمد ﷺ كان في ليلة الهجرة هذه، قد أسر إلى ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام أن يتسجى برده الأخضر وإن ينام في فراشه. وامتلأ الإمام علي عليه السلام لأمر محمد ﷺ والغبطة غلبت نفسه كما هي حاله أبداً أمام كل تضحية يقوم بها في سبيل الرسول، وهكذا فشلت مؤامرة قريش وذهب مكرهم أدراج الرياح.

لقد كان علي بن أبي طالب عليه السلام بمغامرته هذه استمراراً لمحمد، وكانت تضحية من روح المقاومة التي عُرف بها ابن عمه العظيم، وكان مبيتة في فراش النبي ﷺ تزكية للدعوة وحافزاً على الجهاد الطويل، ثم أن في هذه المغامرة ما يوجز الحقيقة عن الإمام وطباعه ومزاجه، فإذا هي صادرة عنه كما تصدر الأشياء عن معادتها دون تكلف ودون إجهاد.

(١) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٣٧. ومن روى نزول الآية بهذه المناسبة مسند أحمد ج ١ ص ٣٤٨. تاريخ الطبري ج ٢ ص ٩٩. وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢١٢. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩١. العقد الفريد ج ٣ ص ٢٩٠. تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩١. مناقب الخوارزمي ص ٧٥.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾

(الأنفال ٤١)

١- عن المنهال بن عمرو قال: سألت عبد الله بن محمد بن علي، وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا: هو لنا. فقلت لعلي: أن الله يقول: ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: يتامانا ومساكيننا^(١).

٢- عن السدي، عن ابن الديلمي قال: قال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشام: أما قرأت في الأنفال ﴿وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية قال: نعم. قال: نحن هم، قال: فأنكم لا نتم هم؟ قال: نعم^(٢).

٣- روى العياشي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن موضوع الخمس فكتب إليه ابن عباس: أما الخمس فأنا نزعنا أنه لنا ويزعم قومنا أنه ليس لنا فصبرنا^(٣).

٤- وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن الله تعالى لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس. فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال^(٤).

٥- عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال: لنا خاصة، ولم يجعل لنا في الصدقة نصيباً، كرامة أكرم الله تعالى نبيه وآله بها، وأكرمنا عن أوساخ أيدي المسلمين^(٥).

(١) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٤٥. كما رواه الطبري في تفسير ج ١٠ ص ٨.

(٢) تفسير الطبري ج ١٠ ص ٥.

(٣) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٤٥. كما رواه الطبري في تفسير ج ١٠ ص ٥ بطريق آخر.

(٤) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٤٥.

٦- عن أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس، عن عكرمة، عن فاطمة عليها السلام قالت: اجتمع علي والعباس وفاطمة وأسامة بن زيد ما عند النبي ﷺ فقال: سلوني. فقال العباس: أسألك كذا وكذا من المال. قال: هولك. وقالت فاطمة: أسألك مثل ما سأل عمي العباس. فقال: هولك. وقال أسامة: أسألك أن ترد عليّ أرض كذا وكذا، أرضاً كان له انتزعه منه، فقال: هولك. فقال علي: سل. فقال: أسألك الخمس: فقال: هولك، فانزل الله تعالى: ﴿واعلموا إنما غنم من شيء فإن لله خمسها﴾ الآية، فقال النبي ﷺ: قد نزلت في الخمس كذا وكذا. فقال علي: فذاك أوجب لحقي. فأخرج الرمح الصحيح والرمح المكسر، والبيضة الصحيحة والبيضة المكسورة فأخذ رسول الله أربعة أخماس وترك في يده خمساً^(١).

أقول:

الغنيمة ما أخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال، وهي من الله للمسلمين بعد إخراج الخمس منها، ويقسم ستة أقسام سهم لله، وسهم لرسوله، وسهم ذوي القربى للقائم مقام النبي ﷺ ينفقها على نفسه، وأهل بيته، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل من أهل بيت رسول الله لا يشركهم فيها باقي الناس، لأن الله عوضهم ذلك عما أباح لفقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء سبيلهم من الصدقات، إذ كانت الصدقات محرمة على أهل بيت رسول الله ﷺ.

وفي الوسائل، قال الصادق عليه السلام: أن الله لا إله إلا هو لما حرم علينا الصدقة انزل لنا الخمس، فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة والكرامة لنا حلال.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢١٩.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢١٩.

إنما جعل الله هذا الخمس خاصة لهم دون مساكين الناس وأبناء سبيلهم عوضاً لهم عن صدقات الناس تنزياً من الله لقرابتهم من رسول الله ﷺ وكرامة من الله لهم من أوصاخ الناس فجعل لهم خاصة من عنده وما يغنيهم به أن يصيرهم في موضع الذل والمسكنة، وهؤلاء الذين جعل الله لهم الخمس هم قرابة النبي ﷺ.

فالخمس هو وسيلة لتطهير النفس عن رذيلة البخل والشح، لأن النفس الإنسانية مجبولة على البخل بالمال، فتتنور بتقديمها من فضول ما انعم الله عليها فتصفو شيئاً فشيئاً وتتخلق بالكرم والجود وترتاض في هذا الحقل فتؤدي الأمانات إلى أصحابها وتوصل الحقوق إلى مستحقيها. وقد روى مُسلم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نحن والله الذين عنى الله بذوي القربى أقرنهم الله بنفسه ونبيه ﷺ.

ولو أراد الله أن يسوي بينهم وبين الناس لما اختصهم بسهم ذوي القربى، ولما حرم عليهم الصدقة، وما هذا التحريم إلا لكرامتهم على الله وطهارتهم ولهذا قال علي عليه السلام: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد. وكيف يقاس أحد من الناس بقوم منهم رسول الله ﷺ والأطيان علي وفاطمة والسبطان الحسن والحسين.

فالسهم الذي يعطى للسادات من الخمس يعطى لهم كتمويض لهم عن الزكاة، ويكون أمره بيد الإمام، لا أن يكون ملكاً لهم دون غيرهم من الناس.

﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾

(الأنفال ٦٢)

١- عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت ليلة أسري بي إلى السماء على العرش مكتوبا: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، ومحمد عبدي ورسولي أيدته بعلي. فذلك قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢- عن انس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي نصرته بعلي.

٣- عن أبي الخير الحاكمي، عن ابن عباس قال: كنا عند النبي ﷺ فإذا بطائر في فيه لوزة خضراء فالقاهها في حجر النبي ﷺ فقبلها وكسرها فإذا في جوفها ورقة خضراء مكتوب فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله نصرته بعلي.

٤- عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ليلة عرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنة مكتوبا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، علي باغضهم لعنة الله.

٥- عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: مكتوب على باب الجنة قبل أن يخلق السموات والأرض بالفي عام: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته بعلي.

(١) كفاية الطالب ص ٢٣٤. الدر المثور ج ٣ ص ١٩٩. كنز العمال ج ٦ ص ١٥٨. الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٢.

(٢) تاريخ بغداد ج ١١ ص ١٧٣. تاريخ دمشق ج ٤٤ ص ٨. الدر المثور في تفسير قوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ فضائل الخمسة ج ١ ص ١٧٥.

(٣) سبط النجوم ج ٢ ص ٤٥٨.

(٤) تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٥٩. لسان الميزان ج ٤٤ ص ١٩٤.

٦- عن أبي الحميس قال: قال رسول الله ﷺ: أسرى بي إلى السماء فنظرت إلى ساق العرش الأيمن فرأيت كتابا فهمته محمد ﷺ أيدته بعلي ونصرته به^(١).

٧- عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الحمراء خدام رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوبا لا اله إلا الله، محمد رسول الله صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته به^(٢).

٨- عن أبي صالح وأبي هريرة قال: مكتوب على العرش أنا الله لا اله إلا أنا وحدي لا شريك لي ومحمد عبدي ورسولي أيدته بعلي فانزل الله عز وجل ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ فكان النصر عليا ﷺ ودخل مع المؤمنين فدخل في الوجهين جميعا^(٣).

أقول:

لقد كان الإمام علي ﷺ أول من آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ من أهل البيت ومن الصحابة، وأول ذكر دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام فأجاب الدعوة. ولم يزل ينصر الدين ويجهاد المشركين ويذب عن الدين بإيمان خالص، ويقتل أهل الزيغ والطغيان، وينشر العدل ويسوي الإحسان، ويشيد معالم الكتاب والسنة.

وكان مقامه مع رسول الله ﷺ بعد البعثة ثلاثا وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة مشاركا له في محنته كلها متحملا عنه أكثر أنقلاها صابرا معه على اضطهاد

(١) تاريخ دمشق ج ٢٨ ص ٤٢. كنز العمال ج ٦ ص ١٥٨. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١. المناقب للخوارزمي ص ٨٨.

(٢) ذخائر العقبى ٦٩. كنز العمال ج ٦ ص ١٥٨. سمط النجوم ج ٢ ص ٤٨٥ عن وسيلة المتعبدين بطريق أبي الحمراء. غاية المرام ص ٤٢٩.

(٣) تاريخ دمشق ج ٣٨ ص ٤٢. كنز العمال ج ٦ ص ١٥٨. حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٦. فرائد السمطين الباب ٤٦ الحديث ١٩٤.

(٤) غاية المرام ص ٤٢٨.

قريش وتكذيبهم له قائما بما يأمره به صابرا محتسبا راضيا. وعشر سنين بعد الهجرة بالمدينة يكافح دونه ويجاهد بين يديه في قمع الكافرين، ويقيه بنفسه في المواقف والمشاهد، ويثبت إذا تزلزلت الأقدام وكلت السواعد إلى أن قبضه الله إلى رحمته، واختار له دار كرامته ورفعته في عليين. واسم علي عليه السلام مشتق من اسم الله الأعلى، قال أبو طالب (رضي الله عنه) :

سميته بعلي كي يدوم له عز العمل وفخر العز ادومه

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الأنفال ٦٤)

- ١- عن محمد بن الحسين بن زيد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: نزلت في علي عليه السلام.
 - ٢- عن القيسي والقاسم بن عبد الله ابنا الحسين بن زيد، عن أبيهما، عن جعفر، عن أبيه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: نزلت في علي عليه السلام.
 - ٣- عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المعني بقوله (المؤمنين) عليه السلام.
 - ٤- روى أبو نعيم بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.
- أقول:

كان أمير المؤمنين علي عليه السلام أول الناس أسلاماً، وأقدمهم إيماناً وعندما كان الرسول ﷺ يبحث عن الحق ويتعبد في غار حراء، ويقلب وجهه في السماء، وكأنه على موعد بترقبه. وبعد أن أوحى إلى الرسول ﷺ ودعته السماء ليقول كلمتها ويبلغ رسالتها، وعندما بدأت أيام الرسالة الأولى بل أولى ساعاتها ولحظاتها.. هنا يعيش علي ويحيى ولم يتردد الغلام المبارك، فاسلم.. فكان أول المسلمين. ومن ذلك اليوم، وهو مع النبي ﷺ لا يفارقه، يصلي معه ويصغي إليه، ويراه وهو يتهاياً لتلقي الوحي، وكم من آية وآيات كان هو أول من يسمعها وهي لا تزال حديثة العهد.

- | | |
|------------------------------|---|
| (١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٣٠. | (٣) غاية المرام ص ٤٢٩. الميزان في تفسير القرآن ج ٩ ص ١٣٢. |
| (٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٣٠. | (٤) بحار الأنوار ج ٩ ص ٩٤. |

لقد اشرب قلبه جمال القرآن، وجلاله، وأسراره، هذا الذي كان يشهد نزول آية حتى صار جديراً بأن يقول وهو صادق: سلوني، وسلوني، وسلوني عن كتاب الله ما شئتم، فوالله ما من آية من آياته إلا وأنا أعلم أنزلت في ليل أم في نهار. وهكذا بدأ يعيش ﷺ مع محمد ﷺ يتأدب على يديه، ويتأثر بطهره، وعظمة نفسه وتقى ضميره وسلوكه.

ومن ولاته الوثيق للقرآن، وشهوده فجر الوحي وضحاها، كان علي ﷺ ربيب الوحي، ومن ولاته الوثيق للإسلام وسبقه إليه قبل غيره من رجال العالمين كان علي سابق المسلمين. وسابق المسلمين لقب لا يستحقه علي لمجرد سبقه إلى الإسلام، فعلي ﷺ هو الذي علم الناس فيها بعد انه: ليس الطريق لمن سبق.. بل لمن صدق.. إنها حاز كلتا الحسنين: السبق والصدق.

فكان ﷺ أول المؤمنين إتباعاً للرسول ومؤيداً لرسالاته، وأخاً ونصيراً له، ومدافعاً عن دينه ومجاهداً بسيفه ولسانه عن الحق المبين، فكان لواؤه ﷺ مع النبي ﷺ في كل زحف، وفي كل موقف وقفه النبي مع المشركين. ومن كتاب الخصائص عن أبي ذر وسلمان (رضي الله عنهما) قالاً: اخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال: أن هذا أول من آمن بي، وهذا فاروق هذه الأمة، وهذا يعسوب المؤمنين، وأول من يصفحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر.

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾

(التوبة ٣)

١- عن أبي إسحاق بن زيد، عن حكيم بن جبير، عن علي بن الحسين قال: أن لعلي أسماء في كتاب الله لا يعلمه الناس. قلت: وما هو؟ قال: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ علي والله الأذان يوم الحج الأكبر^(١).

٢- عن المسيب، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان بين نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين قبائل من العرب عهد، فأمر الله نبيه أن ينبذ إلى كل ذي عهد عهده إلا من أقام الصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة فبعث علي بن أبي طالب عليه السلام بتسع آيات متواليات من أول براءة، وأمره رسول الله ﷺ أن ينادي بهن يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر، وإن يرى ذمة رسول الله من أهل كل عهد، فقام علي بن أبي طالب عليه السلام يوم النحر عند الجمرة الكبرى فنادى بهؤلاء الكلمات^(٢).

٣- عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر الشعبي، عن علي قال: لما بعثه رسول الله حين أذن في الناس بالحج الأكبر، قال علي: ألا لا يمحج بعد هذا العام مشرك، ألا ولا يطوف بالبيت عريان، ألا ولا يدخل الجنة إلا مسلم ومن كانت بينه وبين محمد ذمة فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله^(٣).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٣١.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٣٢.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٣٨. ورواه الكنجي في كفاية الطالب ص ٢٥٤ بطريق آخر.

٤- عن ابن أبي حاتم، عن حكيم بن حميد قال: قال لي علي بن الحسين عليهما السلام: أن لعلي عليه السلام في كتاب الله اسماً ولكن لا يعرفونه قلت: ما هو؟ قال: ألم تسمع قول الله ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ هو والله الأذان^(١).

٥- عن العياشي في تفسيره بإسناده عن حكيم بن الحسين، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: والله أن لعلي لأسماء في القرآن ما يعرفه الناس قال: قلت وأي شيء تقول جعلت فداك فقال لي: ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ قال: فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين وكان هو والله المؤذن فأذن بأن الله ورسوله يوم الحج الأكبر من المواقف كلها فكان ما نادى به أن لا يطوف بعد هذا العام عريان ولا يقرب المسجد الحرام بعد هذا العام مشرك^(٢).

٦- عن ابن بابويه قال: حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن محمد القاشاني، عن القاسم بن محمد الأصهباني، عن سليمان بن داود المنقري، عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ فقال: قال أمير المؤمنين: كنت أنا الأذان في الناس. قلت: ما معنى هذه اللفظة ﴿الحج الأكبر﴾ قال: إنها سمي الأكبر لأنها كانت سنة حج فيها المسلمون والمشركون ولم يحج المشركون بعد تلك السنة^(٣).

٧- عن الفضيل البلخي قال: حدثنا خالي يحيى بن سعيد البلخي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طويل كث اللحية بعيد ما بين المنكبين فسلم على النبي ﷺ ورحب به ثم التفت إلي فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته أليس

(١) فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٨٤.

(٢) غاية المرام ص ٣٦٤.

(٣) غاية المرام ص ٣٦٤.

كذلك هو يا رسول الله؟ فقال له رسول الله ﷺ: بلى، ثم مضى. فقلت يا رسول ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له قال: أنت كذلك والحمد لله، وإن الله تعالى قال في كتابه «إني جاعل في الأرض خليفة»^(١) والخليفة المجمعول فيها آدم عليه السلام. وقال عز وجل «إنا جاعلونك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس»^(٢) وهو الثاني. وقال عز وجل حكاية عن موسى حين قال لهارون «اخلفني في قومي وأصلح»^(٣) فهو هارون إذ استخلفه موسى في قومه وهو الثالث. وقال الله تعالى «وإذ أن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر» فكانت أنت المبلغ عن الله تعالى وعن رسوله وأنت وصي ووزير ديني والمؤدي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ أولا تدري من هو قلت: لا، قال: ذاك أخوك الخضر عليه السلام فاعلم^(٤).

٨- عن علي أمير المؤمنين عليه السلام من طريق زيد بن يسيع قال رضي الله عنه: لما نزلت عشر آيات من براءة علي النبي ﷺ دعا أبا بكر رضي الله عنه ليقراها على أهل مكة ثم دعاني فقال لي: أدرك أبا بكر فحيثما ألقيته فخذ الكتاب منه فأذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم. فلحقته بالحقفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك^(٥).

٩- عن أبي جعفر محمد بن علي قال: لما نزلت براءة علي رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقم للناس الحج قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: أخرج

(١) سورة البقرة / ٣٠. (٢) سورة ص / ٢٦.

(٣) سورة الأعراف / ١٤٢. (٤) غاية المرام ص ٣٦٥.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٠٩. الرياض النضرة ج ٢ ص ١٤٧. مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٩. تفسير بن كثير ج

بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: انه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العصابة حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور. ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ.

أقول:

لقد أجمع أئمة الحديث وأصحاب التفسير على أن هذه المأثرة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما أطبق على ذلك الصحابة الأولون لكثرة النصوص التي أرسلوها إرسال المسلمين بعدة طرق ومن كلا الطرفين^(١)، كما ويدل على ذلك استناده رضي الله عنه أصحاب الشورى يوم ذاك بقوله: أفياكم من أوتمن على سورة براءة وقال له رسول الله ﷺ: انه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني، غيري؟ قالوا لا^(٢).

والذي تقتضيه الآية هو استرداد الآيات من سورة براءة من أبي بكر وتشريف أمير المؤمنين عليه السلام بتبليغها ونزول الوحي المبين بأنه لا يبلغ عنه صلى الله عليه وآله وسلم إلا هو أو رجل منه كما أن في هذه القصة إيعاز إلى أن من لا يستصلحه الوحي المبين لتبليغ عدة آيات من الكتاب كيف يأتمنه على التعليم بالدين كله، وتبليغ الأحكام والمصالح كلها.

(١) تفسير الطبري ج ١٠ ص ٤٧. تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٣. تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٣٤.

(٢) للتعرف على المزيد من هذه النصوص يراجع كتاب الغدير ج ٦.

(٣) الغدير ج ٦ ص ٣٥٠.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْزًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

(التوبة ١٩)

١- عن أبي صخر قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبه من بني الدار والعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب عليهم السلام، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه لو أشاء بت فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد. وقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، فانزل الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

٢- عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن الفضل، عن أسباط، عن السدي في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْزًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْئُرُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال: افتخر علي عليه السلام وعباس وشيبه بن عثمان، فقال العباس: أنا أفضلكم أنا اسقي حجج بيت الله. وقال شيبه: أنا أعمار مسجد الله. وقال علي عليه السلام: أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وأجاهد معه في سبيل الله، فانزل الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.

٣- عن انس انه قال: قعد العباس وشيبه صاحب البيت يفتخران، فقال له العباس: أنا اشرف منك، أنا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصي أبيه وساقى الحجيج. فقال شيبه: أنا اشرف منك أنا

(١) تفسير الرازي ج ٤ ص ٤٠٨. تفسير الطبري ج ١٠ ص ٦٨. تفسير الخازن ج ٣ ص ٥٧. أسباب النزول للواحدي ص ١٨٢. نور الأبصار ص ٨٨. بتايع المودة ص ١٠٦. مجمع البيان ج ٥ ص ١٤. غاية المرام ص ٣٦٢.

(٢) سورة التوبة / ٢٠.

تفسير الطبري ج ١٠ ص ٦٨. تفسير القرطبي ج ٨ ص ٩١.

أمين الله على بيته وخازنه أفلا أتمنك كما أتمنتني. فهما على ذلك يتشاجران حتى اشرف عليهما علي عليه السلام فقال له العباس: أن شيبة فاخرفي فزعم انه اشرف مني فقال: فما قلت له أنت يا عمه؟ قال: قلت أنا عم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ووصي أبيه وسأقي الحجاج أنا اشرف منك فقال لشيبة: ما ذا قلت أنت يا شيبة؟ قال: قلت أنا اشرف منك أنا أمين الله على بيته وخازنه أفلا أتمنك كما أتمنتني. قال: فقال لها اجعلاني معكما مفخراً. قالوا: نعم. قال: فأنا اشرف منكما. أنا أول من امن بالوعيد من ذكور هذه الأمة وهاجر وجاهد، وانطلقوا ثلاثهم إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبر كل واحد منهم بفرجه، فما أجابهم النبي صلى الله عليه وآله بشيئين فانصرفوا عنه، فنزل جبرائيل عليه السلام بالوحي بعد أيام فيهم فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إليهم ثلاثهم حتى أتوه فقرأ عليهم **«أَجَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْ** **أَمِنَ بِاللَّهِ»**

٤- عن أبي بريده، عن أبيه، قال: بينما شيبة والعباس يتفاخران إذ مر بهما علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: فبماذا تفاخران؟ فقال العباس: يا علي لقد أوتينا من الفضل ما لم يوت احد. فقال: وما أوتيت يا عباس؟ قال: أوتيت سقاية الحاج. فقال: ما تقول أنت يا شيبة؟ قال: لقد أعطيت عمارة المسجد الحرام فقال لها علي: استحييت لكما يا شيخان فقد أوتيت على صغري ما لم توتيا. فقالوا: وما أوتيت يا علي؟ قال: ضربت خراطيكما بالسيف حتى أمنتما بالله ورسوله. فقال العباس مغضباً يجر ذيله حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال له النبي: ما وراءك يا عباس؟ فقال: أما ترى إلى ما استقبلني به هذا؟ قال: ومن ذاك؟ فقال: علي بن أبي طالب. فقال: ادعوا لي علياً، فدعي فقال له: يا علي ما الذي حملك على ما استقبلت به عمك؟ فقال: يا رسول الله صدمته بالحق أن غلظت له أنفأ فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض، إذ نزل جبرائيل فقال: يا محمد أن ربك يقرأك

(١) كفاية الطالب ص ١١٣. تاريخ دمشق الحديث ٩٠٩. فرائد السمطين الباب ٤١ شواهد التنزيل ج ١

ص ٢٤٩. فضائل الخمسة ج ١ ص ١٨٧ و ص ٢٨٠. غاية المرام ص ٣٦٢.

السلام ويقول: اتل عليهم هذه الآية ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْزًا آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْأَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فقال العباس: إنا قد رضينا، ثلاث مرات^(١).

٥- عن ابن مردويه، عن الشعبي قال: كان بين علي عليه السلام والعباس منازعة فقال العباس لعلي عليه السلام: أنا عم النبي، وأنت ابن عمه، والي سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فانزل الله ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية.

٦- عن عبد الله بن عبيدة الرندي قال: قال علي للعباس: يا عم لو هاجرت إلى المدينة قال: أولست في أفضل من الهجرة، ألست أسقي حجاج بيت الله الحرام وأمر المسجد فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية^(٢).

٧- وفي احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام ومناشدته أهل الشورى قال: نشدكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْزًا آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْأَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ غيري؟ قالوا: لا^(٣).

أقول:

في الآية مقابلة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله إذ لا معنى للدعوى المساواة بين الإنسان وبين عمل من الأعمال كالسقاية والعمارة.

(١) البرهان ج ٢ ص ١١٠ . غاية المرام ص ٣٦٣ . مجمع البيان ج ٥ ص ١٥ .

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٤٤ نقلاً عن الدر المنثور .

(٣) المناقب لبين المغازلي الحديث ٢٧١ . غاية المرام ص ٣٦٢ . العمدة ص ٩٨ .

(٤) الاحتجاج ج ١ ص ٢٠٢ .

فالمعادلة والمساواة إما بين عمل وعمل أو بين إنسان ذي عمل وإنسان ذي عمل، فقد اخذ في احد الجانبين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحدهما من غير أي قيد زائد، وفي الجانب الآخر الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله مع اعتبار الإيمان معه. وهذا يكشف

أولاً: عن أن هؤلاء الذين كانوا يسوون بين السقاية والعمارة وبين الإيمان، إنما كانوا يسوون بين عمل جاهلي خال عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وبين عمل ديني صادر عن إيمان بالله واليوم الآخر كالجهد في سبيل الله عن إيمان. أي كانوا يسوون بين جسد عمل لا حياة فيه وبين عمل حي طيب نفعه، فأنكره الله عليهم.

وثانياً: أن هؤلاء المسوئين كانوا من المؤمنين يسوون بين عمل من غير إيمان وبين عمل صدر عن مؤمن بالله عن محض الإيمان حال إيمانه كما يشهد به سياق الأفكار وبيان الدرجات.

وهذا كله يؤيد ما ورد في سبب نزول الآية أنها نزلت في العباس وشيبة وعلي عليه السلام حيث تفاخروا فذكر العباس سقاية الحاج وشيبة عمارة المسجد الحرام، وعلي الإيمان والجهاد في سبيل الله. فأن القيمة إنما هو العمل إذا كان حياً بولوج روح الإيمان فيه، وأما الجسد الخالي الذي لا روح فيه ولا حياة له فلا وزن له في ميزان الدين، فليس للمؤمنين أن يعتبروا مجرد هياكل الأعمال ويعملوها ملاكات للفضل وأسباباً للقرب منه تعالى إلا بعد اعتبار حياتها بالإيمان والخلوص.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

(التوبة ٢٦)

١- عن الضحاك بن مزاحم في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، قال: نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين علي والعباس وحمزة".

٢- عن صالح، وعبد الله الترمذي، عن الحسين بن محمد، عن المسعودي، عن الحكم بن عيينة قال: أربعة لاشك فيهم أنهم ثبتوا يوم حنين فيهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)".

أقول:

السكينة في اللغة من السكون وهو الذي يسكن إليه القلب والنفس، ويوجب الطمأنينة. وعند المحققين هي هيئة جسمانية تنشأ من استقرار الأعضاء وطمأنيتها وهي تختلف عن الوقار، فإن الوقار هيئة نفسانية تنشأ عن طمأنينة وثبات. ومن هنا قول القائل: جاء فلان يمشي على سكينة ووقار.

فمقتضى الآية هو أن المسلمين لما فروا من المشركين اضطربت قلوبهم حتى اعتراهم الخوف ولما أن حصل الأمن بنزل السكينة من الله حيث هدأت نفوسهم وسكنت وزال عنهم الرعب فكان هذا الأمن موجباً للسكون، ولذلك استعير لفظ السكينة وهو كناية عن حصول الطمأنينة والأمان.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٥٢.

(٢) شواهد لتنزيل ج ١ ص ٢٥٣.

ثم هل أن المراد من المؤمنين الذين نزلت عليهم هذه الآية جميع من ثبت مع النبي ﷺ ومن فر أولاً ثم رجع ثانياً. أو أنهم هم الذين ثبتوا معه من المؤمنين حتى نزل النصر .
فمقتضى نزولها متوقف على طهارة قلبية وصفاء نفسي سابق حتى يقرها الله تعالى بالسكينة. فازدياد الإيمان مع الإيمان بنزول السكينة هو أن يكون الإنسان على وقاية إلهية من اقتراف المعاصي وهتك المحارم مع إيمان صادق بأصل الدعوة الحققة.
فالمراد بالمؤمنين في هذه الآية غير المنافقين وغير مرضى القلوب وضعفاء الإيمان، ولا يبقى إلا من ثبت مع المؤمنين مع النبي ﷺ أما الذين فروا ثم رجعوا ثانياً فهم مقترفون لكبيرة الفرار من الزحف، ولا محل لنزول السكينة على من هذا شأنه.

﴿يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ
وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا﴾
(التوبة ٧٤)

١- استند أبو جعفر الطبري إلى ابن عباس أن سادات قريش كتبت صحيفة تعاهدوا على قتل علي فدفعوها إلى عبدة بن الجراح أمين قريش فنزلت ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِهِمْ﴾ فطلبها النبي منه فدفعها إليه فقال: كفرتم بعد إسلامكم فحلفوا بالله أنهم لم يهملوا بشيء منه فأنزل الله: ﴿يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾.

٢- عن أبان بن تغلب لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً (عليه السلام) يوم غدیر خم فقال: من كنت مولاه، وهم رجلان من قريش قالوا: والله لا نسلم له ما قال ابداً، فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألهم عما قالوا فكذبوا وحلفوا بالله ما قالوا شيئاً فنزل جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ الآية. قال أبو عبد الله عليه السلام لقد تولوا وماتوا.

٣- ابن شهر آشوب قال: روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما فرغ من غدیر خم ونفر الناس اجتمع نفر من قريش يتساقون على ما جرى فمر بهم ضب فقال بعضهم ليت محمداً أمر هذا الضب دون علي فسمع بذلك أبو ذر فحكى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبعث إليهم وأحضرهم وعرض عليهم مقاتلهم فأنكروا وحلفوا فأنزل الله

(١) المجادلة / ٧ .

(٢) غاية المرام ص ٤٣٩ .

(٣) غاية المرام ص ٤٤٠ .

تعالى: ﴿يُخْلِفُونُ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا﴾ الآية: فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر^(١).

أقول:

روى لنا المفسرون والمحدثون أن النبي ﷺ خرج ليلاً بعد رجوعه من حجة الوداع منصرفاً إلى المدينة فصار إلى موضع بالقرب من الجحفة يقال له ((غدير خم)) وقام خطيباً واخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من ولاء وعاد من عاداه ...)) وقد هنأ بذلك عمر بن الخطاب بقوله: ((هتيتاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)) وقد شاءت الإرادة الإلهية أن يكون علي شيتاً من ذات الرسول، وقد هيأت هذه الإرادة ظروفاً ومناسبات برزت فيها خصائص وميزات ما كان لأحد أن يشارك بها علياً، وإن يقوم بأعباء حمل الرسالة بعد الرسول ﷺ ولكن الحاقدين عليه أرادوا إطفاء هذا النور فقد تكالبت كل قوى البغي والشر ووجهت نباهم وسهامهم نحو الإمام العظيم منذ أن آمن بالله ورسوله قبل الناس فجدوا قواهم لمحاربه واختلاق الأساطير والأوهام وتشويه مناقبه ومزاياه مع اعتقادهم وبقينهم أن لم يكن بين الصحابة من يسبقه في منقبة وفضيلة واحدة، فهو كما أخبر به الرسول الأعظم ﷺ: ((سيد المسلمين وأمير المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وفاروق الأمة ويعسوب الدين))^(٢).

ولكن نور الحقيقة لا تطمسها الأكاذيب والأحاديث الملفقة ولا يطفى رونقها طول الإنكار والتصنع وإنما تبقى قسماً وهاجاً يتلألأ نورها ويبقى صداها يرن على مسمع الدهر ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا لَأَنْ يُنَزِّلَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

(١) غاية المرام ص ٤٤١.

(٢) كفاية الطالب ص ٦. الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٦. حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦.

(٣) سورة التوبة / ٣٢.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
(التوبة ١٠٠)

١- عن الحسن بن علي الهمداني، عن حميد بن القاسم بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قال: هم ستة من قريش أولهم إسلاماً علي بن طالب عليه السلام.

٢- عن محمد بن خالد العنبي، وعبد الله بن شريك العامري عن سليم بن قيس، عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه حمد الله وأثنى عليه وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الآية. فكما أن للسابقين فضلهم على من بعدهم كذلك لأبي علي بن أبي طالب فضيلة على السابقين بسبقه السابقين ^(١).

٣- عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ قال: نزلت في علي سبق الناس كلهم بالإيمان بالله وبرسوله وصلى القبلتين وبأبى البيعتين وهاجر المهاجرين ففيه نزلت هذه الآية ^(٢).

٤- عن الصادق، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليهم السلام في خطبة الحسن عليه السلام بعد صلحه لمعاوية. قال الحسن عليه السلام في الخطبة وذكر فضائل أبيه عليه السلام إلى أن قال عليه السلام: ثم لم يزل رسول الله ﷺ في كل موطن يقدمه ولكل شديدة يرسله ثقة منه به

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٥٥. مناقب بن شهر آشوب ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٥٥.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٥٦. غاية المرام ص ٣٥٥. الميزان في تفسير القرآن ج ٩ ص ٣٨١ مع اختلاف في العبادات.

وطمأنينة إليه لعلمه بنصيحته لله عز وجل ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فكان سابق السابقين إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ واقرب الأقرين وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مَنْ اتَّقَى مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ﴾ فأبى كان أول المسلمين أسلاماً وإيماناً وأولهم إلى الله وإلى رسوله هجرة ولحقاً وأولهم وجدة وسعة ونفقة قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. فالناس من جميع الأمم يستغفرون له لسبقه إياهم للإيمان نبيه ﷺ وذلك أن لم يسبقه إلى الإيمان أحد وقد قال تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ والآنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ﴿فهو السابق جميع السابقين فكما أن الله عز وجل فضل السابقين على المتخلفين والمتأخرين وكذلك فضل اسبق السابقين على السابقين﴾.

أقول:

إن أكثر أهل الحديث وأكثر المحققين من أهل السيرة رووا أن علياً عليه السلام أول من أسلم فقد بعث النبي يوم الاثنين وحلى علي يوم الثلاثاء هذا ما ذكره الطبري في تاريخه والكامل لابن الأثير.

وقد ذكر ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب روايات وأخبار تؤكد على أنه عليه السلام سبق الناس جميعاً للإسلام وله فضل السبق في ذلك، فالمروي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم أن علياً عليه السلام أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره.

(١) سورة الواقعة/ ١١، ١٠.

(٣) غاية المرام ص ٣٥٥.

(٢) سورة الحشر/ ١٠.

في شرح النهج لابن أبي الحديد: عن عبد الله بن عباس: سمعت عمر وعنده جماعة فتذكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أما علي فسمعت رسول الله (ﷺ) يقول فيه ثلاث خصال لوددت أن تكون لي واحدة منهن، وكانت أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه، إذ ضرب (ﷺ) على منكب علي رضي الله عنه فقال له: يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى^(١).

وعليه فإن أكثر المتكلمين لا يكادون يختلفون في أن أول الناس إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنه عليه السلام ما زال يدعي ذلك لنفسه ويفتخر به، ويجعله في أفضليته على غيره، ويصرح بذلك وقد قال غير مرة: أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلته^(٢).

ومن الشعر المروي عنه عليه السلام في هذا المعنى قوله:

محمد النبي أخي وصهري	وحمزة سيد الشهداء عمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً	غلاماً ما بلغت أوان حلمي

(١) ذكره الطبرسي في الاحتجاج ج ١ ص ١٦٢ .

(٢) شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٨ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(التوبة ١١٩)

١- عن حسين بن حماد، عن أبيه، عن جابر، عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: مع علي بن أبي طالب^(١).

٢- عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب وأصحابه^(٢).

٣- عن مفضل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: مع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٣).

٤- عن مالك بن انس، عن نافع، عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ قال: أمر الله أصحاب محمد بأجمعهم أن يخافوا الله ثم قال لهم: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني محمداً وأهل بيته^(٤).

٥- قال سبط بن الجوزي الحنفي: قال علماء السير: معناه كونوا مع علي وأهل بيته قال ابن عباس: علي سيد الصادقين^(٥).

٦- عن موفق بن أحمد الخوارزمي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الصادقون في هذه الآية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته^(٦).

(١) كفاية الطالب ص ٢٣٦ . تاريخ دمشق الحديث ٩٢٢ . الدر المنثور ج ١ ص ٢٩٠ عن ابن مردويه . فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٨٣ . غاية المرام ص ٢٤٨ .

(٢) فرائد السمطين الباب ٦٨ الحديث ٣١١ . مجمع البيان ج ٥ ص ٨١ .

(٣) فرائد السمطين الباب ٦٨ . مجمع البيان ج ٥ ص ٨١ . غاية المرام ص ٢٤٨ الباب ٤٢ بعنة طرق .

(٤) البرهان ج ٢ ص ١٧٠ . غاية المرام ص ٢٤٨ .

(٥) تذكرة الخواص ص ١٦ . الغدير ج ٢ ص ٢٦٠ .

٧- وفي احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على الأنصار والمهاجرين، قال علي عليه السلام: أنشدكم بالله أن تعلمون الله انزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فقال سليمان ((يا رسول الله عامة هذه الآية أم خاصة)) فقال: أما المأمورون فعمامة المؤمنين أمروا بذلك، أما الصادقون خاصة لأخي وأوصيائي بعده إلى يوم القيامة فقالوا: اللهم نعم".
أقول:

من ابرز مظاهر العدالة الكونية في عالم الحياة وفي كل ما يتصل بطبيعة الوجود وخصائص الموجودات هو الصدق الخالص المطلق فعل الصدق مدار الأرض والفلك والليل والنهار هذا الصدق الخالص المطلق الذي تدور عليه قاعدة البقاء هو النبوع الأول والأكبر الذي تجري منه عدالة الكون وعليه تعود .

ولما كان علي بن أبي طالب عليه السلام شديد الملاحظة لصدق الوجود شديد التفاعل معه فقد جعل من همه الأول تهذيب الناس وحماية الإنسان من الكذب وحمايته تستوجب أول الامر تعظيم الصدق نصاً مباشراً في كل حال وهنا يبرز عليه السلام عملاً يبري ما لا يراه الآخرون وهو بذلك يريد تذكير الصادق بالخطر الذي يتعرض له صدقه إن هو كذب ولو مرة واحدة.

ومن أقواله البليغة :

كونوا قوماً صادقين، واعملوا في غير رياء. واصدقوا الحديث وأدوا الأمانة وأوفوا بالعهد. من طلب عزاً يبطل أورثه الله ذلاً بحق. أن من عَدَمَ الصدق في منطقته فجع بأكرم أخلاقه. وما هذه الأقوال الرائعة وغيرها في الصدق النهاج من مئات أخريات يؤلف عليه السلام دستور الأخلاقي العظيم هذا المذهب الذي كان منبثقاً عما أحسه ورآه من عدالة الكون

الشاملة فيقول غير متردد: ((علامة الإيثار أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك)).

ومن روائعه التي يشير بها إلى الرابطة الوثيقة بين الصدق والحياة وبين الكذب والموت وإلى أن الصدق هو ناموس الطبيعة القائم ولا حقيقة إلا به يقول **الشيخ**: ((الكذاب والميت سواء، لأن فضيلة الحي على الميت الثقة به، فإن لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته)).

يقول السيد عبد الحسين شرف الدين: الصادقون هنا: رسول الله والأئمة من عثرته بحكم صحاحنا المتواترة^(١).

وكان الإمام أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين إذا تلا قوله تعالى ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يدعو الله عز وجل دعاء طويلاً يشتمل على طلب الحقوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية، ويتضمن وصف المحن وما أنتحلته المبتدعة المفارقة لائمة الدين والشجرة النبوية إلى أن قال: فإلى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الملة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلا أعدال الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم أو تعبدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة ويقايا الصفوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وبراهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب^(٢).

(١) المراجعات ص ٥٤.

(٢) المراجعات ص ٣٩.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

(يونس ٢٥)

١- عن المأمون، قال: حدثني الرشيد قال: حدثني المهدي، قال: حدثني المنصور، قال: حدثني أبي محمد، عن أبيه علي، عن أبيه عبد الله بن عباس في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ يعني به الجنة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني به إلى ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام^(١).

٢- عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن مروان، عن عامر السراج، عن فضيل بن الزبير قال: قال زيد بن علي في هذه الآية: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: إلى ولاية علي بن أبي طالب^(٢).

أقول:

لقد استحق علي عليه السلام هذه الولاية لأنه خريج مدرسة القرآن ومدرسة النبوة، فكان علي تلميذ محمد صلى الله عليه وآله وهو مرآة تعكس ذلك الإشعاع الفكري وهو ذلك الإنسان الذي انطلق بصوت بالحق فهو إمام والإمام فوق الآخرين في كماله وتكامله وقدراته وملكانته فهو صياغة واختيار الهي. وقد جمع من الفضائل والمزايا ما لم يحصل عليها غيره فيها هو قد ولد في الكعبة التي أصبحت قبلة أشواق المسلمين. ثم انه كان أول المسلمين وهو لم يبلغ مبلغ الشباب، ولما عوتب على إسلامه دون مشورة أبيه أبي طالب، أجاب على الفور: ((لقد خلقتني الله من غير أن يشاور أبا طالب فما حاجتي أنا إلى مشاورته لأعبد الله)) ويوم دعا النبي صلى الله عليه وآله عشيرته الأقربين

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٦٣. البرهان ج ٢ ص ١٨٣. الميزان في تفسير القرآن ج ١٠ ص ٤١.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٦٤.

فما كان من علي إلا أن نهض وهو ما يزال صبيّاً دون الحلم وقال: ((أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب لمن حاربت)) وكان لواء علي عليه السلام مع النبي في كل قتال وكل زحف، ويوم غامر بنفسه في سبيل عقيدته ونام في فراش النبي ﷺ، واكبر بجهاده يوم فتحت على يده حصون خيبر القوية. وله مثل هذه المواقف ماثت من المواقف فحياته مواقف ساطعات. ولقد شاءت الإرادة أن يكون أولى بالمؤمنين بعد النبي ﷺ.

﴿أَفَنُيْهِدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُسَمِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

(يونس ٣٥)

١ - عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: اختصم قوم إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم فأمر بعض أصحابه أن يحكم بينهم فلم يرضوا به، فأمر علياً أن يحكم بينهم، فحكم بينهم فرضوا به، فقال لهم بعض المنافقين: حكم عليكم فلان فلم ترضوا به، وحكم عليكم علي فرضيتم به بشئ القوم انتم، فأنزل الله تعالى في علي: ﴿أَفَنُيْهِدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُسَمِعَ﴾ إلى آخر الآية، وذلك أن علياً كان يوفق لحقيقة القضاء، من غير أن يُعلم^(١).

٢ - عن علي بن هاشم، عن إبراهيم بن حيان، عن أبي جعفر، قال: أمر عمر علياً أن يقضي بين رجلين فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: هذا الذي يقضي بيننا؟ وكأنه ازدري علياً، فاخذ عمر بتلييه فقال: ويلك وما تدري من هذا؟ هذا علي بن أبي طالب، هذا مولاي ومولى كل مؤمن فمن لم يكن مولاه فليس بمؤمن^(٢).

أقول:

تدل الآية على أنه يجب أن يكون الإمام أفضل الناس وإلا فكيف تحب طاعته وإتباعه وكيف يكون له القدرة وكيف تحصل به السعادة فالإمام أعلم الناس بأحكام الدين وعلومه ومبادئه كما أنه أكثرهم علماً وعبادة. ولقد اجمع الصحابة على أن النبي قال مرة: ((أفضاكم علي)) فقد كان علي أفضى أهل زمانه لأنه كان أعلمهم بالفقه والشرعة وهما في الإسلام

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٦٥.

مصدر القضاء ثم انه أوتي من قوة العقل ما يكشف له عن الوجه الأكثر صواباً والأشد انطباقاً على المنطق إذا اختلفت الوجوه. كما أوتي من صفاء الوجدان ما يوجهه في استخدام علمه في القضاء اصدق توجيه فيعدل في الحكم على أساس من العقل والضمير جميعاً.

ومن المأثور عن عمر بن الخطاب قوله لعلي: ((لا بارك الله في معضلة لم تحكم فيها يا أبا الحسن)). وقوله ((لولا علي لهلك عمر)).

كيف لا يكون كذلك وهو الذي ربي برعاية النبي وتلمذ له، وورث أخلاقه وأسلوبه في النظر إلى الحياة والخلق، وعكف على دراسة القرآن دراسة المتبصر الحكيم الذي ينفذ إلى لباب الأشياء فيعي حقائقها ويستوحيها، فإذا هو يتقن القرآن نصاً ويحييه جوهراً فيستقيم به لسانه كما يستقيم جنانته.

لقد رافق الإمام علي عليه السلام أطول زمن رافقه فيه مجاهد أو صحابي فسمع منه ما سمعه الآخرون وما لم يسمعه، وأنه عليه السلام لم يكن يروي الحديث إلا ما سمعه بنفسه من الرسول لأن كلمة واحدة من حديث النبي لم تفت قلبه وأذنيه. وقيل له: ((مالك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً؟ فقال: ((أني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكنت ابتدأني)).

﴿وَيَسْتَبِشُّونَكَ أَهَقَّ هُوَ قُلُّ لِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

(يونس ٥٣)

١- عن سليمان بن داود المنقري، عن يحيى بن سعيد، عن جعفر الصادق، عن أبيه، في قول الله تعالى: ﴿وَيَسْتَبِشُّونَكَ أَهَقَّ هُوَ﴾ قال: يستبشك يا محمد أهل مكة عن علي بن أبي طالب ؟ قل أي ورثه انه الحق^(١).
أقول:

لقد كان علي عليه السلام إماما، والإمام فوق الآخرين في كماله وتكامله وقدراته وملكانته، وهو ذات حوت كل فضيلة وهو صباغة واختيار الهي. وعلي عليه السلام إمام أراد الله واختاره محمد ﷺ لهذا المنصب .

يقول جورج جرداق :

((علي جوهره خلقها الله وصاغها محمد ﷺ فهل صاغ عليا وحده ؟ ولماذا لم يصنع غيره ؟))
ومن لوازم الإمام أن يكون فوق الأفراد في مواهبه وخصائصه. عن الصادق عليه السلام قال: ((أن قلوبنا غير قلوب الناس إنا مصفون ومصطفون ترى ما لا يرى الناس ونسمع ما لا يسمعون)).

وجاء في مجموعة ابن ورام كلام للقاضي عبد الجبار في علي عليه السلام قال فيه ((يستقون من علمه ولا يستقي إلا من علم خير الأولين والآخرين)).

لقد تحدث الرسول ﷺ عن علي عليه السلام ونفسيته وعن علمه دون غيره لأنه وارثه الشرعي وجامع أسرارهِ والمحيط بها كان عنده. وعلي هو الذي اختاره الرسول لامتته يؤدي ما

عليه، ولا نغالي لو قلنا ذلك فيه انه هو والرسول ﷺ صياغة إلهية وتكوين الهي، فعلي هو الإمام والرسول هو خاتم الرسل .

وجاء في الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((إياكم والغلو فينا قولوا إنا عبيد مريبون وقولوا في فضلنا ما شئتم)). وبعد كل هذا فهو إمام اختاره الله إماما قبل أن ينص عليه محمد ﷺ ويكرر النص عليه .

فعلي عليه السلام رغم ألهامه وصفاء نفسه اكتسب معلوماته وتدرج مع نزول الآيات القرآنية آية آية وتغذى بهذه الآيات واستضاء بها نفسيا، وكبر وترعرع وتكامل هذا الإنسان مع تكامل القرآن، فهو ذلك الإنسان الكبير المحيط بها احتوته نفسه.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(يونس ٥٨)

١- أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي أخبرنا أبو بكر الجرجاني، أخبرنا أبو أحمد البصري قال: حدثني المغيرة بن محمد، حدثني عبد الغفار بن محمد، عن مندل بن علي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ الآية، قال: بفضل الله: النبي. ورحمته: علي^١.

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يعني بدين محمد وولاية علي لان لأجلهما خلق الخلق وبها أفاض عليه الرزق، لان كل ما ينظره الإنسان فهو الحسن أو الإحسان، فالحسن هما والإحسان بهما، أما الحسن دليل قوله: ((أول ما خلق الله نوري)) فهو النور الجاري في آحاد الموجودات، وافرادها، وأما الإحسان فقوله: ((أنا من الله والكل مني)) فالكل من اجله وبأجله فهو الحسن والإحسان^٢.

أقول:

أهل البيت عليهم السلام رحمة من الله عز وجل على العالمين ومن اجلهم خلق الله الخلق، فهم أبواب الله وصراطه المستقيم، وهم الولاة والهداة، والدعاة والحياة، وهم السبيل والسلسيل والمنهج القويم .

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٦٨. تاريخ بغداد ج ٥ ص ١٥. البرهان ج ٢ ص ١٨٨. تاريخ دمشق الحديث

٩٢٦. مجمع البيان ج ٥ ص ١١٧. تفسير الطبري ج ٢٩ ص ٣٥. مجمع الزوائد ج ١ ص ١٣١. حلية

الأولياء ج ١ ص ٦٧. كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨. أسباب النزول ص ٣٢٩. كفاية الطالب.

(٢) مشارق أنوار اليقين ص ٦٥.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله تعالى قال: هو نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق فيه كل خير وخلق بعده كل شيء^(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ أن الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ فأنما من أصحاب اليمين. ثم جعل القسمين اثلاثاً فجعلني في خيرهما ثلثاً فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ فأنما من السابقين وأنا خير السابقين. ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فأنما اتقى ولد آدم وأكرمهم عند الله ولا فخر. ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فأنما وأهل بيتي مطهرون من الذنوب^(٢).

وقال أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام: نحن جنب الله وصفوته وخيرته، ونحن مستودع موارث الأنبياء، ونحن أمانة الله عز وجل، ونحن حجة الله وأركان الإيمان ودعائم الإسلام، ونحن من حجة الله على خلقه وبنا يفتح وبنا يختم، ونحن الأئمة الهداة والدعاة إلى الله، ونحن مصابيح الدجى ومنار الهدى، ونحن العلم المرفوع للحق من تمسك بنا لحق ومن تأخر عنها غرق ونحن قادة الغر المحجلين ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله، ونحن نعمة الله عز وجل على خلقه، ونحن معدن النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ونحن المنهاج والسراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الأئمة الهداة إلى الجنة وعرى الإسلام، ونحن الجسور والقناطر من مضى عليها لحق ومن تخلف عنها محق، ونحن

(١) ينابيع المودة ص ١٥.

(٢) ينابيع المودة ص ١٦.

السنام الأعظم، وبنا ينزل الله عز وجل الرحمة على عباده وبنا يسقون الغيث وبنا يصرف عنكم العذاب. فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا ويأخذ بأمرنا فهو منا والينا^(١).



﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(يونس ٦٢)

١- عن علي بن عبد العزيز البغوي، قال: أخبرنا أبو نعيم، عن سفيان، عن انسدي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: إن من العباد عباداً يعبطهم الأنبياء تحابوا بروح الله على غير مال ولا عرض من الدنيا، وجوههم نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزنوا أتدرون من هم؟ قلنا: لا يا رسول الله قال: هم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وجعفر وعقيل، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

أقول:

أولياء الله هم المؤمنون الذين اخلصوا لله، فالمؤمن حقاً ولي ربه لأنه يلي منه إطاعته في أمره ونهيه ويلي منه عامة البركات المعنوية من هداية وتوفيق وتأيد وتسديد وما يعقبها من الإكرام بالجنة والرضوان. كما أن وصفهم بأنهم ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يدل على أن المراد منه الدرجة العالية من الإيمان الذي يتم معه معنى العبودية والمملوكية المحضة للعبد الذي يرى معه أن الملك الله وحده لا شريك له، وإن ليس إليه من الأمر شيء حتى يخاف فوته أو يحزن لفقده وهذا هو الذي يصفه الله من أوليائه إذ يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فهو لا يخافون شيئاً ولا يحزنون لشيء لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا أن يشاء الله. عن ابن عباس قال: سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فقبل له: من هؤلاء الأولياء؟ فقال أمير

المؤمنين عليه السلام: قوم اخلصوا لله في عبادته، ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها فعرفوا اجلها حين غرت الخلق سواهم بعاجلها فتركوا ما علموا انه سيتركهم وأمانوا منها ما علموا أنه سيميتهم" وهذا الوصف ينطبق على أمير المؤمنين عليه السلام حيث طلق الدنيا وزهد فيها وتكشف.

لقد كان صادقاً في زهده كما كان صادقاً في كل ما نتج عن يمينه أو بذر من قلبه ولسانه .

روى هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بالخورنق، وهو فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة هو يرعد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين أن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل ذلك بنفسك ؟ فقال: والله ما أرزؤكم شيئاً وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة .

واتى احدهم علياً بطعام نفيس حلو يقال له الفالودج، فلم يأكله علي ونظر إليه يقول: ((والله انك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعام، ولكن اكراه أن أعود نفسي ما لم تعتد)).

ومن كلام علي عليه السلام هذا القول الذي انبثق عن أسلوبه في العيش انبثاقاً: ((أفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر ؟)).

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
 أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ
 وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

(هود ١٢)

١- عن محمد بن يزداد، قال: حدثني محمد بن علي الحداد عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، وليث بن سعد المصري، عن جابر بن أرقم، عن أخيه زيد بن أرقم قال: أن جبرائيل الروح الأمين نزل على رسول الله بولاية علي بن أبي طالب عشية عرفة فضاق بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غماسة تكذيب أهل الافك والنفاق فدعا قوماً أنا فيهم فاستشارهم في ذلك ليقوم به في الموسم فلم ندر ما نقول له وبكى صلى الله عليه وآله وسلم فقال له جبرائيل يا محمد أجزعت من أمر الله ؟ فقال: كلا يا جبرائيل ولكن قد علم ربي ما لقيت من قريش إذ لم يقرأوا لي بالرسالة حتى أمرني بجهادهم واهبط إلي جنوداً من السماء فنصروني فكيف يقرون لعلي من بعدي فأنصرف عنه جبرائيل فنزل عليه: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾.

٢- عن القاضي أبي الحسين محمد بن عثمان بن الحسن النسيبي، وقال: حدثني أبو بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي، عن علي بن جعفر بن موسى، عن جندل بن والقي، عن محمد بن عمر، عن عبادة، عن جعفر بن عبادة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سألت ربي خلاص قلب علي وموازرتة ومرافقتة، فأعطيت ذلك، فقال رجل من

قريش: لو سأل محمد ربه شيئاً فيه صاع من تمر كان خيراً له مما سأل، فبلغ ذلك النبي فشق عليه فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَمَّا لَكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ﴾^(١).

٣- عن محمد بن سهل أبو عبد الله الكوفي، عن عثمان بن يزيد، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «أبي سألت ربي مواخاة علي ومودته فأعطاني ذلك ربي فقال رجل من قريش: والله لصاع من تمر أحب إلينا مما سأل محمد ربه، أفلا سأل ملكاً يعضده أو ملكاً يستعين به على عدوه، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فشق عليه ذلك فأنزل الله تعالى عليه: ﴿فَلَمَّا لَكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُزٌّ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٢).

أقول:

لقد اسلم المنافقون من قريش مكرمين وكان إسلامهم ما يزال رقيقاً وإن عصبيتهم الجاهلية كانت ما تزال تشدهم إلى العراء وإن ظهور النبوة في أسرة بني هاشم كان مما يثير حفاظهم على منافسهم القدماء، لذلك نرى الرسول ﷺ تردد في بادئ الأمر على الإقرار لعلي لما لاقاه من قريش وعدم إقراهم برسالته فكيف يقرون لعلي بالولاية إلا أن الآية الكريمة جاءت حثاً على مواصلة نهجه والتمهيد لعلي من بعده. فقد أخذ الرسول ﷺ يمهد لعلي عليه السلام سبيل الخلافة ضمن الحدود التي تشرطها ثورة الإسلام، يمهد له لأنه رأى فيه صورة عنه من حيث سمو الخلق ونبيل المقصد.

كان علي عليه السلام وارثاً لمزايا الرسول مصطبغاً بصبغته، أثيراً لديه حبباً إليه عظيماً في جنانته وعلى لسانه فهذا التأخي الروحي بين النبي وابن عمه العظيم حدى به ﷺ أن يقول الأحاديث الكثيرة والتي تشيد بفضله وحقه بالخلافة قال ﷺ: «إن فيك لشبهاً من عيسى بن مريم، وقال ﷺ: النظر إلى وجه علي عباده. من أذى علياً فقد أذاني، وقال ﷺ: وقد شكاً إليه

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٧٣.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٧٣.

بعض أصحابه شأنًا من شؤون علي: ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟

من هذه الأحاديث وغيرها يثبت أمر واحد لا يقوم حوله جدل وهو أن النبي كان يشعر بنوع من الإخاء لعلي بن أبي طالب، وإن علياً كان ممتثلًا بهذا الإخاء، ثم أن النبي كان يوجه الأنظار إلى العظمة الإنسانية التي تتمثل في شخصية علي، وإلى أنه خير من يستطيع أن يتم شروط الرسالة من بعده.

﴿أَفَنُكِّنَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾

(هود ١٧)

١- عن الوليد بن المسيب، عن أبيه، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال: سمعت علياً يقول: ما نزلت آية في كتاب الله جل وعز إلا وقد علمت متى نزلت وفيما أنزلت، وما من قريش رجل إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله لتسوقه إلى جنة أو نار. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين فما نزل فيك؟ فقال لو لا أنك سألتني على رؤوس الملا ما حدثتك، أما تقرأ ﴿أَفَنُكِّنَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ رسول الله على بيته من ربه وأنا الشاهد منه اتلوه واتبعه، والله لئن تعلمون ما خصنا الله عز وجل به أهل البيت، أحب إليَّ مما على الأرض من ذهبة حمراء أو فضة بيضاء^(١).

٢- عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ما من رجل من قريش إلا نزل فيه طائفة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال: أما تقرأ سورة هود: ﴿أَفَنُكِّنَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ رسول الله على بيته من ربه وأنا شاهد منه^(٢).

٣- عن عباد بن عبد الله الاسدي قال: بينا أنا عند علي بن أبي طالب عليه السلام في الرحبة إذ أتاه رجل فسأله عن هذه الآية ﴿أَفَنُكِّنَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ فقال: ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلا قد نزلت فيه طائفة من القرآن والله لأن يكونوا يعلموا ما سبق لنا أهل البيت على لسان النبي الأمي أحب إليَّ من أن يكون لي ملء هذه

(١) المناقب لابن المغازلي الحديث (٣٢١). غاية المرام ص ٣٦٠ الباب (٦١) الحديث (٢٠).

(٢) كنز العمال ج ١ ص ٢٥١. فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٧٠ نقلاً عن الدر المنثور ج ٣ ص ٣٢٤.

الرجبة ذهباً وفضة، والله أن مثلنا في هذه الآية كمثل سفينة نوح في قوم نوح، وإن مثلنا في هذه الأمة كمثل باب حطة في بني إسرائيل^(١).

٤- عن محمد بن عمار الاسدي، قال: حدثنا زريق بن مرزوق، قال: حدثنا صباح الفرائسي، عن جابر، عن عبد الله بن يحيى قال: قال علي رضي الله عنه: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والأيتان. فقال له رجل: فأنت فأبي شيء نزل فيك؟ فقال علي: أما تقرأ الآية التي نزلت في هود: ﴿وَيَلْوُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(٢).

٥- أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك، أنبأنا سعيد بن أحمد بن محمد، أنبأنا أبو بكر الجوزقي، أنبأنا عمرو بن الحسين بن علي، أنبأنا أحمد بن الحسن الحرار، أنبأنا أبي، أنبأنا حصين بن محارق، عن ضمرة، عن عطاء، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن علي قال: رسول الله على بينة وأنا الشاهد منه^(٣).

٦- ذكر الثعلبي بإسناده إلى علي بن أبي طالب من رواية زاذان قال سمعته عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو ثبت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواشي إلا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنة أو تقوده إلى النار فقال له رجل يا أمير المؤمنين فما آيتك التي أنزلت فيك فقال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُو شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ فرسول الله على بينة وأنا شاهد منه^(٤).

٧- قال سليم بن قيس: سألت رجل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال - وأنا اسمع - أخبرني بأفضل منقبة لك، قال: ما أنزل الله في كتابه؟ قال: وما أنزل الله فيك قال: ﴿أَفَمَنْ

(١) كنز العمال ج ١ ص ٢٥٠ وج ٦ ص ٢١٦ . غاية المرام ص ٣٦١ . ينابيع المودة ص ١١٤ .

(٢) تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٥ . لباب التأويل في معاني التنزيل ج ٢ ص ٣٢٦ .

(٣) تاريخ دمشق الحديث ٩٢١ ج ٢ ص ٤٢٠ .

(٤) تذكرة الخواص ص ١٦ . المناقب للخوارزمي ص ١٩٧ .

كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» أنا الشاهد من رسول الله صلى الله عليه واله إلى آخر قوله^(١).

٨- عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، قال: سمعت علياً يقول على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي إلا وقد أنزل الله فيه قرآنًا، فقام إليه رجل قال: يا أمير المؤمنين، فما أنزل الله تعالى فيك؟ قال: يريد تكذيبه فقام الناس إليه يلکزونه في صدره وجنبه، فقال: دعوه، أقرأت سورة هود؟ قال: نعم، قال: أقرأت قوله سبحانه: ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ قال: نعم، قال: صاحب البينة محمد، والتالي الشاهد أنا^(٢).

٩- عن أبي جعفر، وعلي بن موسى الرضا عليهما السلام، الشاهد منه علي بن أبي طالب عليه السلام يشهد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو منه^(٣).

١٠- عن منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله، قال: كنا مع علي في الرحبة فقام إليه فقال: يا أمير المؤمنين أرايت قول الله تعالى: ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ فقال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما جرت المواسي على رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه من كتاب الله آية أو آيتان ولان يعلموا ما فرض الله لنا على لسان النبي الأمي أحب من ملء الأرض فضة، واني لأعلم أن القلم قد جرى بها هو كائن، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أن مثلنا فيكم كمثل سفينة نوح في قومه ومثل باب حطة في بني إسرائيل، أنقرأ سورة هود؟ ﴿أَفَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(٤).

(١) الاحتجاج، ج ١ ص ٢٣١.

(٢) نهج البلاغة ج ٦ ص ١٣٦. غاية المرام ص ٣٦٠.

(٣) مجمع البيان ج ٥ ص ١٥٠.

(٤) شواهد التنزيل ج ١، ص ٢٧٦.

أقول:

المراد بالشهادة تأدية الشهادة التي تفيد صحة الامر المشهود له دون تحملها فإن المقام مقام تثبيت حقيقة القرآن، وهو إنما يناسب الشهادة بمعنى التأدية لا بمعنى التحمل .

والشاهد من أيقن بحقية القرآن وكان على بصيرة إلهية من أمره فأمن به عن بصيرته وشهد بأنه حق منزل من عند الله تعالى كما يشهد بالتوحيد والرسالة فإن الشاهد الذي يلي صاحب البينة يلي بيئته كما يلي نفسه، وعلى هذا ينطبق ما ورد في روايات الفريقين أن المراد بالشاهد علي عليه السلام، وقد وردت عدة روايات من طرق الشيعة والسنة، حيث كان أمير المؤمنين عليه السلام أول من استجاب لله عز وجل ولرسله وأول من آمن وصدق الله ورسوله. فرسول الله ﷺ على بينة من ربه، وأمير المؤمنين عليه السلام يتلووه وهو شاهد منه. حيث أن الشاهد الذي يتلو النبي ﷺ هو استمرار لمسؤولية النبي في الشهادة وإن هذا الشاهد منه، باعتبار كونه من رسول الله ﷺ لأنه نفس الرسول بدلالة آية المباهلة.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

(يوسف ١٠٨)

١- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحسني بن علي بن يزيد الجعفري قال: حدثني سعيد بن الحسن بن مالك، عن بكار، عن إسماعيل بن أمية غورك، عن الحميد، عن أبي جعفر قال: لا نالتني شفاعة جدي إن لم يكن هذه الآية نزلت في علي خاصة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

٢- عن إسماعيل بن إبراهيم، ومحمد بن الحسين بن خطاب، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن ثعلبة بن ميمون، عن نجم، عن أبي جعفر قال: سأله عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قال: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ علي بن أبي طالب^(٢).

٣- عن أحمد بن القاسم، عن محمد بن أبي عمر بن حرب بن الحسين، ومحمد بن حفص بن راشد، قالوا: أخبرنا شاذان الطحان، عن كهمش بن الحسن، عن سلم الحذاء، عن زيد بن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ من أهل بيتي لا يزال الرجل بعد الرجل يدعو إلى ما أدعو إليه^(٣).

٤- عن الحسن بن سعيد، عن محمد بن حماد بن عمرو الحناط، عن محمد بن الهيثم التميمي، عن حماد بن ثابت، عن أبي داود، عن إبان تغلب، عن جعفر بن محمد في هذه الآية: ﴿أَدْعُو

(١) رواه الحاكم المسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٨٥، قال: ورواه أيضا فرات بن إبراهيم لفظاً واحداً.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٨٦، وقال ذكره فرات بن إبراهيم في الحديث ٢٢٤ في أول تفسير سورة يوسف

ص ٧٠.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٨٦، قال: وذكره (فرات) في الحديث (٢٢٧، ٢٢٥) من تفسيره ص ٧٠.

إلى الله عَلَى بَصِيرَةٍ قال: هي والله ولا يتنا أهل البيت لا ينكره أحد إلا ضال، ولا يتقصى علياً إلا ضال".

أقول:

أن السبيل التي تقتضيها الآية هي الدعوة عن بصيرة ويقين إلى إيمان محض وتوحيد خالص وهو من كان مخلصاً لله في دينه عالماً بمقام ربه ذا بصيرة ويقين.

وان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أول من اتبع النبي صلى الله عليه وآله على الإيمان والتصديق له وبها جاء به من عند الله عز وجل من الأمة التي بعث فيها واليها قبل الخلق ممن لم يشرك بالله قط ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشرك .

في الكافي بإسناده عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأوصياء من بعدهما.

لقد فهم علي عليه السلام وعاشه، حمل الإسلام في قلبه، وحمل معه كل أعباء الرجال. هو بإسلامه وفي إسلامه لا يتغير - طفلاً وشاباً، وشيخاً، جندياً وقائداً، وخليفة للمسلمين.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٨٦ ، قال : وهذا هو الحديث الأول من تفسير سورة يوسف من تفسير فوات

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صِنُوانٌ وَغَيْرُ صِنُوانٍ﴾

(الرعد ٤)

١- عن هارون بن حاتم، عن عبد الرحمن بن أبي حماد، عن أبي إسحاق العطار، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي عليه السلام: يا علي الناس من شجر شتى وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَخَيْلٌ صِنُوانٌ وَغَيْرُ صِنُوانٍ﴾.

٢- أخبرنا أبو قاسم هبة الله بن عبد الله، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا عبد الله بن محمد بن عبيد الله النجار، أنبأنا محمد بن المظفر، أنبأنا أبو جعفر محمد بن الحسين بن حفص الخثعمي بالكوفة، أنبأنا عباد بن يعقوب، أنبأنا يحيى بن بشير الكندي، عن إسماعيل بن إبراهيم الهمداني، عن أبي إسحاق، عن الحرث، عن علي، وعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مثلي ومثل علي مثل شجرة أنا أصلها وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرها، والشعبة ورقها، فهل يخرج من الطيب إلا الطيب وأنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أرادها فليأت الباب".

(١) رواه الحاكم في كتاب المستدرک ج ٢ ص ٢٤١. فرائد السمطين ص ٤٠. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٠. كنوز الحقائق ص ١٥٥. البرهان ج ٢ ص ٢٧٨. تفسير الميزان ج ١١ ص ٣٢٥. تاريخ دمشق الحديث ١٧٧. مجمع البيان ج ٦ ص ٢٧٦.

(٢) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق الحديث ٩٩٨. اللآلئ المصنوعة ج ١ ص ١٧٣ نقلاً عن كتاب تلخیص المتشابه. لسان الميزان ج ٦ ص ٢٤٣. بشارة المصطفى ج ٢ ص ٧٦.

٣- عن مولى عبد الرحمن بن عوف، قال: أخذوا عني قبل أن تشاب الأحاديث بالآباطيل سمعت رسول الله صلى عليه واله وسلم يقول: أنا الشجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها، واصل الشجرة في جنة عدن وسائر ذلك في سائر الجنة^(١).

٤- أخبرنا أبو يعلى حمزة بن أحمد بن فارس كروس، أنبأنا أبو البركات أحمد بن عبد الله بن علي المقرئ، أنبأنا أبو طالب عمر بن إبراهيم بن سعيد الفقيه الزهري، أنبأنا أبو بكر محمد بن عريب البزار، أنبأنا أبو العباس أحمد بن موسى زنجويه القطان، حدثنا عثمان بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن أبي الزبير، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعرفات وعلي عليه السلام تجاهه، فأوحى إلي وإلى علي عليه السلام فأتينا النبي ﷺ وهو يقول: ادن مني فدنا منه علي ﷺ فقال ضع نفسك في حمسي - يعني كفك في كفي - يا علي: خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلق بغصن منها دخل الجنة. يا علي: لو أن أمتي ناموا حتى يكونوا كالخنايا وصلوا حتى يكونوا كالأوتار، ثم أبغضوك لأكبيهم الله في النار^(٢).

٥- عن الديلمي، عن جابر، عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال: أنا وعلي من شجرة واحدة، والناس من أشجار شتى^(٣).

٦- عن عبد العزيز، بسنده إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة، أغصانها في الدنيا فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً^(٤).

(١) رواه الحاكم في كتاب المستدرج ج ٣ ص ١٦٠. كما رواه عنه أيضاً فضائل الخمسة ج ١ ص ١٧٢.

(٢) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق الحديث ١٨٣. كفاية الطالب ص ٣١٧ الباب ٨٧. المناقب لبن المغازلي الحديث ١٣٤، ٣٤٣.

(٣) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤. ورواه عنه أيضاً فضائل الخمسة ج ١ ص ١٧٢.

(٤) ذخائر العقبى ص ١٦. الصواعق المحرقة ص ٩٠.

أقول:

قال الراغب: الصنو الخارج عن أصل الشجرة يقال: هما صنوا نخلة وفلان صنو أبيه والتثنية صنوان وجمعه صنوان قال تعالى: ﴿صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾. فالإمام علي عليه السلام ومحمد بن عبد الله بن علي بن أبي طالب من أصل واحد، فالمشبه علي ومحمد كلاهما، والمشبه به النخلة ذات الفرع. قال الإمام علي عليه السلام: ((وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو))

اخرج ابن المغازلي في كتابه المناقب بسنده عن سلمان الفارسي قال: سمعت حبيبي محمداً صلى الله عليه واله يقول: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم أودع ذلك النور في صلبة فلم يزل أنا وعلي شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففي النبوة وفي علي الإمامة^(١).

وقال الحسن بن علي عليهما السلام في خطبة له بعد وفاة أبيه عليه السلام قال: أيها الناس أنا ابن البشير وأنا ابن النذير وأنا ابن السراج وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين إلى أن قال: وقال جدي عليه السلام حين قضى بينه وبين أخيه جعفر ومولاه زيد في ابنة عمه حمزة: أما أنت يا علي فمني وأنا منك وأنت ولي كل مؤمن بعدي فكان أبي أولهم إيماناً فهو سابق السابقين وفضل الله السابقين على المتأخرين، كذلك فضل سابق السابقين على السابقين، وذلك انه لم يسبقه إلى الإيمان أحد... إلى آخر خطبته^(٢).

(١) ينابيع المودة ص ١١.

(٢) ينابيع المودة ص ٨.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

(الرعد ٧)

١- عن أحمد بن يحيى الصوفي، قال: حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: حدثنا معاذ بن مسلم، حدثنا الهروي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وضع صلى الله عليه (واله) وسلم يده على صدره فقال: (أنا المنذر ولكل قوم هاد) وأوماً بيده إلى منكب علي فقال: أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي^(١).

٢- أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثي، حدثنا حسين بن حسن الأشقر، حدثنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال ابن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن علي، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال علي: رسول الله المنذر، وأنا الهادي^(٢).

٣- عن الحسن بن الحسين الأنصاري، عن معاذ بن مسلم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال النبي صلى الله عليه (واله) وسلم أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون بعدي^(٣).

(١) تفسير الطبري ج ١٣ ص ١٠٨ . يتابع المودة ص ١١٥ و ٢٨٢ . كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ . نور الإبرار ص ٧٨ . كنوز الحقائق ص ٤٢ . مجمع البيان ج ٦ ص ٢٧٨ . البرهان ج ٢ ص ٢٨٢ . غاية المرام ص ٢٣٥ الباب ٣٠ .

(٢) رواه الحاكم في كتاب المستدرج ج ٣ ص ١٢٩ . كنز العمال ج ١ ص ٢٥١ . تاريخ دمشق الحديث ٩١٤ .

(٣) فرائد السمطين الباب ٢٨ رقم ١٢٣ ، لسان الميزان ج ٢ ص ١٩٩ . كفاية الطالب ص ٢٣٢ . غاية المرام ص ٢٣٥ الباب ٣٠ الحديث ٧ .

٤- عن عبد الرحيم، عن الباقر عليه السلام قال في تفسير هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وآله
واله وسلم: أنا المنذر وعلي الهادي، أما والله ما زالت فينا إلى قيام الساعة^(١).

٥- عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن حكم بن جبیر، عن أبي بردة الأسلمي قال:
دعا رسول الله صلى الله عليه وآله (واله) وسلم بالطهور وعنده علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ
رسول الله ﷺ بيد علي بعدما تطهر فألزمها بصورة ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ ثم ردها إلى
صدر علي ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ثم قال: انك منارة الأنام، وغاية الهدى. وأمير القرى،
واشهد على ذلك انك كذلك^(٢).

٦- قال الحافظ ابن شهر آشوب في المناقب: وقد صنف أحمد بن محمد بن سعيد كتاباً في قوله
تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام^(٣).

٧- عن قيس بن الربيع، ومنصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن
عباد بن عبد الله قال: قال علي عليه السلام: ما نزل من القرآن آية إلا وقد علمت حتى نزلت،
وفيمن نزلت قيل: فما نزل فيك ؟ فقال: لولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم نزلت في هذه
الآية: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فرسول الله المنذر وأنا الهادي إلى ما جاء به^(٤).

٨- عن أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب قال: حدثني أحمد بن داود، ابن أخت عبد الرزاق،
قال: حدثني بعض رواة ليث، عن ليث، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: قال
رسول الله ﷺ: ليلة اسري بي ما سألت ربي شيئاً إلا أعطانيه، وسمعت منادياً من خلفي

(١) ينابيع المودة ص ١١٥ .

(٢) البرهان ج ٢ ص ٢٨٢ . مجمع البيان ج ٦ ص ٢٧٨ .

(٣) البرهان ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٠٠ رقم ٤١٣ .

يقول: يا محمد إنما أنت منذر ولكل قوم هاد. قلت: أنا المنذر فمن الهادي؟ قال: علي الهادي المهتدي، القائد أمتك إلى جنتي غراء محجلين برحمتي“.

أقول:

أن كل ما دلّ على وجوب النبوة فهو دال على وجوب الإمامة، إذ أن الإمامة خلافة عن النبوة قائمة مقامها إلا في تلقي الوحي الإلهي بلا واسطة وكما أن تلك واجبة على الله تعالى في الحكمة فكذلك الإمامة .

يقول الشيخ محمد رضا المظفر بهذا الصدد: ((كما نعتقد أنها - أي الإمامة - كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبي من الولاية على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم، وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول))“.

ولما كان أمير المؤمنين عليه السلام هو خليفة رسول الله ﷺ بنص الأحاديث المتواترة عنه عليه السلام، وهو الإمام المعصوم بعيد عن ارتكاب الخطأ والزلل، فهو الهادي إلى سواء السبيل، والدال على شريعة الرسول، والمبين لأحكام الدين، لأنه عاش الرسالة منذ بدايتها ونهل من معينها فهو تلميذها الأول وخريجها الرائد في زمن النبي ﷺ كأول معتمد له كما كان أول سند ليكون مشاركاً للرسول في تنفيذ أوامره المهمة التي تتصل بكل مناحي الحياة والعقيدة وكان في جل موافق الحاشية من تاريخ الدعوة الإسلامية إلى جانب الرسول ﷺ فكان رسول الله أراد بذلك تدريبه وعيسته لتولي شؤون المدرسة من بعده فكان كما أراد الرسول لقد نذر حياته لقضية الإسلام منذ عمره الباكر، وعاش عمره المسلم يتنفس النقاء.. والصدق والاستقامة

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٢٩٦ رقم ٤٠٣ .

(٢) عقائد الإمامية ص ٤٩ .

ليس في حياته وقفة واحدة مع المساومة أو الالتواء انه من بيت النبوة وسليل الدوحة الحمودية .. انه ربيب الوحي، وسابق المسلمين.

وفوق كل ذلك أحاديث الرسول ﷺ بحقه ~~التي~~ هي خبر دليل على انه الهادي إلى طريق الحق ((ألا واني خلف فيكم ما أن تمسكتم لن تغفلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

(الرعد ٢٨)

١- عن أبي نعيم الأصفهاني بإسناده عن أبي داود، عن انس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أتدري من هم يا ابن أم سليم قلت: فمن هم يا رسول الله قال: نحن أهل البيت وشيعتنا^(١).

٢- عن علي بن الحسين، أن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ قال: ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً ألا بذكر الله يتحابون، قال: أخرجه ابن مردويه^(٢).

أقول:

الاطمئنان السكون والاستقرار، والاطمئنان إلى الشيء السكون. فالإيمان بالله يلزم اطمئنان القلب بذكر الله تعالى. وقبول خاص من النفس بالنسبة إلى ما أدركته يوجب تسليمها له، وآيته مطاوعة سائر القوى والجوارح وقبولها كما طاعته النفس وقبلته. وقد وصف الله المؤمن بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله بأنه يذكر ثوابه وأنعامه وآلاءه التي لا تحصى وأياديه التي لا تحجازي فيسكن إليه.

كما أن ذكر الله فيه تنمية للناس أن يتوجهوا إليه ويريحوا قلوبهم بذكره فإنه لا هم للإنسان في حياته إلا الفوز بالسعادة والنصيحة فالقلب الذي يطمئن بذكر الله ويسكن به ما فيه من القلق والاضطراب الذي يستحق أن يسمى قلباً وهو القلب الباقي على بصيرته ورشده

(١) غاية المرام ص ٤٢٩ الباب ١٩٥، وفي الباب ١٩٦ الحديث، عن العياشي بإسناده عن ابن عباس.

وان النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام الذين ذكروا الله حق ذكره واطمأنت قلوبهم إليه سبحانه وتعالى، حيث أن النبي ﷺ يختار موضوع الحب بعناصر مرتبطة بأصل الإيمان، وهنا يقول: بحب أهل البيت تطمئن القلوب.



﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبْرَأَهُمُ اللَّهُ﴾

(الرعد ٢٩)

١- روى الثعلبي بإسناده عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: طوبى شجرة أصلها في دار علي عليه السلام في الجنة، وفي دار كل مؤمن منها غصن ^١.

٢- عن موسى بن جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن طوبى قال: شجرة أصلها في داري وفروعها على أهل الجنة، ثم سئل عنها مرة أخرى فقال: في دار علي عليه السلام فقليل في ذلك فقال: أن داري ودار علي في الجنة بمكان واحد ^٢.

٣- عن عبد العزيز بسنده إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلا ^٣.

٤- عن إسماعيل بن أمية القرشي، عن داود بن عبد الجبار، عن أبي جعفر قال: سئل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبْرَأَهُمُ اللَّهُ﴾ قال: شجرة في الجنة أصلها في داري وفروعها على أهل الجنة. ثم سئل عنها مرة أخرى قال: طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفروعها على أهل الجنة. فقليل له: سألتك عنها يا رسول الله فقلت: أصلها في داري ثم سألتك مرة أخرى فقلت: شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفروعها على أهل الجنة. فقال: أن داري ودار علي واحدة ^٤.

(١) مجمع البيان ج ٦ ص ٢٩١ . غاية المرام ص ٣٩٢ ، ورواه الثعلبي في تفسيره .

(٢) مجمع البيان ج ٦ ص ٢٩١ . تفسير البرهان ج ٣ ص ٢٩٢ .

(٣) ذخائر العقبى ص ١٦ . الصواعق المحرقة ص ٩٠ .

(٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٠٥ . غاية المرام ص ٣٩٢ .

٥- عن سفيان بن عيينة، عن ابن شهاب، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لعمر بن الخطاب: إن في الجنة لشجرة ما في الجنة قصر ولا منزل ولا مجلس إلا وفيه غصن من أغصان تلك الشجرة وأصل تلك الشجرة في داري، ثم مضى على ذلك ثلاثة أيام، ثم قال رسول الله: يا عمر أن في الجنة لشجرة ما في الجنة قصر ولا دار ولا منزل ولا مجلس إلا وفيه غصن من أغصان تلك الشجرة، أصلها في دار علي بن طالب. قال عمر: يا رسول الله قلت ذلك اليوم: أن أصل تلك الشجرة في داري واليوم قلت: أن أصل تلك الشجرة في دار علي؟ فقال رسول الله: أما علمت أن منزلي ومنزل علي في الجنة واحد، وقصري وقصر علي في الجنة واحد، وسريري وسرير علي في الجنة واحد^(١).

٦- عن الحسن بن علي بن فضال، عن مروان بن سالم، عن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا، لم يزغ قلبه بعد الهداية، فقلت جعلت فداك وما طوبى قال: شجرة في الجنة أصلها في دار علي بن أبي طالب وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها وذلك قول الله عز وجل ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾^(٢).

٧- عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ قال: هي شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة فقليل له يا رسول الله سألتك عنها فقلت: أصلها في دار علي وفرعها على الجنة فقال: أن داري ودار علي واحد غدا في مكان واحد^(٣).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٠٥ . غاية المرام ص ٣٩٢.

(٢) غاية المرام ص ٣٩٢.

(٣) ينابيع المودة ص ١١١ ، ورواه الثعلبي في تفسيره .

أقول:

يستفاد من هذه الآية التهنئة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اطمئنانا مستمراً بأطيب الحياة أو العيش وحسن المرجع. فان حقيقة المعيشة الطوبى هي ولاية الله سبحانه، وعلي عليه السلام صاحبها وأول فاتح لبابها من هذه الأمة والمؤمنون من أهل الولاية إتباعه وأشياعه وداره عليه السلام في جنة النعيم وهي جنة الولاية ودار النبي ﷺ واحدة لا اختلاف بينهما .

«وطوبى لهم» كما في مجمع البيان على أقوال:

- ١- أن معناه فرح لهم وقرّة عين. عن ابن عباس
- ٢- غبطة لهم. عن الضحاك.
- ٣- خير لهم وكرامة. عن إبراهيم النخعي.
- ٤- الجنة لهم. عن مجاهد .
- ٥- معناه العيش الطيب لهم. عن الزجاج.
- ٦- هنيئاً بطيب العيش لهم .
- ٧- حسنى لهم. عن قتادة .
- ٨- أن طوبى لهم شجرة في الجنة أصلها في دار النبي ﷺ وفي دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير، ووهب، وأبي هريرة، وشهر بن حوشب.

﴿قُلْ كَلِمَ بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾

(الرعد ٤٣)

١- عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن عمرو بن مفلس، عن خلف، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم عن قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب^(١).

٢- عن محمد بن جعفر بن محمد العسكري، عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن إبراهيم بن محمد بن ميمون، عن علي بن عباس، قال: لما دخلت أنا وأبو مريم على عبد الله بن عطاء، قال أبو مريم: حدث علياً بالحديث الذي حدثني عن أبي جعفر عليه السلام قال: نعم كنت عند أبي جعفر جالساً إذ مر عليه عبد الله بن سلام، قلت: جعلني الله فداك هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال: لا، ولكنه صاحبكم علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عز وجل مثل قوله: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ومثل قوله: ﴿أَفَنُكِّنْكَ عَلَىٰ يَتِيمَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(٢). ومثل قوله: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣).

(١) تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٠٣. شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٠٧.

(٢) سورة هود / ١٧.

(٣) سورة المائدة / ٥٥.

الناقب لابن المغازلي الحديث ٣٦١. العملة ص ٦١. الخصائص ص ٢٦. غاية المرام ص ١٠٤ الباب ١٨ و ص ٣٥٧ الباب ٥٩.

٣- عن مندل بن علي، عن إسحاق بن سليمان، عن أبي عمر زاذان، عن ابن الحنفية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: علي بن أبي طالب^(٣).

٤- عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿قُلْ كَلَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فقال: نزلت في علي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي الأئمة بعده، وعلي عنده علم الكتاب^(٤).

٥- عن عبد الله بن داود الحزيني، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، في قوله تعالى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: علي بن أبي طالب كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام. قال أبو صالح: سمعت ابن عباس مرة يقول: هو عبد الله بن سلام، سمعت منه في آخر عمره يقول: لا والله ما هو إلا علي بن أبي طالب^(٥).

٦- روي عن بريد بن معاوية، عن أبي عبد الله أنه قال: إيانا عني، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وروي عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره ثم قال: عندنا والله علم الكتاب، ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي أنه قال: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبي من علي بن أبي طالب عليه السلام ومن الصالحين من أولاده. وروي عاصم بن أبي النجود، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: ما رأيت أحداً أقرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام للقرآن^(٦).

٧- عن عمر بن أذينة، عن جعفر الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ألا أن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين عليه السلام. وقال الصادق علم الكتاب كله، والله

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٠.

(١) غاية المرام ص ٣٥٧ الباب ٥٩. بتأنيع المودة ص ١٢٠.

(٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٠.

(٢) غاية المرام ص ٣٥٨.

عندنا وما أعطى وزير سليمان بن داود عليهم السلام انما عنده حرف واحد من اسم الأعظم وعلم بعض الكتاب كان عنده، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(١). قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاعِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ﴾^(٢). بمن التبعيض، وقال في عيسى عليه السلام: ﴿وَلَيْنِ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾. بكلمة البعض وقال في علي عليه السلام: ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أي كل الكتاب، وقال: ﴿لَا رَطْبَ وَلَا يَاسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣) وعلم هذا الكتاب عنده^(٤).

٨- عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٥). قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليها السلام، وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ كَلِمًا بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب^(٦).

٩- سئل علي عليه السلام أن عيسى بن مريم كان يحجي الموتى وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير هل لكم هذه المتزلة؟ قال: إن سليمان بن داود عليها السلام غضب الهدهد لفقده لأنه يعرف الماء ويدل على الماء ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء مع أن الريح والنمل والأنس والجن والشياطين والمردة كانوا له طائعين وإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ

(١) سورة النمل / ٤٠. (٤) يتابع المودة ص ١٢٠.

(٢) سورة الأعراف / ١٤٥. (٥) سورة النمل / ٤٠.

(٣) سورة الأنعام / ٥٩. (٦) يتابع المودة ص ١٢٠.

الجبال أو قُطعت به الأرض أو كلم به الموتى» ويقول تعالى: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾، ويقول تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ فنحن أورثنا هذا القرآن الذي فيه ما يسير فيه الجبال وقُطعت به البلدان ويحيي به الموتى وتعرف به الماء وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء».

١٠- قال سليم بن قيس: سأل رجل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال- وأنا اسمع - أخبرني بأفضل منقبة لك، قال: ما أنزل الله في كتابه ؟ قال: وما أنزل الله فيك قال: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾، أنا الشاهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله: ﴿ويقول الذين كفروا ألست مرسلًا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ إياي عنى بمن عنده علم لكتاب فلم يدع شيئاً أنزله الله فيه إلا ذكره».

أقول:

لقد وردت الروايات من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام أن الآية نزلت في علي عليه السلام لأنه عنده علم الكتاب فهو أعلم الأمة بكتاب الله بعد النبي ﷺ وتكاثر الروايات الصحيحة على ذلك ولو لم يرد فيه إلا قوله ﷺ في حديث الثقلين المتواتر من طرف الفريقين: ((لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) لكان فيه كفاية.

(٥) سورة هود / ١٧ .

(٣) سورة فاطر / ٣٢ .

(١) سورة الرعد / ٣١ .

(٦) الاحتجاج ج ١ ص ٢٣١ .

(٤) ينابيع المودة ص ١٢٠ .

(٢) سورة النمل / ٧٥ .

لقد كان علي بن أبي طالب عليه السلام فذ من أفذاذ العقل وهو بذلك قطب الإسلام وموسوعة المعارف العربية، ليس في علم إلا وقد وضع أصله أو ساهم في وضعه فهو حقاً كما قال النبي ﷺ: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)).

لقد ربي الله برعاية النبي ﷺ ابن عمه وتلمذ له وورث أخلاقه وأسلوبه في النظر إلى الحياة وجرى الميراث في قلبه وعقله سواء بسواء وعكف على دراسة القرآن دراسة المتبصر الحكيم الذي ينفذ إلى لباب الأشياء فيمي حقائقها ويستوحىها فإذا هو يتقن القرآن نصاً ويحييه جوهراً فيستقيم به لسانه كما يستقيم جنانته. قيل لعلي عليه السلام: مالك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه (وآله) وسلم حديثاً؟ فقال: ((إني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني)). وقيل لابن عباس: ((أين علمك من علم ابن عمك؟)) فقال: ((كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط)).

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾

(إبراهيم ٢٣، ٢٤)

١ - أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، أخبرنا أبو بكر الجرجاني أخبرنا أبو أحمد البصري، قال: حدثني المغيرة بن محمد، قال: حدثني جابر بن سلمة، قال: حدثني حسين بن حسن عن عامر السراج، عن سلام الخثعمي قال: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله قول الله تعالى: ﴿أصلها ثابت وفروعها في السماء﴾ قال: يا سلام الشجرة محمد والفرع علي أمير المؤمنين، والثمر الحسن والحسين، والغصن فاطمة، وشعب ذلك الغصن الأئمة من ولد فاطمة، والورق شيعتنا ومحبونا أهل البيت، فإذا مات من شيعتنا رجل تناثر من الشجرة ورقة، فإذا ولد من محبينا مولود أخضر مكان تلك الورقة ورقة. فقلت: يا ابن رسول الله قول الله تعالى ﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ ما يعني؟ قال: يعني الأئمة تفتي شيعتم في الحلال والحرام في كل حج وعمره".

٢ - عن أبي عبد الله الدينوري، حدثنا محمد بن الحسن بن صقلاب، حدثنا محمد بن الفيض بن محمد بدمشق عن موصل بن بهاب، عن عبد الرزاق، عن أبيه، عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: سمعت عبد الرحمن بن عوف يقول: أخذوا مني حديثا قبل أن تشاب الأحاديث بالباطيل، سمعت رسول الله يقول: أنا الشجرة وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن وسائر ذلك في سائر الجنة".

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١١.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٢.

٣- اخبرنا علي بن احمد، اخبرنا محمد بن عمر، اخبرنا محمد بن القاسم، اخبرنا قسم بن هشام، اخبرنا إسماعيل بن أبان، عن صالح، عن أبي الأسود، عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر قال: مثلنا أهل البيت كمثل شجرة قائمة على ساق، من تعلق بغصن من أغصانها كان من أهلها. قلت: من الساق؟ قال: علي^(١).

٤- روى ابن عقدة، عن أبي جعفر^(٢)، أن الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرعها علي^(٣) وعنصر الشجرة فاطمة، وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتنا، ثم قال^(٤): إن الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة، وإن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة. وروى عن ابن عباس قال: قال جبرائيل^(٥) للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنت الشجرة، وعلي غصنها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمرها. وقيل أن معنى قوله «تَوَيَّ أَكْمَهَا كُلَّ حِينٍ بِأَذْنِ رَبِّهَا» ما يفتي به الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشيعتهم في الحلال والحرام^(٦).

أقول:

اختلفوا في المراد من الكلمة الطيبة فقيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وقيل: الإيمان، وقيل: القرآن، وقيل مطلق التسيح والتنزيه، وقيل: كل كلمة حسنة، وقيل: المؤمن. والذي تقتضيه الآية أن المراد بالكلمة الطيبة التي شبهت بشجرة طيبة هو الاعتقاد الحق الثابت والقول هي الكلمة ولا كل كلمة بها هي لفظ، بل بها هي معتمدة على اعتقاد وعزم يستقيم عليه الإنسان ولا يزيغ عنه عملاً، وهذا القول الكلمة الطيبة هو الذي يرتب الله تعالى عليه تثبيتته في الدنيا والآخرة، أهله، وهم الذين آمنوا والمؤمنون وهم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فتحققوا بهذا القول الثابت والكلمة الطيبة مثلهم كمثل قولهم الذي ثبتوا لا يزال

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٢. كما ذكره المستدرک ج ٣ ص ١٦٠.

(٢) مجمع البيان ج ٦ ص ٣١٢ و ص ٣١٣.

الناس منتفعين بخيرات وجودهم ومنعمين ببركاتهم وكذلك كل كلمة حقة وكل عمل صالح مثله هذا المثل، له أصل ثابت وفروع رشيدة وثمرات طيبة مفيدة نافعة .

فرسول الله ﷺ هو أصل كل كلمة طيبة، وأمير المؤمنين عليه السلام هو الفرع، والأغصان الأئمة عليهم السلام. وفي بعض الروايات أن النبي والأئمة هم الأصل الثابت والفرع الولاية فمن دخل فيها نجا ومن تخلف عنها هلك.

«يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»

(إبراهيم ٢٧)

١- عن محمد بن مروان عن علي بن محمد قال: حدثني الحبري، عن حسين بن نصر، قال:

حدثني أبي عن ابن مروان عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: في قوله تعالى:

«يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» قال: بولاية^١.

٢- قال البرسي: ولا تثبت على الصراط قدم إنسان إلا بحب علي وإلى الإشارة بقوله: «يُثَبِّتُ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» يعني في الدنيا وليه يغلب خصمه،

وفي الآخرة يثبت قدمه دليل ذلك ما رواه ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): يا علي ما

ثبت حبك في قلب مؤمن إلا وثبت قدمه على الصراط حتى يدخل الجنة^٢

أقول:

لقد فرض سبحانه إيماناً ثابتاً على التثبيت وهو في نفسه يستلزم هداية منه واهتداء

منهم، ثم أضيف إلى ذلك القول الثابت وهو ثباتهم واستقامتهم بحسن اختيارهم على ما آمنوا

به وهو فعلهم فيعقبه الله بتثبيتهم بسبب ذلك القول الثابت. فالتثبيت بمنزلة أحكام الشجرة

الطيبة من جهة ثبوت أصلها في الأرض وإذا ثبت أصل الشجرة ثمت وتفرعت واتت بالثمار

في كل حين.

وقيل: أن المعنى يثبت الله الذين آمنوا ويقرهم في كرامته وثوابه بالقول الثابت الذي

وجد منهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالحجج والأدلة فالمراد بتثبيتهم تقريرهم منه وإسكانه

الجنة.

(١) غاية المرام ص ٤٠٠. تفسير البرهان ج ٢ ص ٣١٥. شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٤، قال: ورواه فرات في

تفسيره ص ٢٩ الحديث ٢٦٩.

(٢) مشارق أنوار اليقين ص ٦٧.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾

(إبراهيم ٢٨)

١- عن الهيثم بن واقد، عن علي بن الحسين العبدى، عن سعد الاسكافي، عن الاصمغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما بال أقوام غيروا سنة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وعدلوا عن وصيه لا يتخوفون أن ينزل بهم العذاب ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ جهنم، ثم قال: نحن النعمة التي انعم الله بها على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة".

٢- عن العياشي بإسناده عن الاصمغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ قال: نحن النعمة التي انعم الله بها على العباد".

٣- وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: نحن والله نعمة الله التي أنعمها، انعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز. ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره".

أقول:

حقاً لقد كان أهل البيت عليهم السلام مناراً يتندى بهم وسراجاً يستضاء بنورهم فهم العترة الطاهرة من الدوحة النبوية الذين اختارهم الله ليكونوا حجة على خلقه لأنهم أبواب علمه والدالون على دينه والحافظون لشريعته كيف وقد اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وجعلهم قرناء الكتاب لقول النبي (ﷺ): إني خلف فيكم الثقلين كتاب الله

(١) غاية المرام ٣٥٦. الميزان في تفسير القرآن ج ١٢ ص ٦٥.

(٢) غابة المرام ص ٣٥٦.

(٣) مجمع البيان ج ٦ ص ٣١٤.

وعترني أهل بيتي ما أن تمسكتهم بها لن تفلتوا بعدي ابداً فقد روى هذا الحديث أصحاب السنن والصحاح وبطرق متعددة وبأسانيد مختلفة.

وقد استدل أكثر المحدثين والمفسرين في آية التطهير على عصمة أهل البيت من الذنوب وقد جاءت هذه الآية الكريمة - آية التطهير - لبيان فضلهم على من سواهم، ولا يتم ذلك إلا إذا تحقق المراد وهو عين العصمة التي يدعيها الشيعة للنبي والزهراء والأئمة.

ومن الآيات التي تشير إلى قداسة أهل البيت وتأمراً بها طاعتهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وقد قرب الفخر الرازي في تفسيره دلالتها على عصمة أولي الأمر فقال: أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن أمر بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً من الخطأ^(١).

ولاشك فإن أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم النبي ﷺ أحد الثقلين ولن يفرقا عن القرآن ولا يفضل المتمسك بهم لأنهم هم الذين كانوا يعكسون نصوص القرآن وأوامره ونواهيه ووصاياه في سيرتهم وسلوكهم في جميع مراحل حياتهم. وكما جعلهم عدلاً لكتاب الله شبههم ﷺ في حديث آخر بسفينة نوح التي لم ينج من عقابه إلا من ركبها أو تمسك بها ومقتضى التشبيه أنهم الباب الوحيد إلى النجاة من الهلكة والضلال كما كانت السفينة يوم ذاك هي السبيل الوحيد للنجاة من الغرق.

قال الكنجي في الكفاية: ولا يستريب اللبيب أن مبغض علي عليه السلام في النار، وذلك من وجوه منها أن مبغضه مخالف لرسول الله ﷺ لأنه قد صح الحديث في علي عليه السلام أنه يجب الله ويحبه رسوله، فمن خالف الله ورسوله وجبت له النار، ومن ابغض ما أحب الله ورسوله وجبت له النار^(٢).

(١) تفسير الرازي ج ١٠ ص ١٤٤ .

(٢) كفاية الطالب ص ١١٦ .

ويبدوا من الروايات الكثيرة المنتشرة أن النبي ﷺ كان يحاول أن يهيئ هذه الفئة الصالحة من عثرة لقيادة الأمة وبلغت أنظار المسلمين إلى الرجوع إليهم فيما يعترض حياتهم من المشاكل والإحداث ما كان منها يتعلق بأمور الدين والدنيا.

فمرة يشبههم بسفينة نوح وأخرى بباب حطة فيقول: إنما مثل أهل بيتي فيكم كباب حطة في بني إسرائيل من دخله كان آمناً من عذاب الله، ومرة ثالثة يشبههم بنجوم السماء فيقول: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي من الضلال والهلاك.

﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

(إبراهيم ٣٥)

اخبرنا أبو نصر عبد الرحمن بن علي بن محمد البزاز من أصل سماعه اخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر ببغداد اخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن علي الخزاعي، قال: حدثني أبي، وإسحاق بن إبراهيم الدبري قالاً: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا أبي، عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُوحِيَ إِلَيَّ دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ صَرَّتْ دَعْوَةُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى إِبْرَاهِيمَ «أَنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» فَاسْتَخَفَّ إِبْرَاهِيمُ الْفَرَحَ فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَنْ ذَرِيَّتِي أَنْتُمْ مِثْلِي. فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ أَنِّي لَا أُعْطِيكَ عَهْدًا لَا أَفِي بِكَ بِهِ. قَالَ: يَا رَبِّ مَا الْعَهْدُ الَّذِي لَا تَفِي لِي بِهِ ؟ قَالَ: لَا أُعْطِيكَ لِظَالَمٍ مِنْ ذَرِيَّتِكَ. قَالَ: وَمَنْ الظَّالِمُ مِنْ وَلَدِي الَّذِي لَا يَنَالُهُ عَهْدُكَ؟ فَقَالَ: مَنْ سَجَدَ لَصْنَمٍ مِنْ دُونِي لَا أَجْعَلُهُ إِمَامًا أَبَدًا، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَانْتَهَتْ إِلَيَّ وَلِلَّيْلِ أَخِي عَلِيٍّ لَمْ يَسْجُدْ أَحَدٌ مِنَّا لَصْنَمٍ قَطُّ، فَاتَّخَذَنِي اللَّهُ نَبِيًّا، وَعَلِيًّا وَصِيًّا^(١).

(١) سورة البقرة / ١٢٤.

(٢) رَوَاهُ الْحَاكِمُ الْحَسَكَانِيُّ فِي شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ ج ١ ص ٣١٥. كَمَا رَوَاهُ الطُّوسِيُّ فِي أَمَالِيهِ ص ٣٨٨، وَالْمَغَازِلِيُّ فِي مَنَاقِبِهِ.

أقول:

لقد ولد علي عليه السلام في داخل الكعبة فكانها كان ميلاده ثمة إيدانا بعهد جديد للكعبة وللعبادة فيها. وكاد علي عليه السلام أن يولد مسلماً بل لقد ولد مسلماً إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح لأنه فتح عينيه على الإسلام ولم يعرف قط عبادة الأصنام^(١).

فهو قد تربى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية وعرف العبادة من صلاة النبي قبل أن يعرفها من صلاة أبيه وأمه وجمعت بينه وبين صاحب الدعوة قرابة مضاعفة ومحبة أو ثقت من محبة القرآن فكان ابن عم النبي ﷺ وربيبه الذي نشأ في بيته ونعم بعطفه وحنانه .

وكان النبي ﷺ يتعبد في بيته وفي غار حراء عبادة الإسلام قبل الدعوة بفترة غير قصيرة وليس ما يمنع علياً أن يألف تلك العبادة في طفولته الباكرة ولولا ألفه علي لابن عمه وكافله لما قربته القرابة وحدها من الدين الذي دعى إليه فقد أصّر كثير من أقرباء النبي على الشرك زمناً طويلاً.

وملا الدين الجديد قلباً لم ينازعه فيه منازع من عقيدة سابقة ولم يخالطه شوب يكدر صفاءه فكان علي عليه السلام المسلم الخالص على مسجتيه المثلى وإن الدين الجديد لم يعرف قط أصدق إسلاماً منه ولا أعمق نفاذاً منه.

فطوال السنوات الأولى لنزول الوحي كان علي عليه السلام هناك يشهد نزوله ويسبق غيره في تلقيه من رسول رب العالمين ويلقي سمعه وقلبه لأسراره وأنواره. ولطالما شهدت شعاب مكة وهو ثاني اثنين - الرسول ﷺ وعلي عليه السلام - يصليان معاً بعيداً عن أعين القرشيين وأذاهم. وهو في كل هذا يتلقى من فم الرسول كلمات القرآن وآياته. وشخصيته بكل خصائصها تتلقى هذه الآيات في غبطة مطلقة والتي امن بها، فهو ربيب الوحي والتلميذ الأول للقرآن وأنه سابق المسلمين ولم تفتح عينه الأعلى أصداء الرسالة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾

(الحجر ٤٧)

١- روى الطبراني في كتاب الأوسط عن أبي هريرة، أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: يا رسول الله أيها أحب إليك أنا أم فاطمة، قال: فاطمة أحب إلي منك، وأنت أعز عليّ منها، وكأنني بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس. وإن عليّ لأباريق مثل عدد نجوم السماء، وإني وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل في الجنة أخوانا على سرر متقابلين أنت معي وشيعتك في الجنة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ لا ينظر احد في قفا صاحبه^(١).

٢- عن سفيان الثوري عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ قال: نزلت في، وحزرة وجعفر وعقيل وأبي ذر وسلمان وعمار والمقداد والحسن والحسين عليهم السلام^(٢).

٣- اخبرنا أبو سعد، اخبرنا أبو بكر، اخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي، حدثني سفيان، عن أبي موسى، عن الحسن، عن، قال: فينا والله نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ الآية^(٣).

٤- عن سهل بن زياد، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه أبو بصير وذكر حديثاً قال له عليه السلام: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: أخوانا على سرر متقابلين والله ما أراد بهذا غيركم^(٤).

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٣. كما ذكره تفسير البرهان عن الحافظ أبي نعيم عن رجاله عن أبي هريرة. كشف الغمة ج ١ ص ٣٣٢.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٧.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢١. ينابيع المودة ص ١٣٨.

٥- عن زيد بن أرقم. أن النبي صلى الله عليه (واله) وسلم قال لعلي: أنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي. ثم تلا ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مَّتَّاعِينَ﴾^(١).

أقول:

لما آخى النبي (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار أبقي علياً (عليه السلام) لنفسه، قال رسول الله (ﷺ) لعلي (عليه السلام) يوم المواخاة: أنت أخي في الدنيا والآخرة^(٢) وإنما أراد بذلك (ﷺ) غاية المدح له، ونهاية المبالغة في علوا المنزلة لأنه (ﷺ) لما آخى بين المرء ونظيره ولم يجد لعلي (عليه السلام) نظيراً غيره، فهو نظيره من وجوه:

١- نظيره في الأصل: بدليل شاهد النسب الصريح بينهما بلا ارتياب.

٢- نظيره في العصمة: بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

٣- نظيره في انه ولي الأمة بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ واختصاص هذه الآية بأمر المؤمنين (عليهم السلام)، وبدليل قوله (ﷺ): من كنت مولاه فعلي مولاه.

٤- نظيره في الأداء والتبليغ: بدليل الوحي الوارد عليه يوم إعطاء سورة براءة لغيره فنزل جبرائيل (عليه السلام) وقال: لا يؤديها إلا أنت أو من هو منك.

فلذلك صح من النبي (ﷺ) أن يجعله أخاه في الدنيا والآخرة، وقوله (ﷺ) لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي من بعدي فإنه أوضح دليل على إمامته كما انه (عليه السلام) ورث ميراث الأنبياء خلفائهم وأوصيائهم من الكتاب والسنة بدليل قول علي (عليه السلام) لرسول

(١) غاية المرام ص ٣٩٩ الباب ١٢٠ الحديث الأول.

(٢) ذخائر العقبى ص ٩٩. ينابيع المودة ص ٦٣.

(٣) كشف الغمة ج ١ ص ٣٣٦.

الله (ﷺ) عند ما قال (ﷺ): وأنت أخي ووراثي" وما أُرث منك يا رسول الله قال: ما وُرث الأنبياء من قبلي، قال: وما وُرث الأنبياء من قبلك قال: كتاب الله وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا رسول الله (ﷺ) (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض".

(١) دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر ج ٢ ص ١٤٣ نقلاً عن مسند أحمد .

(٢) كشف الغمة ج ١ ص ٣٣٥ .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

(الحجر ٧٥)

١- أخبرنا علي بن محمد بن عمر، أخبرنا محمد بن القاسم، أخبرنا جعفر بن عبد الله المحمدي، أخبرنا حسن بن حسين عن عبد الله بن بنان قال: سألت جعفر بن محمد عن قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: رسول الله أولهم، ثم أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم الله أعلم. قلت: يا بن رسول الله فما بالك أنت؟ قال: أن الرجل، ربما كنى عن نفسه^(١).

٢- عن أحمد بن يحيى، عن محمد بن عمر، عن عبد الكريم، عن إبراهيم بن أيوب، عن جابر، عن أبي جعفر قال: بينا أمير المؤمنين في مسجد الكوفة إذ أتته امرأة تستعدي على زوجها، فقضى لزوجها عليه، فغضبت فقالت: والله ما الحق فيما قضيت، ولا تقضي بالسوية، ولا تعدل في الرعية، ولا قضيتك عن الله بالمرضية، فنظر إليها ملياً ثم قال: كذبت يا بذية يا بذية، يا سلقلة - أو يا سلقى - فولت هاربة، فلحقها عمرو بن حريث فقال: لقد استقبلت علياً بكلام ثم انه نزعك بكلمة فوليت هاربة؟ قالت: أن علياً والله أخبرني بالحق وشيء اكتمه من زوجي منذ ولي عصمتي فرجع عمرو إلى أمير المؤمنين فأخبره بما قالت وقال: يا أمير المؤمنين ما نعرفك بالكهانة فقال: ويحك إنها ليست بكهانة مني ولكن الله أنزل قرآنًا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ فكان رسول الله هو المتوسم وأنا من بعده والأئمة من ذريتي بعدي هم المتوسمون، فلما تأملتها عرفت ما هي بسميها^(٢).

٣- أبو النضر العياشي قال: حدثنا أبو العباس بن المغيرة، حدثنا الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن حماد عن حزم وربيع، عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٢.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٢. قال: وهذا هو الحديث (٢٧٨) من تفسير فرائد ص ٨١.

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٤٤﴾ قال: هم الأئمة، قال رسول الله صلى الله عليه واله: اتقوا فِرَاسَةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله^(١).

٤- وفي اختصاص المفيد بإسناده عن أبي بكر بن محمد الحضري، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من مخلوق إلا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر وذلك محجوب عنكم وليس بمحجوب عن الأئمة من آل محمد، ثم لم يدخل عليهم أحد إلا عرفوه مؤمناً أو كافراً ثم تلا هذه الآية: ﴿لِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ فهم المتوسمون^(٢).

أقول:

المتوسمون: المتفرسون الذين يعرفون الناس بالتوسم، والفِرَاسَةُ سواطع أنوار لمعت في القلوب حتى شهدت الأشياء من حيث أشهدتها الحق إياها وكل من كان أقوى إيماناً كان أشد فِرَاسَةً.

وكان يقال إذا صحت الفِرَاسَةُ ارتقى منها صاحبها إلى المشاهدة. وسئل النبي (ﷺ) عن قوله تعالى: ﴿فَمَن يَرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيهِ يَشِرْ حُدُودَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ قال: يقذف في قلبه نوراً فينشرح ويتوسع والتفرس من خواص أهل الأيمان سطعت في قلبه أنوار فأدرك بها المعاني . وقد صح عن النبي (ﷺ) أنه قال: اتقوا فِرَاسَةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وقال أن الله عبداً يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية، وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: نحن المتوسمون^(٣).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ج ١٢ ص ١٨٧.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٣٤٣.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

(الحجر ٩٢)

١ - عن محمد بن عبيد الله، قال: حدثنا أبو الحسين بن ماهان الحوري بخور، حدثنا أبو بكر بن الحسين بن مكرم البراز حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، عن وكيع عن سفيان عن السدي في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال: عن ولاية علي، ثم قال ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١) فيها أمرهم به وما نهاهم عنه، وعن أعمالهم في الدنيا، ثم قال: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾^(٢) قال السدي: قال أبو صالح: قال ابن عباس: أمره الله أن يظهر القرآن، وأن يظهر فضائل أهل بيته كما اظهر القرآن^(٣).

أقول:

قال النبي ﷺ: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن محبتنا أهل البيت^(٤).
أن المسلمين مسئولون أمام الله عن مودة أهل البيت وعن حبهم، لأن حب أهل البيت علامة الإيمان، وأن بغضهم علامة النفاق، وأن من أحبهم أحب الله ورسوله ومن ابغضهم ابغض الله ورسوله، ويجب على كل مسلم أن يدين بحبهم ومودتهم بل حبهم فرض من ضروريات الدين الإسلامي التي لا تقبل الجدل والشك وقد اتفق عليه جميع المسلمين.

(١) سورة الحجر / ٩٣.

(٢) سورة الحجر / ٩٤.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٥.

(٤) ذكره الإمام شرف الدين في المراجعات نقلاً عن النسيوطي في إحياء الميت.

أن مودة أهل البيت من أهم الواجبات الإسلامية ومن أقدس الفروض الدينية لان فيها أداء لأجر الرسالة وصلة للرسول ﷺ وشكر آله على ما لاقاه من عظيم العناء في سبيل إنقاذ المسلمين من الشرك وعباده الأوثان فحقه على الأمة أن توالي عترته وتكن لها المودة والاحترام ومن أظهر ألوان الحب الأخذ بأقوالهم والإقتداء بهم في جميع مجالات حياتهم.

﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

(النحل ١٦)

١- اخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد اخبرنا محمد بن أحمد بن محمد المفيد، اخبرنا عبد العزيز بن يحيى بن أحمد، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفضيل، قال: حدثني جعفر بن الحسين، قال: حدثني محمد بن يزيد، عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عن قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: النجم علي".

٢- عن يوسف بن نفيس قال: حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنصرة، عن أبيه، عن جده عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: النجوم امان لأهل السماء إذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي امان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض".

٣- عن حسين بن سعيد، عن هشام بن يونس، عن حيان بن سرير، عن سالم، عن ابان بن تغلب قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي قول الله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: النجم محمد، والعلامات: الأوصياء عليهم السلام".

٤- قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن العلامات، والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: أن الله جعل النجوم اماناً لأهل السماء وجعل أهل بيتي اماناً لأهل الأرض".

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٧. ذخائر العقبى ص ١٧. تذكرة الخواص ص ١٨٢.

(٢) رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٨، قال: وقال في الحديث (٢٦٧) من باب فضائل علي عليه السلام من كتاب الفضائل - تأليف أحمد بن حنبل.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٧.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٣٥٤.

أقول :

أهل البيت عليهم السلام هم هداية البشر وأمانها من الاختلاف وهم سفن النجاة إلى شاطئ الأمان كما أن النجوم تمتدى بها فاك محمد (ﷺ) هداية أهل الأرض إلى الحق والصواب. عن جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن الحسين (عليه السلام) قال: نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين وموالي المسلمين ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذن الله، وبنا ينزل الغيث وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض، ولولا ما على الأرض منا لانساخت بأهلها".

فهم أولوا الامر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم وإنهم الشهداء على الناس وإنهم أبواب الله، والسبل إليه، والإدلاء عليه، وأنهم عية علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده وخزان معرفته، ولذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء (على حد تعبير الرسول ﷺ) وذلك لان أمرهم أمر الله تعالى، وطاعتهم طاعته، ونهيهم نهيهم ومعصيتهم معصيته ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله تعالى .

إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإنهم المرجع الأصلي بعد النبي (ﷺ) لأحكام الله المنزل. وقوله (ﷺ): ((إلا واني قد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) خير دليل على أنهم الهداة والصراط المستقيم وهم نجوم الأرض التي يقتدى بهم.

﴿وَأَنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(النحل ١٨)

١- عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن الجراح المروزي اخبرنا أبو رخاء محمد بن حموية السنجي اخبرنا الحسن بن هارون الهمداني، اخبرنا عبد الله بن واقد الحراني عن عثمان بن سعيد عن مجاهد عن ابن عباس قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في دار الندوة إذ قال لعلي: اخبرني بأول نعم أنعمها الله عليك، قال: أن خلقني ذكراً ولم يخلقني أنثى. قال: فالثانية، قال: الإسلام. قال: فالثالثة، قال: فتلا علي هذه الآية: ﴿وَلِكُلِّ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾ فضرب النبي صلى الله عليه واله وسلم بين كفيه وقال: لا يفيضك إلا منافق^(١).

أقول:

لقد كانت لعلي (عليه السلام) من الفضائل والنعم ما لا يحصى عددها: قال رسول الله (ﷺ): لو أن الأشجار أقلام والبحر مداد والجن حساب والأنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب. وقال (ﷺ): أن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرأ بها غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر^(٢).

(١) رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٩، وقال: وقريباً منه جداً رواه مرسلاً في المختار الثاني من الباب الخامس من دستور معالم الحكم ص ٧، ورواه أيضاً بسند آخر في الحديث (٤٥) من الجزء (١٧) من أمالي الطوسي بزيادات كثيرة. وروى قريباً منه الخوارزمي بسند آخر في الحديث (٥٣) من الفصل (١٩) من مناقبه ص ٢٣٢.

(٢) يتابع المودة ص ١٤٣.

لقد ولد علي (عليه السلام) جامعاً لكل فضيلة متكاملًا. ولد عالماً ألهم الهاماً. والله يلهم عباده الهاماً. علي الذي اخذ من القرآن ورجع إليه، الإنسان الذي تحدث عن القرآن أكثر من غيره، والذي تحدث عنه الرسول وأكثر الحديث وما فتى الرسول يقول ويمدح ويذكر فضائله، وفي كل مناسبة كان يتحدث عن ذات علي عليه السلام، وما في هذه الذات من فضائل مكتسبه. ولهذا نرى أن علماء الحديث اعتبروا الحديث النبوي دليلاً ونصاً على منزلة علي عليه السلام وبرهانا على إمامته.

فهو نموذج للمسلم الذي اخذ من مدرسة القرآن وورث محمداً. فالإنسان الذي صاغته مدرسة القرآن ورعاية محمد ما أعظم هذه المدرسة وما أعظم هذا الفرد. (وما ذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله وقلبه ولسانه وذو فقاره)^(١).

(١) علي وحقوق الإنسان - جورج جرداق - ص ٤٩ .

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾

(النحل ٤١)

١- أخبرنا عقيل، أخبرنا علي، أخبرنا محمد، أخبرنا محمد بن حماد الاثرم بالبصرة، أخبرنا أبو بكر احمد بن منصور بن سيار الزيادي، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، وسعيد، عن قتادة عن عطاء عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ قال: هم جعفر وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن عقيل ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحقوا بحبشة^(١).

أقول:

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام من السابقين إلى الهجرة بدليل قوله (عليه السلام): ((وسبقت إلى الهجرة)) ولا شبهة انه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة ولم يهاجر قبله احد إلا نفر يسير جداً. وقد علل أفضليته في هذا السبق بأمور منها: ولادته على الفطرة^(٢)، ومنها سبقه إلى الإيمان، ومنها سبقه إلى الهجرة وهذه الأمور الثلاثة لم تجتمع لأحد غيره فكان بمجموعها متميزاً عن كل احد من الناس.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٣٣.

(٢) أراد بالفطرة المعصية، وانه منذ ولد لم يواقع فيحاً ولا كان كافراً طرفاً عين، ولا غطناً في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين. وهذا تفسير الأمامية. شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٢٥.

وقد روي انه عليه السلام سبق الناس إلى الهجرة التي قبل هجرة المدينة فأن النبي (ﷺ) هاجر عن مكة مراراً يطوف على أحياء العرب ويستقل من ارض قوم إلى غيره وكان علي (رضي الله عنه) معه دون غيره^(١).

فقد هاجر النبي (ﷺ) إلى بني شيان وإلى ربيعة ثم هاجر إلى الطائف وإلى بني عامر بن صعصعه وإخوانهم من قيس عيلان، فكان علي (رضي الله عنه) مع النبي (ﷺ).

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ١٢٥ .

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(النحل ٤٣)

١- عن ابن وكيع، قال: حدثنا ابن إيمان، عن إسرائيل عن جابر عن أبي جعفر في قوله تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: نحن أهل الذكر.

٢- عن الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال: قال جابر: لما نزلت هذه الآية

قال علي عليه السلام: نحن أهل الذكر.

٣- عن عبد الحميد بن أبي ديلم، عن جعفر الصادق (عليه السلام) قال: للذكر معنيان، القرآن ومحمد

(ﷺ) ونحن أهل الذكر بكلا معنيه، أما معناه في القرآن فقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾. وإن معناه

محمد (ﷺ) فالآية في سورة الطلاق: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ إلى آخرها.

٤- عن وكيع عن سفيان، عن السدي، عن الحرث، قال: سألت علياً عن هذه الآية: ﴿فَاسْأَلُوا

أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال: والله أنا لنحن أهل الذكر نحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل

والتنزيل، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول: أنا مدينة العلم وعلي

بأبائها، فمن أراد العلم فليأت من بابي.

(١) تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٠٨.

(٢) ينابيع المودة ص ١٤٠. غاية المرام ص ٢٤٠ الباب ٣٤، الحديث الأول.

(٣) سورة الزخرف / ٤٤. (٥) ينابيع المودة ص ١٤٠.

(٤) سورة الطلاق / ١٠. (٦) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٣٤.

٥- أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي أخبرنا أبو بكر الجرجاني أخبرنا أبو أحمد البصري أخبرنا أحمد بن عمار، أخبرنا عبد الرحمن بن صالح، عن موسى بن عثمان الحضرمي، عن جابر، عن محمد بن علي قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال علي عليه السلام: نحن أهل الذكر الذي عنانا الله جل وعلا في كتابه^١.

٦- أخبرنا أبو العباس الفرغاني، أخبرنا أبو المفضل الشيباني، أخبرنا أبو زيد محمد بن أحمد بن سلام الأسدي بالمرافة أخبرنا السري بن خزيمة الرازي أخبرنا منصور بن أبي مويرة عن محمد بن مروان عن السدي عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قال: هم الأئمة من عترة رسول الله، وتلا ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا﴾^٢.

٧- عن وكيع، عن الثوري، عن السدي قال: كنت عند عمر بن الخطاب إذا قبل عليه كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحي بن اخطب فقالوا: أن في كتابك ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾، إذا كانت سعة جنة واحدة كسيع سموات وسبع أرضين فالجنان كلها يوم القيامة أين تكون فقال عمر: لا أعلم. فبينما هم في ذلك إذ دخل علي عليه السلام فقال: أي شيء كنتم؟ فالتقى اليهودي المسألة عليه فقال لهم: خبروني أن النهار إذا قبل الليل أين يكون قالوا له: في علم الله تعالى فقال علي عليه السلام: كذلك الجنان تكون في علم الله، فجاء علي عليه السلام إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فنزل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٣.

٨- عن جابر ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: نحن أهل الذكر وقد سمي الله رسوله ذكراً في قوله ذكراً رسولاً^٤.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٣٦. (٣) غاية المرام ص ٢٤٠.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٣٧. (٤) مجمع البيان ج ٦ ص ٣٦٢. غاية المرام ص ٢٤٢ الباب ٣٥ الحديث ٢١.

أقول :

الذكر هو حفظ معنى الشيء أو استحضاره قال الراغب في المفردات: الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ، إلا أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء في القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان.

وان الأصل فيه ما هو للقلب وإنما يسمى اللفظ ذكراً اعتباراً بإفادته المعنى وإلقائه إياه في الذهن. وقد سمي القرآن الكريم وحي النبوة والكتب المنزلة على الأنبياء ذكراً - وهي الكتب السماوية المذكورة في القرآن - وأهل الكتب السماوية القائمون على دراستها وتعلمها والعمل بشرائعها هم أهل الخبرة بها والعالمون بإخبار الأنبياء، فعلى من أراد الإطلاع على شيء من أمرهم أن يراجعهم ويسألهم .

وعلى هذا فمقتضى الآية إرشاد إلى أصل عام عقلائي وهو وجوب رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة ولما كان أهل بيت النبي (ﷺ) أدري بالذي فيه فهم أهله وخاصته وهم المسئولون، وقد قارنهم (ﷺ) بالقرآن وأمر الناس بالتمسك بهما في حديث الثقلين المتواتر قائلاً (إنهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض) فهم المخصوصون بالذكر، وأنهم من أهل بيت طهرهم الله، من شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم.

قال في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦: أخرج الديلمي عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أعلم أمتي من بعدي .،

وقال في الكثر أيضاً: كان، يقول: أني واطائب أرومتي وإبرار عترتي أحلم الناس صغاراً واعلم الناس كباراً بنا ينفي الله الكذب وبنا يغفر الله أنياب الذئب الكلب، وبنا يفك الله عنوتكم وينزع ريق أعناقكم وبنا يفتح الله ويختم .

وهذا هو المأثور عن سائر أئمة الهدى بأن أهل الذكر هم علي وأهل بيته وقد أخرج العلامة البحريني في غاية المرام في الباب (٣٥) نيفاً وعشرين حديثاً صحيحاً في هذا لمضمون فراجع.

﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا﴾

(الإسراء ٢٦)

١- اخرج البزار، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم فاطمة سلام الله عليها فأعطاهما فذكاً^(١).

٢- عن أبي سعيد قال: لما نزلت ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال النبي صلى الله عليه (واله) وسلم: يا فاطمة لك فذك^(٢).

٣- عن فضل بن مرزوق عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزل قوله ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أعطى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاطمة فذكاً. قال عبد الرحمن بن صالح: كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فذك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث، رواه الفضيل بن مرزوق عن عطية فرد المأمون فذكاً إلى ولد فاطمة^(٣).

٤- عن السدي قال: أن علي بن الحسين (عليه السلام) قال لرجل من أهل الشام حين بعث به عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية أقرأت القرآن قال: نعم. قال: أما قرأت ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال: وإنكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه قال: نعم، وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين (عليهم السلام)^(٤).

(١) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٤٩ . ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٢٨ . تنبيه المودة ص ١٤٠ باب النقول ص ١٣٦
عن طريق الطبراني . كما رواه السيوطي في الدر المنثور .

(٢) منتخب كنز العمال بهامش مستند احمد ج ١ ص ٢٢٨ .

(٣) مجمع البيان ج ٦ ص ٤١١ .

(٤) مجمع البيان ج ٦ ص ٤١ . البرهان ج ٢ ص ٤١٥ . كما رواه قريباً منه تفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٢ .

٥- عن ابن بابويه قال: حدثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد بن مسرور عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن الريان بن الصلت، عن الرضا عليه السلام قال: قول الله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْسَىٰ حَقَّةٌ﴾ وهذه خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الأمة فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه واله قال: ادعوا لي فاطمة فدعيت له فقال: يا فاطمة قالت: ليبيك يا رسول الله فقال (ﷺ): هذه فذك وهي مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين فقد جعلتها لك لما أمرني الله تعالى به فخذها لك ولولدك^(١).

٦- عن العياشي بإسناده عن جميل بن دواج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتت فاطمة أبا بكر تريد فذكاً فقال: هاتي أسود وأحمر يشهد بذلك قال: فأنت بأمر أيمن، فقال: بما تشهدين؟ قالت: أشهد أن جبرائيل أتى محمداً قال: فأن الله يقول: ﴿فَاتِذَا الْقُرْسَىٰ حَقَّةٌ﴾ فلم يدر محمد من هم فقال: جبرائيل سل ربك من هم فقال: فاطمة ذو القربى، فأعطاها فذكاً. فزعموا أن عمر محا الصحيفة وقد كان كتبها أبو بكر^(٢).

أقول:

جاء في الدر المنثور للسيوطي عن البزاز وأبي يعلى وابن حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنه قال: لما نزلت الآية ﴿وَأَتِذَا الْقُرْسَىٰ حَقَّةٌ﴾ دعا رسول الله (ﷺ) فاطمة الزهراء وأعطاها فذكاً كما روى ذلك جماعة عن ابن عباس. وكما جاء في شرح النهج عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ﷺ) بعد أن استولى على فذك وهبها لفاطمة وظلت في يدها إلى أن توفى. لقد أعطى رسول الله (ﷺ) ابنته فاطمة فذك وهي مقاطعة يهودية وتقع إلى جوار خيبر التي كانت من أكبر القرى اليهودية وامتنعاً حصوناً وبعد أن تغلب المسلمون على خيبر بعد

(١) غاية المرام ص ٣٢٣ الباب ١٨ . تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٢٧٥ .

(٢) غاية المرام ص ٣٢٤ الباب ١٨ . ورواه باختصار ينابيع المودة ص ٤٩ .

تلك المعارك الضارية بينهم وبين يهودها واستولى عليها المسلمون تركهم النبي (ﷺ) يعملون في الأرض بنصف ناتها والنصف الآخر للفاتحين ولما انتهى النبي منها ضاق الامر بسكان فذك وأيقنوا أن النبي سوف يتجه إليهم فاستولى عليهم الخوف وأرسلوا إليه إنهم على استعداد لان يسلموه الأرض وجميع ما يملكون على أن يتركهم يعملون فيها بنصف الناتج كما صنع مع يهود خيبر فوافق على ذلك فصالحهم على نصف ناتها وبذلك كانت خيبر ملكاً للمسلمين لأنهم استولوا عليها بالحرب وفذك ملكاً للنبي (ﷺ) لأنه لم يوصف عليها بخيل أو ركاب وقد وهبها النبي (ﷺ) لفاطمة الزهراء وتركها في يد النبي يتصرف بناتها كما تريد وتذكر بعض الروايات على أن النبي (ﷺ) كتب لها كتاباً في فذك واشهد عليه .

ولما توفي النبي (ﷺ) انتزعها أبو بكر وضمها إلى أموال الدولة ولما طالبته بها أجاب بأنه سمع رسول الله يقول: نحن معاصر الأنبياء لا نورث فقال (ﷺ): انه وهبها لي بعد أن استولى عليها فطلب منها من يشهد لها بذلك فأحضرت علياً وأم أيمن فشهدا بأن رسول الله (ﷺ) قد وهبها ليأها وتنص أكثر الروايات على انه قد رد شهادة علي (ﷺ) بحجة انه يجر المنفعة لنفسه ورد شهادة أم أيمن لأنه لا بد في مثل ذلك من شهادة رجلين أو رجل وامرأتين. ولكنه خالف حكم الإسلام في ذلك، لأنه هل يجوز على النبي (ﷺ) أن يشرع حكماً يخالف نصوص القرآن التي تنص على ميراث الأبناء للإباء ويخفي هذا التشريع عن جميع المسلمين ويخفيه عن ابنته وعن ابن عمه باب مدينة العلم ومن عنده علم الكتاب وهو يعلم أن ذلك يعرضها للخلاف ويؤدي إلى اختلاف المسلمين .

وعلى أي حال فقد طالبت الزهراء (ﷺ) بإرثها من أبيها والذي كان يعنيها أكثر من أي شيء سواه هو امتداد سلطة أبيها وانتشار رسالته كما يبدو ذلك في جميع مواقفها وكانت فذك والميراث من جملة المظالم التي أرادت أن تسجلها على القوم. لقد أوصى الرسول (ﷺ) بهذه الوصية - والذي أغنى الجزيرة بألف فذك فلماذا لا يحق له أن يوصي؟ وإن يورث؟ ذلك الذي قسم الشرع وظهر الحقوق والواجبات ووضع الحدود والمناسيس لقد كانت كل كلمة من كلماته شرعاً.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾

(الإسراء ٥٧)

١ - أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد، أخبرنا عبد العزيز بن يحيى بن أحمد، قال: حدثني بن عمار الحماني، عن علي بن مسمر، عن علي بن بذيمة، عن عكرمة في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام^(١).

أقول :

الوسيلة القرية، ومعناه أولئك الذين يدعون إلى الله تعالى ويطلبون القرية إليه بفعل الطاعات، ويبتغون الوسيلة إليه بعبادتهم ويجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمة، وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمة إن أطاعوا ويخافون عذابه إن عصوا ويعملون عمل العبيد.

لقد كان الإمام علي (عليه السلام) أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وإذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله والخضوع لهيبته والخشوع لعزته سبحانه وتعالى عرفت إخلاصه وعبوديته، وقيل لعلي بن الحسين عليهما السلام وكان في غاية العبادة أين عبادتك من عبادة جدك قال: عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد كان علي (عليه السلام) يغمى عليه مرات في الليل من خوف الله تعالى.

﴿وَأَسْتَغْزِزْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بَصَوْتُكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ صَخِيلُكَ وَرَجَلُكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾

(الإسراء ٦٤)

١ - أخبرنا أبو علي الخالدي قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مروان الخوري، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر العلوي قال: حدثني يحيى بن سعيد المخزومي قال: أخبرني صيام المدني، قال: أخبرني إسحاق بن إسماعيل بن إسماعيل بن إسماعيل بن أبي كثير، عن أبيه، عن أبي هارون العبيدي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أبصر برجل ساجد رافع متطوع متضرع فقلنا: يا رسول الله ما أحسن صلاته فقال: هذا الذي أخرج أباكم آدم من الجنة، فمضى إليه علي غير مكترث فهزه هذا أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى ثم قال: لا تقتلن إن شاء الله. فقال: لن تقدر على ذلك، أن لي أجل معلوم من عند ربّي، مالك تريد قتلي فو الله ما أبغضك أحد إلا سبقت نطفتي في رحم أمه قبل أن يسبق نطفه أبيه، ولقد شاركت مبغضك في الأموال والأولاد وهو قول الله في محكم كتابه ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ فقال النبي: صدقك والله يا علي لا يبغضك من قريش إلا سفاحيا ولا من الأنصار إلا يهوديا. ولا من العرب إلا دعيا، ولا من سائر الناس إلا شقيا ولا من النساء إلا سلقلية وهي التي تحيض من دبرها. ثم اطرق مليا فقال: معاشر الأنصار اغدوا أولادكم على محبة علي. قال جابر: كنا نبور أولادنا في وقعة الحرة بحب علي فمن أحبه علمنا أنه من أولادنا، ومن أبغضه اشفينا منه^١.

٢- عن أبي الجحاف تليد بن سليمان، عن مسلم الملائني، عن حبة العربي قال: سمعت (عليه السلام) يقول: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وقت كنت لا ادخل عليه فيه، فوجدت رجلا جالسا عنده مشوه الخلقة لم اعرفه قبل ذلك، فلما راني خرج الرجل مبادرا قلت: يا رسول الله من ذا الذي لم أراه قبل ذي؟ قال: هذا إبليس الأبالسة سألت ربي أن يرنيه، وما رآه أحد قط في هذه الخلقة غيري وغيرك، قال: فعدوت في إثره فرأيت عند أحجار الزيت فأخذت بمجامعه وضربت به البلاط وقعدت على صدره، فقال: ما تشاء يا علي؟ قلت: أقتلك. قال: انك لن تسلط عليّ قلت: لم؟ قال: لان ربك انظرني إلى يوم الدين، خلّ عني يا علي فان لك عندي وسيلة لك ولأولادك، قلت: ما هي؟ قال: لا يبغضك ولا يبغض ولدك أحد إلا شاركتك في رحم أمه، أليس الله قال ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾^(١).

٣- اخبرني أبو سعيد بن علي، اخبرنا أبو الحسين الكهيلي، اخبرنا أبو جعفر الحضرمي اخبرنا علي بن حسان، قال: حدثني عبد الرحمن بن كثير، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سمعته وهو يقول: إذا دخل أحدكم على زوجته في ليلة بناه بها فليقل: اللهم بأمانتك أخذتها، وبكلمتك استحللت فرجها، اللهم فان جعلت في رحمها شيء فاجعله بارا تقيا مؤمنا سويا ولا تجعل فيه شركا للشيطان. فقلت له: جعلت فداك وهل يكون فيه شرك للشيطان قال: نعم يا عبد الرحمن أما سمعت الله تعالى يقول لإبليس: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ الآية، قلت: جعلت فداك بأي شيء تعرف ذلك قال: بحبنا وبغضنا^(٢).

٤- عن منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال (عليه السلام) رأيت النبي صلى الله عليه وآله عند الصفا وهو مقبل على شخص في صورة الفيل وهو

(٢) هذه خففة عن قولهم (بأي شيء).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٤٥.

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٤٦.

يلعنه فقلت: ومن هذا يا رسول الله قال: هذا الشيطان الرجيم، فقلت: والله يا عدو الله لأفعلنك ولأريحن الأمة منك، قال: ما هذا والله جزائي منك، قلت: وما جزاؤك مني يا عدو الله قال: والله ما أبغضك أحد قط إلا شاركت أباه في رحم أمه".

أقول:

دلت الأحاديث الواردة عن النبي (ﷺ) على أن عبة أهل البيت عليهم السلام أمان من الغرق ومنجاة من الهلكة وحذر (ﷺ) من بغضهم وعداوتهم وأنه لا يبغضهم أحد إلا أدخله الله النار، وأنه لا يبغضه إلا منافق. قال رسول الله (ﷺ): والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار". وعن جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: من ابغضنا أهل البيت حشره الله تعالى يوم القيامة يهودياً وإن شهد أن لا إله إلا الله". وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): لو أن رجلاً صف بين الركن والمقام فصل وصام ثم لقي الله مبغضاً لأهل بيت محمد دخل النار".

وعليه فإن عبة أهل البيت عليهم السلام وولايتهم بأنها من أعمق درجات الإيمان، ولقربها من الله تعالى، إذ تضافرت بذلك الأخبار من أنه (ﷺ) قال: حب علي إيمان وبغضه كفر عن ابن عباس (رض) قال: قال رسول الله (ﷺ): حب علي يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب".

وذكر الخوارزمي بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا علي مثلك في أمتي مثل عيسى بن مريم (عليه السلام) افرقت قومه ثلاث فرقة فرقة مؤمنون وهم الخواريون،

(١) كفاية الطالب ص ٧٠. تاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٩٠. الغدير ج ٤ ص ٣٢٤.

(٢) جواهر العقدين ق ٢ ج ١ ص ٢٤٩.

(٣) نفس المصدر. (٤) ذخائر العقبى ص ٢٨.

(٥) ذخائر العقبى ص ١٠١. جواهر العقدين ق ٢ ج ١ ص ٢٤٠.

وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلو فيه فخرجوا عن دين النصارى، وان أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق، فرقة اتبعوك وأحبوك وهم المؤمنون، وفرقة غلوا فيك وهم الضالون وفرقة عادوك وهم الناكثون والمارقون والقاسطون، يا علي أنت وأتباعك في الجنة، وعدوك والغالي فيك في النار^(١).

والأخبار المستفيضة بذلك بلغت حد الحصر، وقد زخرت بها كتب الفريقين من سنة وشيعة من أن محبة علي وأهل بيته سمة الإيمان بالله، ومبب الفوز في جناته ورضوانه.

﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ
يَتْرَكُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلُمُونَ قَبِيلًا﴾

(الإسراء ٧١)

١- عن شعبة، عن قتادة، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال: إذا كان يوم القيامة دعا الله عز وجل أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام النقى، أمير المؤمنين والحسن والحسين ثم يقال لهم جوزوا على الصراط انتم وشيعتكم وادخلوا الجنة بغير حساب، ثم يدعوا أئمة الفسق وإن والله يزيد منهم فيقال له خذ بيد شيعتك وامضوا إلى النار بغير حساب".

٢- عن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن ربيعي بن عبد الله عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال: يحيى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في قومه، والحسين في قومه، وكل من مات في ظهراي قوم جاء وأصحابه".

٣- عن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن عبد الله بن غالب عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال المسلمون: يا رسول الله الست إمام الناس كلهم أجمعين قال: فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون ويظلمهم أئمة

(١) غاية المرام ص ٤٧٢ الباب ٦٤ .

(٢) غاية المرام ص ٤٧٢ الباب ٦٥ .

الكفر والضلال وأشباعهم فمن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو مني ومعى وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معى وأنا منه بريء^(١).

٤- ما رواه الخصاص والعام عن الرضا علي بن موسى عليه السلام بالأسانيد الصحيحة انه روي عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال: فيه يدعى كل أناس بأمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم. وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إلا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلى من يتولونه ودعانا إلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وفزعتم إلينا فإلى اين ترون يذهب بكم إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثاً^(٢).

أقول:

الإمامة ضرورة من ضروريات الحياة لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال، فيها يقام ما اعوج من نظام الدنيا والدين، وبها تتحقق العدالة الكبرى التي يشهدها الله في أرضه، ويتحقق الأمن العام والسلام بين الناس ويدفع عنهم الهرج والمرج ويمنع القوي من أن يتحكم في الضعيف.

ومن أهم الأمور الداعية إلى وجود الإمام إيصال الناس إلى عبادة الله ونشر أحكامه وتعاليمه، وتغذية المجتمع بروح الإيثار والتقوى ليعتد الإنسان بذلك عن الشر ويتجه إلى الخير. ولهذا يجب على الأمة كافة الانقياد إليه والامثال لأوامره ليقسم أودها، ويلم شعنها ويهديها إلى سواء السبيل.

وهذه الأوصاف لم تتوفر إلا في أئمة أهل البيت عليهم السلام لأنهم حضنة الإسلام وحماة، والإدلاء على مرضاة الله وطاعته.

(٢) مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣٠.

(١) غاية المرام ص ٤٧٣ الباب ٦٥.

أن أئمة أهل البيت سلام الله عليهم قد دللوا بسيرتهم وهدىهم على عصمتهم من الخطأ والزيغ وقد برهنت الحوادث والوقائع على ذلك، ودلت على إنهم نسخة لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية وذلك لما لهم من عظيم الفضل والتقوى .



﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾

(الإسراء ٨٠)

١ - أخبرنا عقيل بن الحسين أخبرنا علي بن الحسين أخبرنا محمد بن عبيد الله أخبرنا أبو مروان عبد الملك بن مروان قاضي مدينة الرسول أخبرنا عبد الله بن منيع أخبرنا علي بن الجعد عن شعبة عن عمرو بن دينار عن أبيه وعطاء عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾ قال ابن عباس: والله لقد استجاب الله لتبينا دعاءه فأعطاه، سلطاناً ينصره على أعدائه.

أقول:

لقد كان علي (عليه السلام) أخاً ونصيراً للرسول (ﷺ) الذي ولد في أحضان النبوة فهو ربيب مدرسة الرسالة. لقد اختار محمد علياً واصطفاه وكان اختياره إلهياً، وقد لازمه أكثر من غيره فقربه إليه النبي (ﷺ) لا لأنه ابن عمه وصهره وإنما كان ذلك من قبل الدعوة والإعلان بها. فكان علي (عليه السلام) الملازم، وكان المحامي والمدافع والمهاجر وكان يكلفه النبي بالأمور الشاقة فلا يسأم ولا يتراجع وكان لواء علي مع النبي في كل قتال وكل زحف وما كان دمه وقلبه ولسانه إلا وقفاً على ابن عمه النبي وعلى إنجاح الرسالة النبوية فما كان أعجب أمره يوم غامر في سبيل عقيدته التي هي عقيدة محمد، وفي سبيل الحق ورعاية الشرف والإخاء هذه المغامرة التي لم يعرف التاريخ أجل منها وأقوى وأروع حين طلب منه النبي أن ينسأ في فراشه وامتلئ علي لأمر محمد والغبطة تملأ نفسه كما هي حاله ابداً أمام كل تضحية يقوم بها في سبيل الرسول. وتستمر صلوات المودة والإخاء بين محمد وعلي ويستمر بينهما تعاطي الخبر على إنجاح الرسالة.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

(الإسراء ٨١)

١- أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة القاضي إملاء حدثنا عبد الله بن روح الفريضي حدثنا شابة بن سوار حدثنا نعيم بن حكيم حدثنا أبو مريم عن، (عليه السلام) قال: انطلق بي رسول الله (ﷺ) حتى أتى الكعبة، فقال: اجلس فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد رسول الله (ﷺ) على منكبى، ثم قال لي: انفض، فلما رأى ضعفي تحته، قال: اجلس فجلست، ونزل فقال: يا علي اصعد على منكبى، فصعدت على منكبه، ثم نهض بي رسول الله (ﷺ) فلما نهض بي خيل لي لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله (ﷺ) فقال: الق صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موطأ أوتاداً من حديد إلى الأرض فقال لي رسول الله صلى الله عليه واله: عالج به رسول الله يقول: ((إيه إيه جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً)) فلم أزل أعالجه حتى استمسكت منه فقال لي: اقذفه فقدفته فكسر ونزوت من فوق الكعبة فانطلقت أنا والنبي صلى الله عليه واله وسلم نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش أو غيرهم. قال علي عليه السلام: فما صعدته حتى الساعة“.

٢- حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الرزاق بالبصرة حدثنا أبو داود السجستاني حدثنا مسدد عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال لي جابر بن عبد الله: دخلنا مع النبي مكة وفي البيت وحوله ثلاث مائة وستون صنماً يعبد من دون الله فأمر بها رسول الله فألقيت كلها لوجهها وكان على البيت صنم طويل يقال له هبل فنظر رسول الله إلى أمير المؤمنين وقال له: يا علي تركب علي أو اركب عليك لألقي هبل عن ظهر الكعبة. قلت يا رسول الله بل تركبني. فلما جلس على ظهري لم استطع حمله لثقل الرسالة، فقلت:

يا رسول الله بل أركبك، فضحك ونزل فطأ طأ في ظهره واستويت عليه فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أمس الساء لمستها بيدي فألقيت هبل عن ظهر الكعبة فأنزل الله تعالى: ﴿وقل جاء الحق﴾ يعني قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ﴿وزهد الباطل﴾ يعني وزهد عبادة الأصنام ﴿أن الباطل كان زهوقاً﴾ يعني ذاهباً ثم دخل البيت فصلى فيه ركعتين^(١).

٣- وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: دخل النبي صلى الله عليه واله وسلم مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنهما ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَمَقَ الْبَاطِلُ لَئِنْ الْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقاً﴾^(٢).

أقول:

لقد كان علي (عليه السلام) مع الحق والحق معه بشهادة الرسول الأعظم ﷺ وهنا يكمن السر في عظمة علي وفضله على غيره، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: الحق مع علي حيث دار^(٣).

لقد نشأ غير علي في حجر الشرك والرجم وعبادة الأصنام، وإن ينغمس في الجاهلية وأوزارها وإن لا ينطق بالشهادة إلا بعد أن عصى عوده وبعد أن شبت الأصنام منه ومن سجوده لها.

وشاء الله لعل أن ينشأ في حجر النبوة والطهر والإيمان وإن يؤمن بمحمد، وينزل الأصنام من أعلى عرشها ويضعها تحت أقدام الرسول الأعظم ﷺ.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٥٠ . غاية المرام ص ٤٣٠ .

(٢) رواه الطبرسي في مجمع البيان ج ٦ ص ٤٣٥ ، وقال أورده البخاري في الصحيح .

(٣) ينابيع المودة ص ١٠٤ .

شاء الله سبحانه أن يؤمن علي بمحمد منذ طفولته ويكفيه فخراً أن يكون الرجل الأول الذي ائتم برسول الله (ﷺ) في جماعة إسلامية محمدية تقيم الصلاة لله يوم لا بيت للإسلام على وجه الأرض إلا بيت محمد، ولا ناطق بلا إله إلا الله، محمد رسول اله إلا محمد وعلي.



﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾

(الإسراء ٨٩)

١- عن العباس بن الفضل عن محمد بن فضيل عن أبي حمزة الشامي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين في قوله: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ قال: بولاية علي يوم أقامه رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم^(١).

٢- عن جعفر بن محمد الفزاري، حدثنا أحمد بن الحسين عن محمد بن حاتم عن أبي حمزة الشامي قال: سألت أبا جعفر عن قول الله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ قال: يعني ولقد ذكرنا علياً في كل القرآن وهو الذكر، (فما يزيدهم إلا نفوراً)^(٢).

أقول:

لقد أعلن الرسول (ﷺ) في خطبة له ودع بها آخر أيامه ((إلا واني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)). وكانت وصية عامة وصرخة مدوية في الأرجاء والأجيال. وهكذا أمر حامل أكبر رسالة سماوية وهكذا أوصى أعظم قائد إنساني ووصيته إنما تعني الحياة بها فيها من معان وتعني كل سعادة ونجاح. لقد أوصى الرسول باتباع أهل بيته لأنهم خريجوا مدرسته ورواد شريعته ومبلغوا رسالاته، فهؤلاء عاشوا الحياة بها كان يريد لهم الإسلام أن يعيشوه وولدوا ولادته، وماتوا وهم على العهد باقون.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٥٢.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٥٢.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾

(الكهف ٧)

١- حدثنا أبو الفرج أحمد بن جعفر النسائي حدثنا محمد بن جرير حدثنا عبد الأعلى بن واصل حدثنا غول بن إبراهيم، حدثنا علي بن حزور عن الأصمغ بن نباته قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم: يا علي أن الله تعالى قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها هي زينة الأبرار عند الله عز وجل الزهد في الدنيا فجعلك لا ترأرأ من الدنيا شيئاً ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعاً ويرضون بك اماماً^(١).

٢- حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الحسين الخزاز، حدثنا الحسين بن إبراهيم الحميري، حدثنا القاسم بن خليفة حدثنا حماد بن سوار عن عيسى بن عبد الرحمن. عن علي بن الحزور عن أبي مريم عن عمار بن موسى قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: يا علي أن الله زينك بزينة لم يزين العباد بأحسن منها، بغض إليك الدنيا وزهدك فيها وحَبَّ إليك الفقراء فرضيت بهم اتباعاً ورضوا بك اماماً^(٢).

٣- أخبرنا محمد بن إبراهيم بن سلمة أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا محمد بن العلاء أخبرنا عمرو بن زريع الطيالسي عن علي بن حزور عن الأصمغ بن نباته، وأبي مريم إنهما سمعا عمار بن ياسر بصفين يقول: سمعت رسول الله يقول لعلي: أن الله زينك بزينة لم

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ١٠٧١ . أسد الغابة ج ٤ ص ٢٣ . المناقب لابن المغازي الحديث ١٠٧ . كفاية الطالب ص ١٩١ . ذخائر العقبى ص ١٠٠ . مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٢ .

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٥٥ . كشف الغمة ج ١ ص ١٦٢ مع اختلاف في بعض العبادات .

يتزين العباد بزينة هي أحب إلى الله منها وهي زينة الأبرار عند الله جعلك لا تنال من الدنيا شيئاً ووهب لك حب المساكين^(١).

أقول:

لقد زهد علي عليه السلام في الدنيا وتكشف وكان صادقاً في زهده وظل يعيش في بيته عيش الكفاف وأنه أبى أن يسكن القصر الذي كان معداً له بالكوفة، لئلا يرفع سكنه عن سكن أولئك الفقراء الكثيرين، ومن كلامه عليه السلام هذا القول الذي انبثق عن أسلوبه في العيش انبثاقاً: ((أفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر؟)). وهكذا، فإن مكاره الدهر تعني عند علي: مساوئ الفقر.

ويصرح علي أنه لا يأنف الطعام الشهوي والملبس الناعم والمسكن الغني ولكن بأنفها وفي الأرض قوم فقراء وفي هذا التصريح دليل على أنه يرغب أول ما يرغب في أن يوفر للناس نصيباً كافياً من العيش فعلي (عليه السلام) قائد هؤلاء الناس يحمل ما يحملون ويعاني ما يعانون حتى إذا زال شبح الفقر عنهم زال عنه أو ليس هو صاحب هذا القول الذي يكشف لك عن الإيمان العميق بضرورة رفع الحاجة وعن الفهم الصحيح لأحوال الناس وطبائع الأشياء أليس هو صاحب هذه الكلمة: ((ما ضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر)).

لقد أدرك علي (عليه السلام) أن الفقر يتحدى كل فضيلة حتى ليفسد آلة للكفر والجهل لذلك راح يحارب الفقر في كل مجال فالمجتمع في نظره جسد واحد لا يجوز أن يجمع المتناقضات ولا يجوز في مجتمعه أن يتخمد عضو ويجوع آخر فإنه شديد الاهتمام بحياة الناس أنه كان يغتدي فجر كل نهار ويطوف في أسواق الكوفة وهو خليفة ويقف على أهل كل سوق وينادي قائلاً: ((يا معشر التجار اتقوا الله واقربوا من المبسعين وتزينوا بالحلم وتناهاوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجاافوا عن الظلم وأنصفوا المظلومين وأوفوا الكيل والميزان ولا

تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعيشوا في الأرض مفسدين)). فخدمة الإنسان وتحطيم الظلم هي نقطة الانطلاق في منهجه وقد نظر إليه النبي مرة وقال له: ((يا علي أن الله قد زينك بأحب زينة لديه: وهب لك حب المستضعفين فجعلك ترضى بهم اتباعاً ويرضون بك إماماً)).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

(الكهف ٤٤)

١- عن عبد الرحمن بن كثير قال: سألت جعفر الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى:

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ قال: ولاية علي أمير المؤمنين سلام الله عليه وكان يقول: ما لله نبأ هو أعظم مني ولا لله آية أكبر مني^(١).

٢- حدثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو محمد الحسين، حدثنا محمد بن يحيى العقيقي،

حدثنا علي بن أحمد بن علي العلوي، عن أبي الحسن بن سليمان، عن محمد بن أيوب المزني،

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله تعالى ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾

قال: تلك ولاية أمير المؤمنين التي لم يبعث نبي قط إلا بها^(٢).

أقول:

الولي إنما هو الأولى بالتصرف. وقد صرح اللغويون بأن كل من ولي أمراً واحداً فهو وليه فيكون المعنى أن الذي يلي أموركم أولى بها منكم، إنما هو الله ورسوله و﴿آلِهِ﴾ لأنه هو الذي اجتمعت به هذه الصفات ونزلت فيه آيات كثيرة، اثبت الله فيها الولاية لنفسه ولنبيه ولوليه. فالمراد بالولاية ولاية أمر الناس في دينهم ودنياهم وهي المرجعية في اخذ معارف الدين وشرائعه وفي إدارة أمور المجتمع. وقد كانت للنبي ﴿ﷺ﴾ كما ينص الكتاب في أمثال قوله تعالى ﴿النبي أولى من أنفسهم﴾ ثم جعلت لعترته أهل بيته بعده، في الكتاب بمثل آية الولاية وبما تواتر عنه ﴿ﷺ﴾ من حديث المنزلة ونظائرها. وإنما تنسب هذه الولاية إلى أهل البيت (عليهم السلام) لأنهم السابقون الأولون من الأمة في فتح هذا الباب.

(١) بنابيع المودة ص ٥٩٤.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٥٦.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

(مريم ٥)

١ - أخبرنا عبد الرحمن بن علي بن محمد بن موسى البزاز، أخبرنا هلال بن محمد بن جعفر بن سعدان ببغداد، أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن علي الخزازي، أخبرنا أبي قال: أخبرنا علي بن موسى الرضا قال: أخبرني أبي قال: أخبرني أبي جعفر بن محمد قال: أخبرنا محمد بن علي قال: أخبرنا أبي علي بن الحسين قال: أخبرني أبي الحسين بن علي قال: أخبرني أبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: ليلة عرج بي إلى السماء حملني جبرائيل على جناحه الأيمن فقبل لي: من استخلفته على أهل الأرض فقلت: خير أهلها لها أهلاً، أخي وحبيبي وصهري يعني ابن عمي. فقبل لي: يا محمد أنجب؟ فقلت: نعم يا رب العالمين. فقال لي: أحبه ومر أمتك بحبه فأنى أنا العلي الأعلى اشتقت له من أسمائي اسماً فسميته علياً، فهبط جبرائيل فقال: أن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: اقرأ. قلت: وما اقرأ قال ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا. وجعلنا لهم لسان صدق﴾^(١).

أقول:

لقد أدرك الرسول (ﷺ) هذه الحقيقة - أي حبه لعلي (عليه السلام) هذا الحب العميق الذي يأخذ مصدره من حبه للرسالة ذاتها، ويستمر هذا الحب بالصدق والصفاء ووحدانية النظر إلى الكون والحياة على أصول أعمق وفروع أكثر في علاقة أكثر مع ابن عمه العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام). ثم أن الرسول (ﷺ) لا يكتفي بأن يحبه وحده، فتراه يحبه به إلى الناس كافة في كل ظرف وفي كل مناسبة ليمهد له سبيل الخلافة في زمن يأتي، شرط أن يدرك الناس قيمة علي بوصفه استمرار للرسول فينتخبوه اختياراً وحبا وثقة، لا لكونه ابن البيت الهاشمي وابن عم

النبي، بل هو نتاج مدرسة القرآن ومدرسة الرسول التي أرشدت إليه ودلت عليه، ولا غرابة أن يكون علي كذلك لأنه حفظ القرآن ووعاه واغترف منه وارتوى وامتلأ منه فعلي مع القرآن والقرآن مع علي .



﴿أَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

(مريم ٦٩)

١- أخبرنا أبو طالب محمد بن أحمد بن عثمان، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الشاذان، إذنا، حدثنا أبو عمر ويوسف بن يعقوب بن يوسف، حدثنا محمد بن الحارث، حدثنا إسحاق بن بشر حدثنا خالد بن يزيد، عن حمزة بن الزيات، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله (صل الله عليه واله) لعلي: يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا، وأجعل لي عندك ودا، وأجعل لي في صدور المؤمنين مودة. فتزلت ﴿أَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

٢- حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا عون بن سلام، حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال: المحبة في صدور المؤمنين نزلت في (رضي الله عنه) .

٣- عن عون بن سلام، عن مندل، عن إسماعيل بن أبي عمر الأزدي، عن ابن الحنفية في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال: لا تلقى مؤمنا إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته .

٤- عن زيد بن علي، عن آبائه، عن (عليه السلام) قال: لقيني رجل فقال: يا أبا الحسن أما والله أني احبك في الله فرجعت إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرته بقول الرجل، فقال رسول الله (ﷺ) يا علي لعلك اصطنعت إليه معروفًا، قال: والله ما اصطنعت إليه معروفًا، فقال رسول

(١) رواه ابن الغازي في المناقب الحديث ٣٧٧. تذكر الخواص ص ١٧. غاية المرام ص ٣٧٣. كما رواه السيوطي في الدر المنثور. وقال: أخرجه ابن مردويه و الديلمي عن البراء.

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥. ورواه الطبراني في المعجم الكبير ج ٣ ص ١٧٢. غاية المرام ص ٣٧٤. كما رواه السيوطي في الدر المنثور.

(٣) سبط النجوم ج ٢ ص ٤٧٣. الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٥. الصواعق المحرقة ص ١٠٢.

(صلى الله عليه واله وسلم): الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تنشق إليك بالمودة.

فتزل قوله تعالى: ﴿أَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًا﴾^(١).

٥- وأخرج السلفي، عن ابن محمد بن الحنفية في قوله عز وجل: ﴿أَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًا﴾ انه لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه وِدٌ لعلّي وأهل بيته. وذكر النقاش في تفسيره إنها نزلت في علي^(٢).

٦- أخبرنا أبو علي الخالدي كتابة من هراة، أخبرنا أبو علي أحمد بن علي بن مهدي بن صدقة الرقي سنة أربعين وثلاث مائة، أخبرنا أبي، أخبرنا علي بن موسى الرضا، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم لعلّي عن أبي طالب: يا علي قل رب اقذف لي المودة في قلوب المؤمنين، رب اجعل لي عندك عهدا، رب اجعل لي عندك ودا. فأنزل الله تعالى ﴿أَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِدًا﴾. فلا تلقى مؤمنا إلا وفي قلبه وِدٌ لأهل البيت^(٣).

٧- عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لعلّي (عليه السلام): قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين وداً فقالها علي (عليه السلام) فتزلت هذه الآية^(٤).

(١) كفاية الطالب ص ٢٤٨. المناقب للخوارزمي ص ١٨٨. الرياض النضرة ص ٢٠٧. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥. الدر المنثور ج ٤ ص ٢٨٧. الغدير ج ٢ ص ٥٦.

(٢) إسعاف الراغبين ص ١٠٩. نور الابصار ص ١١٢. ذخائر العقبى ص ٨٩. ينابيع المودة ص ٣٢٤.

(٣) رواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٥٩. كما ذكر عدة روايات ومسانيد مختلفة تدل على أن الآية نازلة بحق الإمام علي (عليه السلام) فراجع.

(٤) مجمع البيان ج ٦ ص ٥٣٣. غاية المرام ص ٣٧٤.

أقول:

أن الله يحدث في قلوب المؤمنين حبا وودًا للذين آمنوا به تعالى وقاموا بأعمال صالحة، فإن الإيمان والأعمال الصالحة لها آثار طبيعية ذاتية، وهي حدوث مودة طبيعية في قلوب المؤمنين. فقد جاء في الحديث ((من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته)).

فعلي (عليه السلام) الإيمان كله على حد تعبير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

((برز الإيمان كله إلى الشرك كله)).

وقدر روي انه يقاس إيمان الشخص في زمن الرسول الله (ﷺ) بحب علي (عليه

السلام). فكلما كان حب الشخص لعلي (ﷺ) أكثر كان إيمانه أقوى على أن لا يبلغ هذا الحب

مرتبة الغلو والتأليه، فقد قال رسول الله (ﷺ): يا علي هلك فيك اثنان: محب غال، وعدو

قال)).

﴿وأجعل لي وزيراً من أهلي﴾ هارون أخيه ﴿أشدد
به أزمي﴾ وأشركه في أمري

(طه ٢٩-٣٣)

١- أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن طلحة بن غسان بن النعمان الكازروني أجازة أن عمر بن محمد بن يوسف حدثهم قال: حدثنا أبو إسحاق المديني، حدثنا أحمد بن موسى الحرامي، حدثنا الحسين بن ثابت المدني خادماً موسى بن جعفر، حدثني أبي، عن الحكم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أخذ رسول الله (صلى الله عليه واله) بيد علي فصل أربع ركعات، ثم رفع يده إلى السماء فقال: اللهم سألك موسى بن عمران، وأنا محمد أسألك أن تشرح لي صدري وتيسر لي أمري وتحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به أزمي وأشركه في أمري. فقال ابن عباس: فسمعت منادياً ينادي يا أحمد قد أوتيت ما سألت. فقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): يا أبا الحسن ارفع يدك إلى السماء وادع ربك واسأله يعطك، فرفع علي يده إلى السماء وهو يقول: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي عندك وداً. فأنزل الله على نبيه ﴿أَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وِداً﴾ فتلاها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على أصحابه فعجبوا من ذلك عجباً شديداً، فقال النبي (صلى الله عليه واله) مم تعجبون أن القرآن أربعة أرباع فربح فيها أهل البيت خاصة، وربح في أعدائنا، وربح حلال وحرام، وربح فرائض وأحكام، وإن الله أنزل في علي كرائم القرآن.

٢- عن علي بن عابس، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم، قال: سمعت رجلاً من خثعم يقول: سمعت أسماء بنت عميس تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم يقول: اللهم أني أقول كما قال أخي موسى اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً، ونذكرك كثيراً، انك كنت بنا بصيراً^(١).

٣- أخبرنا الحافظ يوسف بن خليل، أخبرنا ابن أبي زيد، أخبرنا محمود بن إسحاق، أخبرنا أبو الحسين بن فاذشاه، أخبرنا الإمام أبو القاسم الطبراني، حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا إبراهيم بن الحسن التغلبي، حدثنا يحيى بن يعلى، عن ناصح بن عبد الله، عن سمالك بن حرب، عن أبي سعيد الخدري، عن سلمان (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله لكل نبي وصي فمن وصيك فسكت عني فلما كان بعد رأيي، قال: يا سلمان فأسرعت إليه فقلت: لبيك، قال: تعلم من وصي موسى قلت: نعم يوشع بن نون قال: ليم؟ قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذ قال: فان وصي وموضع سري وخير من اترك بعدي ينجز عدي ويقضي ديني علي بن أبي طالب^(٢).

٤- رفع رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم طرفه إلى السماء وقال: اللهم أن أخي موسى سألك فقال: «رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري»^(٣). فأنزلت عليه قرآنا «سندك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يصلون إليك»^(٤). اللهم واني محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري. قال أبو ذر رضي الله عنه فما استتم دعاءه حتى نزل جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل

(١) رواه ابن حنبل في كتاب الفضائل الحديث ٢٠٨. الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣. بتأنيع المودة ص ٩٩.

(٢) كفاية الطالب ص ٢٩٢. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣. تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٠٦. كنز العمال ج ٦

ص ١٥٤. الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٨. (٣) سورة طه / ٢٥-٣٥.

(٤) سورة القصص / ٣٥.

وقال: يا محمد ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^١. نقله أبو الحسن أحمد الثعلبي في تفسيره^(٢).

٥- وفي المناقب بالإسناد عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ): أن الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولا وانزل علي سيد الكتب فقلت: الهي وسيدي أنك أرسلت موسى إلى فرعون فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيرا يشدّ به عضده ويصدق به قوله، وإني أسألك يا سيدي والهي أن تجعل لي من أهلي وزيرا تشدّ به عضدي فأجعل لي عليا وزيرا وإخا وأجعل الشجاعة في قلبي وألبس الهبة على عدوه وهو أول من آمن بي وصدقني وأول من وحد الله معي وإني سألت ذلك ربي عز وجل فأعطانيه، فهو سيد الأوصياء اللحق به سعادة والموت في طاعته شهادة، واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي وزوجته الصديقة الكبرى ابنتي وابناء سيدها شباب أهل الجنة ابناي وهو وهما والأئمة من بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين وهم أبواب العلم في أمتي من تبعهم نجا من النار، ومن اقتدى بهم هدى إلى صراط مستقيم لم يعب الله محبتهم لعبد إلا ادخله الله الجنة^(٣).

٦- أخبرنا أحمد بن محمد أجازة، حدثنا عمر بن عبد الله بن شوذب، حدثنا أحمد بن عيسى بن الهيثم، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون، حدثنا علي بن عابس، عن الحارث بن حصيرة، عن عدي بن ثابت قال: خرج رسول الله صلى الله عليه (واله) إلى المسجد فقال: أن الله عز وجل أوحى إلى موسى أن ابن لي مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا موسى وهارون وأبناء هارون، وإن الله أوحى إلي أن ابني مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا أنا وعلي وأبناء علي^(٤).

(٢) نور الأبصار / ص ٧٧ .

(١) سورة المائدة / ٥٥ .

(٣) يتابع المودة ص ٧١ .

(٤) رواه ابن المغازلي في المناقب الحديث ٣٠٤ . العمدة ص ٨٨ . غاية المرام ص ٦٣ .

أقول:

أن الإمام علياً (عليه السلام) بحكم هذا النص خليفة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في قومه، ووزيره في أهله، وشريكه في أمره - على سبيل الخلافة لا على سبيل النبوة - وأفضل أمته، وأولاهم به حياً وميتاً، وله عليهم من فرض الطاعة زمن النبي - بوزارته له - مثل الذي كان هارون على أمة موسى زمن موسى، ومن سمع حديث المنزلة^(١) فأنما يتبادر إلى ذهنه هذه المنازل كلها ولا يرتاب في أرادتها منه.

وقد أوضح رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الأمر فجعله جلياً بقوله: انه لا ينبغي أن اذهب إلا وأنت خلفتي، وهذا نص صريح في كونه خليفته، بل نص جلي في انه لو ذهب ولم يستخلفه كان قد فعل ما لا ينبغي أن يفعل، وهذا ليس إلا لأنه كان مأموراً من الله عز وجل باستخلافه، كما ثبت في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢). ومن تدبر قوله تعالى في هذه الآية: ﴿فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ثم أمعن النظر في قول النبي صلى الله عليه واله وسلم: انه لا ينبغي أن اذهب إلا وأنت خلفتي، وجد هما يرميان إلى غرض واحد كما لا يخفى ولا تنسى قوله صلى الله عليه واله وسلم في هذا الحديث (أنت ولي كل مؤمن بعدي) فانه نص في انه ولي الامر ووليّه والقائم مقامه فيه. كما قال الكميّ رحمه الله تعالى:

ونعم ولي الامر بعد وليه ومتجع التقوى ونعم المؤدب

(١) قال النبي ﷺ: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) هذا الحديث مما أطبقت على روايته كتب العامة

فضلاً عن الخاصة من رواههم الثقات ومحدثيهم الحفاظ وعلمائهم الكبار. واختصاصه بعلي عليه السلام.

كما أن تشبيه علي بهارون، تثبت له كل المنازل التي كانت لهارون فيها عدا النبوة ومن منازل هارون :

١ - الأخوة والوزارة: وذلك لقوله تعالى ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي﴾ فاثبت رسول الله مؤاخاته لعلي واتخاذَه وزيراً له.

٢ - الخلافة: فقد خلفه موسى في قومه حين ذهب إلى ميقات ربه إذ يقول: ﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ فقام في بني إسرائيل مقامه، وأوجب عليهم وأوصاه بإبلاغ دعوته والقيام برسالته وبذلك كان هارون شريكاً لموسى في دعوته، كذلك كان علي إلا فيها يختص بالنبوة.

٣ - ومن المنازل الثابتة لهارون أيضاً أنه شريكه في أمره لقول الله: ﴿اشدد به أزري وأشرکه في أمري﴾ فرد الله عليه: ﴿قد أوتيت سؤالك يا موسى﴾ فبحكم هذا النص يكون علي شريك رسول الله في الأمر على سبيل الخلافة عنه، لا سبيل النبوة ويكون أفضل أمته وأولاهم به، وأنه أفضلهم عند الله وعند رسوله، كما كان هارون إلى الله وإلى موسى .

ولا يقف وجه الشبه بين علي وهارون إلى حد الصفات المثبتة في حق هارون، كما هي مستخلصة من القرآن، بل هناك خصائص أخرى شخصية، فقد أبى النبي ﷺ إلا أن تكون أسماء بني علي رضي الله عنهم مماثلة لأسماء بني هارون فسماهم حسناً وحسيناً ومحسناً قائلاً إنما سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر.

﴿وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾

(طه ٨٢)

١- عن أبي سعيد الهمداني، عن الباقر، عن أبيه، عن جده، عن علي (عليه السلام) قال: والله لو تاب رجل وآمن وعمل صالحاً، ولم يهتد إلى ولايتنا ومودتنا ومعرفة فعلنا ما أغنا عنه ذلك شيئاً.^(١)

٢- عن محمد بن الغيظ بن المختار، عن أبيه، عن جده، عن علي (عليه السلام) قال: قال لي رسول الله (ﷺ): يا علي ما خلقت إلا لتعبد ربك وليشرف بك معالم الدين ويصلح بك دارس السبيل ولقد ضل من ضل ولن يهتدي إلى الله من لم يهتد إلى ولايتك وهو قول ربي جل شأنه ﴿وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يعني اهتدى إلى ولايتك.^(٢)

٣- عن الحارث بن يحيى، عن الباقر (عليه السلام) قال: يا حارث ألا ترى كيف اشترط الله ولم تنفع أنساناً التوبة ولا الإيمان ولا العمل الصالح حتى يهتدي إلى ولايتنا.^(٣)

٤- أخبرنا أبو بكر الحارثي قال: أخبرنا أبو الشيخ الأصهباني، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا إسحاق بن الفيض، أخبرنا سلمة بن الفضل، أخبرنا شملال بن إسحاق، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال: إلى ولايتنا أهل البيت.^(٤)

٥- حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الفقيه، حدثني علي بن أحمد بن عبد الله بن أمد بن أبي عبد الله البرقي قال: حدثنا أبي، عن جده أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن خالد، حدثنا سهل بن المرزبان، حدثنا محمد بن منصور، عن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الفيض، عن

(١) ينابيع المودة ص ١٢٩. (٢) ينابيع المودة ص ١٢٩.

(٣) ينابيع المودة ص ١٢٩. (٤) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٥.

أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه، عن جده قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم فقال: أن الله تعالى يقول ﴿وَإِنِّي لَنَفَّارٍ لَّنْ تَابٍ وَآمَنٍ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ثم قال لعلي بن أبي طالب: إلى ولايتك.^(١)

٦- عن أبي جعفر الباقر عليه السلام «ثم اهتدى» إلى ولايتنا أهل البيت عليهم السلام، فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجيء بولايتنا لأكبّه في النار على وجهه.^(٢)

أقول:

لقد وردت أحاديث كثيرة في نجاة من اهتدى بأهل البيت عليهم السلام، لأنهم سفن نجاة الأمة وباب حطتها وهم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله وإن الولاية لهم دليل الغفران وإنها عطف سبحانه الهداية (بشم) مع أنه قد عطف ما قبلها بالواو للنظر إليها بعين الاستقلال الدال على تميزها والاهتمام بها ضرورة أن الاهتداء إلى الإمامة أو محبتهم خير الأعمال الصالحة ومن لم يوالهم فهو منافق.

وأفضل ما قيل من الشعر في هذا الباب:

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً	وود كل نبي مرسل وولي
وصام ما صام صواماً بلا ضجر	وقام ما قام قواماً بلا ملل
وحج ما حج من فرض ومن سنن	وطاف ما طاف حاف غير متعل
وطار في الجوّ لا يلوي إلى أحد	وغاص في البحر مأموماً من البلل
يكسو التمامي من الدباج كلهم	ويطعم الجائعين البر بالعسل
وعاش في الناس الألفاً مؤلفة	عار من الذنب معصوماً من الزلل
ما كان في الحشر عند الله متفعلاً	إلا بحب أمير المؤمنين علي

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٦.

(٢) مجمع البيان ج ٧ ص ٢٣ . غاية المرام ص ٣٣٤.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

(طه ١٢٤)

١- حدثني أبو الحسن الصيدلاني حدثنا أبو محمد بن أبي حامد الشيباني حدثنا عبد الصمد بن علي بن مكرم البزاز، حدثنا الحسين بن سعيد حدثنا علي بن حفص البزاز حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا سعيد بن خيثم عن إبان بن تغلب عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي قال: قال رسول الله للمهاجرين والأنصار أحبوا علياً لحبي وأكرموه لكرامتي، والله ما قلت لكم هذا من قبلي ولكن الله تعالى امرني بذلك ويا معشر العرب من ابغض علياً من بعدي حشره الله يوم القيامة أعمى ليس له حجة^(١).

٢- عن جعفر بن أحمد الاودي قال: حدثنا جعفر بن عبد الله حدثنا محمد بن عمر المازني حدثنا يحيى بن راشد عن أبي صالح عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أن من ترك ولاية علي أعماه الله وأصممه^(٢).

٣- عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم فسمعتة يقول: من ابغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً، قال جابر: قلت يا رسول الله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ فقال: نعم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إنما أحتجز بذلك من سفك دمه وإن يؤدي الجزية عن يد وهو صاغر. ثم قال: أن الله علمني أسماء أمتي كلها كما علم آدم الأسماء كلها، ومثل لي أمتي في الطين فمر بي أصحاب الرايات واستغفرت لعي وشيعته^(٣).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٨.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧٩. غاية المرام ص ٤٠٤.

(٣) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ج ٢٠ ص ٥٢ في ترجمة سديف. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٢.

أقول:

بالإسناد عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: النظر إلى وجه أمير المؤمنين (عليه السلام) عباده وذكره عباده لا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه^١. أما النظر إلى وجه علي (عليه السلام) فإنه عباده من حيث أنه ابن عم الرسول (ﷺ) وزوج البتول (عليها السلام) ووالد السبطين الحسن والحسين (عليهم السلام) وأخو الرسول (ﷺ) ووصيه وباب علمه والمبلغ عنه والمجاهد بين يديه والذاب عنه والباذل نفسه لله تعالى ولرسوله لنصرة دين الله وداعي الناس إلى دار السلام.

فذكر أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم وولاياتهم والسير على منهجهم والإقتداء بهديهم هو سير وولاء لله تعالى ولرسوله وعدم الأخذ من يحرمهم في العقيدة والفقه وبغضهم والأخذ من غيرهم هو غرق وتيه في ضلال الدنيا وجحيم الآخرة.

فلقد أخرج محب الدين الطبري في ذخائره عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ): مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تعلق بها فاز، ومن تخلف عنها غرق^٢.

(١) كشف القمعة ج ١ ص ١٠٩ كفاية الطالب ص ٢٥٢. كما رواه الخوارزمي في مناقبه.

(٢) ذخائر العقبى ص ٣٠.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

(طه ١٣٢)

١- عن أحمد بن محمد بن الحسن المهداني، أخبرنا أحمد بن الحسن الخزار، أخبرنا حصين، عن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جده قال: قال أبو الحمراء خادم النبي صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي باب علي وفاطمة عند كل صلاة فيقول: الصلاة ورحمكم الله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ الآية^(١).

٢- أخبرنا أبو غالب بن البناء، أنبأنا أبو الحسين بن النوسي، أنبأنا موسى بن عيسى بن عبد الله السراج، أنبأنا عبد الله بن سليمان، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم شاذان، أنبأنا الكرنان بن عمرو، أنبأنا سالم بن عبيد الله أبو حماد، أنبأنا عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: حين نزلت ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ كان يحيى بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى باب علي صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول: الصلاة ورحمكم الله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾^(٢).

٣- كان رسول الله ﷺ يحيى إلى باب علي وفاطمة عليهم السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة ورحمكم الله، فقال أبو الحسن: الحمد لله الذي خصصنا بهذه الكرامة العظمى، فقال المأمون: والعلماء جزاكم الله انتم أهل البيت عن هذه الأمة خيرا فما نجد الشرح والبيان فيما اشبهه علينا إلا عندكم^(٣).

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٨١.

(٢) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق الحديث ٣١٥. والسيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٩. كفاية الطالب ص ٣٧٦. كما ذكره فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٣٠ بطرق مختلفة.

(٣) ينابيع المودة ص ٥١.

٤- روى أبو سعيد الخدري قال: لما نزلت الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي باب فاطمة وعلي تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول: الصلاة رحمكم الله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا). ورواه ابن عقدة بإسناده من طرق كثيرة عن أهل البيت (عليه السلام) وعن غيرهم مثل أبي برزة وأبي رافع. وقال: أبو جعفر (عليه السلام) أمره الله تعالى أن يخص أهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للناس فأمرهم مع الناس عامة ثم أمرهم خاصة^(١).

أقول:

أن الأهل - في اللغة - موضوع لعشيرة الرجل وذوي قرياه، ولا يشمل الزوجة، وأكد هذا المعنى زيد بن أبي الأرقم حينما سئل عن أهل بيت النبي (ﷺ) هل يشمل زوجاته فأنكر ذلك وقال: لا - وأيم الله - أن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده^(٢).

لقد كان الرسول (ﷺ) يأتي كل يوم باب، (عليه السلام) وقت كل صلاة فيقول:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» الصلاة رحمكم الله كل يوم خمس مرات. وقد أكدت كثير من الروايات ومن كلا الطرفين هذا الحديث والذي يخص أهل البيت وإنما أراد النبي (ﷺ) بذلك إنما يؤكد ذلك أرشادا للأمة وللزما لها باتباعهم وتسليم قيادتها لهم.

كما أنه (ﷺ) كان يحاول أن يقطع الطريق على كل مدع لدخوله في أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس من نسائه وعصبته. فقد جاء عن أبي الحمراء أنه قال: لا زمت رسول الله (ﷺ) ثمانية أشهر في المدينة ليس من مرة يخرج إلى الصلاة الغداة إلا أتى باب علي (عليه السلام)

(١) مجمع البيان ج ٧ ص ٣٧.

(٢) سيرة الأنمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني ج ١ ص ٢٠.

فيضع يده عليه ويقول الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا^(١).



﴿فَسَتَعْلَمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾

(طه ١٣٥)

١- اخبرنا عقيل بن الحسين اخبرنا علي بن الحسين اخبرنا محمد بن عبيد الله اخبرنا محمد بن عبيد بن ربورا ببغداد بباب الشام اخبرنا عبد الله بن محمد بن عبيد اخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أصحاب الصراط السوي هو والله محمد وأهل بيته. والصراط: الطريق الواضح الذي لا عوج فيه ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ فهم أصحاب محمد صلى الله عليه واله وسلم^(١).

٢- عن علي بن إبراهيم في تفسيره قال: حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن علي بن رباب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: نحن والله سبيل الله الذي أمركم الله باتباعه ونحن والله الصراط المستقيم ونحن والله الذين أمر العباد بطاعتهم فمن شاء فليأخذ من هناك لا تجردون عنها محيصاً^(٢).

أقول:

روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل والبحراني في غاية المرام روايات مستفيضة بأن آل محمد هم الصراط الذي دل الله عليه، ومن أراد أن يجوز على الصراط كالريح العاصف ويلج الجنة بغير حساب فليتول، (تتبع) وأهل بيته، فهم حجج الله على خلقه وسفن نجاة الأمة وباب حطنتها، وهم أبواب العلم فمن اهتدى بهم هدى إلى صراط مستقيم.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٨٣ . غاية المرام ص ٤٠٥ .

(٢) غاية المرام ص ٤٠٥ .

قال رسول الله (ﷺ): معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب^(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) لعلي (عليه السلام): أنت الطريق الواضح وأنت الصراط المستقيم وأنت يعسوب المؤمنين^(٢).



(١) المطالعات في مختلف المؤلفات ج ٣ ص ١٨٩ نقلاً عن الشهاب على الشفا .

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٥٨ .

﴿لِإِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾

(الأنبياء ١٠٠)

١- عن أبي الحسن الفارسي حدثنا أبو جعفر محمد بن علي الفقيه حدثنا أبي حدثنا سعد بن عبد الله حدثنا أحمد بن محمد بن خالد عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن بن راشد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي قال: قال لي رسول الله: يا علي فيكم نزلت هذه الآية ﴿لِإِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(١).

٢- وفي أمالي الصدوق عن النبي صلى الله عليه واله وسلم في حديث: يا علي أنت وشيعتك على الخوض تسقون من أحبيتم وتمنعون من كرهتم واتمم الأمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش يفرح الناس ولا تفرعون ويحزن الناس ولا تحزنون فيكم نزلت هذه الآية ﴿لِإِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ وفيكم نزلت ﴿ولا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾^(٢).

أقول:

أن الخلائق يوم الفزع الأكبر تنزل عقوبتهم من هول المطلق إلا من أحب أهل البيت وأطاعهم واقتدى بهديهم فإنه آمن من أهوال يوم القيامة واليه الإشارة بقوله: ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ ولما كانت بشارة شخص معين بنيل الموعود والأمن من الوعيد تقتضي مع علمه بالبشارة عصمته وأن ما سواه ليسوا كذلك فيكون أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الإمام المعصوم مع وجود أدله على إمامته.

(١) مشاهد التنزيل ج ١ ص ٣٨٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ج ١٣ ص ٣٣٦.

أن أهل البيت عليهم السلام الذين قرنهم النبي (ﷺ) بكتاب الله وجعلهم عدلاً
يبتدي بهم الحائرون كما يبتدون به ويسترشد بهم الضالون كما يسترشدون بأحكامه وتوجيهاته
ولن يضل المقتدي بهم والموالي لهم لأنهم يعكسون في سلوكهم وأقوالهم وأفعالهم مبادئ
القرآن وسنة الرسول (ﷺ) وسيرته ويمسكون بالإسلام بكل ما يهدف إليه بدقة وأمانة
وإخلاص.

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾

(الحج ١٩)

١- اخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن أحمد البالوي، اخبرنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب القرشي، اخبرنا محمد بن أيوب بن يحيى الرازي، اخبرنا عبيد الله بن معاذ اخبرنا معتمر عن أبيه، اخبرنا أبو مجلز، عن قيس بن عباد عن، انه قال: أنا أول من يجئ بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم أنزلت هذه الآية: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحزرة وعبيده - أو أبو عبيده - بن الحرث - وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة^(١).

٢- اخبرنا سعيد بن محمد المدني اخبرنا أبو الحسن محمد بن عثمان بن محمد البغوي ببغداد اخبرنا الحسين بن إسماعيل المحاملي اخبرنا محمود بن خدّاش اخبرنا هيثم بن بشير اخبرنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر لقسم قسمًا أن قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيد بن الحرث، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة^(٢).

٣- عن ابن بابويه قال: حدثنا أبو محمد عمار بن الحسن الأطرش قال: حدثني علي بن محمد بن عصمة قال: حدثنا أحمد بن محمد الطبري بمكة قال: حدثنا أبو الحسن بن أبي شجاع البجلي عن جعفر بن محمد الحنفي عن يحيى بن هاشم عن محمد بن جابر عن صدقة بن سعيد عن النضر بن مالك قال: قلت للحسين بن، عليه السلام يا أبا عبد الله حدثني عن

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٨٦. غاية المرام ص ٤٢١، كما رواه السيوطي في الدر المنثور ج ٤ ص ٣٤٨.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٨٨. مشكل الآثار ج ٢ ص ٢٦٨. أسباب النزول ص ٢٠٧.

قول الله عز وجل: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل قلنا صدق الله، وقالوا: كذب الله فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة^(١).

٤- عن أبي ذر أنه كان يقسم لنزلت هذه الآية في هؤلاء الرهط يوم بدر ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله ﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾ نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب. وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة^(٢).

٥- قال السيوطي في تفسير قوله تعالى ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الآية، أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي ذر قال: نزلت هذه الآية ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ في حمزة وعبيدة وعلي بن أبي طالب. وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة. وأخرج الحاكم عن علي قال: فينا نزلت هذه الآية في مبارزتنا يوم بدر ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿الحريق﴾^(٣).
أقول:

استفاضت الروايات أن هذه الآية نزلت في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر، وهم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة، و﴿الفضل﴾ قتل الوليد بن عتبة، وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب قتل شيبة بن ربيعة، وكان أبو ذر يقسم بالله تعالى أنها نزلت فيهم ورواه البخاري في صحيحه.

وعليه فإن، ﴿الفضل﴾ أول من برز إلى جابرة قريش مع عمه الحمزة وابن عمه عبيدة بن الحرث، فكانت الضربة الأولى التي قضت على معنويات ذلك الجيش الذي كان يعتز بعدده وعتاده وأطاحت برؤوس أولئك الطغاة وبعثت في نفوس العرب والمشركين الخوف والذعر والجزع من الهاشميين وحدهم وتنص أكثر الروايات أن علياً ﴿الفضل﴾ قتل النصف واشترك مع

(١) غاية المرام ص ٤٢١.

(٢) ذخائر العقبى ص ٨٩ كما رواه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٣٨٦ عن قيس بن عباد.

(٣) لباب النقول ص ١٤٩.

المسلمين في النصف الآخر. وفي حلية الأولياء بسنده عن محمد بن إدريس الشافعي قال: رأيت
، غلاماً شاباً ليثاً عبقرياً يفري الغري لا يثبت له أحد إلا قتله ولا يضرب شيئاً أهلكه ولم أر
أحداً من الناس يحمل حملته ويلتفت التفاته".

وجاء في ذخائر العقبى انه قال: نادى ملك من السماء يوم بدر أن (لا سيف إلا ذو الفقار ولا
فتى إلا علي)".

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر ج ١ ص ٢٠٥ .

(٢) ذخائر العقبى ص ٨٤ .

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ

عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِمِينَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

(الحج ٣٤، ٣٥)

١- عن أبي بكر محمد بن الحسين بن صالح السبيعي اخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن عفير الأنصاري اخبرنا الحجاج بن يوسف اخبرنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ قال: نزلت في علي وسلمان^(١).

٢- عن محمد بن العباس قال: حدثنا محمد بن همام عن محمد بن إسماعيل، عن عيسى بن داود قال: قال موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألت أبي عن قول الله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ الآية قال: نزلت فينا خاصة^(٢).

أقول :

المخبتين أي المتواضعين المطمئنين إلى الله الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا يتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء. قال (رحمته): ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله. وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يقبلها ويرضاها إلا وبابها التواضع ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده الذين إذا ذكر الله خشعت أبصارهم وسكنت لعظمته، وكان علي (عليه السلام) إذا ناجى ربه أضحى كالحشبة اليابسة فشاهده رجل فجاء مسرعاً إلى بيت فاطمة (عليها السلام) يخبرها بأن بعلمها قد مات فقالت: في أي حالة رأيته قال: رأيته

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٩٧ . غاية المرام ص ٤٢٩ .

(٢) غاية المرام ص ٤٢٩ .

يعبد ربه، قالت: انه يغمى عليه كل ليلة مرات من خشية الله كذلك كان صابراً محتسباً على ما يصيبه من البلاء أو لم تكن حياته كلها سلسلة من صمود اثر صمود في وجه الأعاصير تأتيه من كل صوب والآلام تغزوه من كل جانب وهو راسخ في إيمانه كالطود بين العواصف مردداً يقول: (لا إيمان لمن لا صبر له). وهو الذي جمع بين الصلاة والصدقة فبشره الله بكرامة الآخرة.



﴿الَّذِينَ إِنِّ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

(الحج ٤١)

١ - عن فرات بن إبراهيم، قال: حدثني الحسين بن سعيد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنِّ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية قال: فينا والله نزلت هذه الآية ^(١).

أقول:

التمكن هو إعطاء ما يصح منه الفعل فإن كان الفعل لا يصح إلا بآلة فالتمكن إعطاء تلك الآلة لمن فيه القدرة فالمعنى الذين أعطيناهم ما به يصح الفعل منهم وسلطانهم في الأرض أدوا الصلاة بحقوقها وأعطوا ما افترض الله عليهم من الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف هو الحق لأنه يعرف صحته، والمنكر هو الباطل لأنه لا يمكن معرفة صحته. قال أبو جعفر ^(٢): نحن هم والله ^(٣).

وكل من أطاع الله بامتنال الأوامر واجتناب النواهي فهو عابد ولما كانت متعلقات الأوامر الصادرة من الله تعالى على لسان رسوله ^(٤) متنوعة كانت العبادة فمنها الصلاة ومنها الصدقة والزكاة ومنها الصيام إلى غيرها من الأنواع، وفي كل ذلك كان على ^(٥) غاية لا تدرك وكان متحلياً بها مقبلاً عليها حتى أدرك بمسارعة إلى طاعة الله ورسوله ما فات غيره، وقصر عنه سواه.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٠٠.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٧ ص ٨٨.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ﴾

(المؤمنون ٧٤)

١- عن أبي بكر السبيعي قال: حدثني وضيف بن عبد الله الانطاكي، حدثنا جعفر بن علي، حدثنا حسن بن حسين بن علوان عن سعد الاسكاف عن الاصمغ بن نباته عن علي عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ﴾ قال: عن ولايتنا^١.

٢- الحموي بسنده عن الاصمغ بن نباته عن علي ((كرم الله وجهه)) في هذه الآية قال: الصراط ولايتنا أهل البيت. وفي المناقب عن زيد بن موسى الكاظم عن آبائه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذه الآية قال: عن ولايتنا أهل البيت. وعن جعفر الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: عن الإمام الحائدون^٢.

أقول:

النكب والنكوب العدول عن الطريق والميل عن الشيء أما الصراط المستقيم وهو الطريق الواضح الذي لا يختلف ولا يتخلف في حكمه وهو إيصال سالكه إلى الغاية المقصودة وهذه صفة الحق فإن الحق واحد لا يختلف أجزاءه ولا يتخلف في مطلوبه الذي يهدي إليه، فالحق صراط مستقيم.

وإذا ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهدي إلى الحق كان لازمه انه يهدي إلى

صراط مستقيم.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٠٢، قال: ورواه أيضاً في فرائد السمطين كما في الباب (٥٦) وغاية المرام

ص ٢٦٢، وقال: وهذا هو الحديث ٣٥٥ من تفسير فرات ص ١٠١.

(٢) يتابع المودة ص ١٣٤.

ولما كان أهل البيت عليهم السلام هم الصراط المستقيم وهم سفن نجاة الأمة وأمانها في الاختلاف في الدين وأعلام هدايتها فإن الذين كفروا كانوا كارهين للحق وهو الصراط المستقيم فهم حادون عن الصراط ففي تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿عَنْ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ﴾ قال: عن الإمام لحادون.



﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تَرَبَّنِي ﴿١﴾ مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿٢﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُزِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾

(المؤمنون ٩٣-٩٥)

١- عن جعفر بن محمد الفزاري حدثنا عباد حدثنا نصر عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله قال: أخبر جبرائيل النبي صلى الله عليه واله وسلم أن أمتك سيفتنون من بعدك فأوحى الله إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تَرَبَّنِي﴾ إلى قوله ﴿الظَّالِمِينَ﴾ قال: هم أصحاب الجمل فقال ذلك النبي صلى الله عليه واله، فأنزل الله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُزِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ فلما نزلت هذه الآية جعل النبي لا يشك أنه سيري ذلك. قال جابر: بينما أنا جالس إلى جنب النبي صلى الله عليه واله وسلم وهو بمنى يخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس أليس قد بلغتكم؟ قالوا: بلى، قال: ألا لا ألفتينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض أما لئن فعلتم ذلك لتعرفني في كتيبة أضرب وجوهكم فيها بالسيف: فكانه غمز من خلفه فالتفت ثم أقبل علينا فقال: أو، فأنزل الله عليه: ﴿فَأَمَّا نَذْهَبُ بِكَ فَأَنَا مِنْهُمْ فِئَمَنْ﴾. ﴿أَوْ نُزِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأَنَا عَلَيْهِمْ مَقْدَرُونَ﴾. قال: وقعة الجمل.

٢- روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله إنها سمعا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول في حجة الوداع وهو بمنى: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفني في

كتيبة يضار بونكم قال: فغمر من خلفه منكبه الأيسر فالتفت فقال: أو علي فنزل ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّا نُرِيتُكَ﴾ الآيات ثم أمره صلى الله عليه واله وسلم بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب^(١).

أقول:

قال السيوطي في الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن جابر عن النبي (ﷺ): أن هذه الآية «فَأَمَّا نَذِيرٌ بِكَ فَأَمَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نَزِنُكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأَمَّا عَلَيْهِمْ مُقَدَّرُونَ» نزلت في، أنه يتقم من الناكثين والقاسطين بعدي. وإذا كان لفظ الآيات شاملاً للكافرين والمنافقين وكان صالحاً لتخصيصه بالمنافقين لدليل خاص كسائر العمومات فقد صح أن يراد بالآيات الخصوص وان يكون المراد بضمير الغيبة في قوله تعالى: «فَأَمَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» هم المنافقون لاسيما مع التصريح في رواية جابر المذكورة بالانتقام من الناكثين والقاسطين فأنهم وسائر البغاة على علي (عليه السلام) أعداء مبغوضون له. وقد استفاضت الأخبار أن بغضه علامة النفاق فإذا كان علي عليه السلام هو الذي وعد الله سبحانه بالانتقام به بعد النبي بمقتضى تلك الأخبار كان هو الإمام لان قيامه مقام النبي (ﷺ) ظاهر في أمته بعده^(٢).

وقال الدكتور طه حسين في معرض كلامه عن انحراف الأمة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ومناوئتها له، قال: أصبحت هذه الأمة منقسمة أشنع انقسام وابغضه إلى الله ورسوله نسيت قول الله عز وجل في سورة آل عمران: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا» ونسيت قول الله عز وجل في سورة الأنعام: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ» ثم نسيت قول رسول الله (ﷺ): ((أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)) نسيت كل هذا واستجابات

(١) مجمع البيان ج ٧ ص ١١٧، ج ٩ ص ٤٩.

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ١١٥.

لفتنة المال وحب السلطان والاستئثار بخيرات الدنيا فضرب بعضها رقاب بعض يوم الجمل
ويوم صفين ويوم حروراء^(١).



(١) امرأة الإسلام ص ٢٦٦-٢٦٧ .

﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾

(المؤمنون ١٠١)

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسبي وكل ولد أم فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأني أنا أبوهم وعصبتهم^(١).

٢- وروى صاحب كنوز المطالب في بني أبي طالب عن العباس قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوماً إذ أقبل علي، فلما رآه أسفر في وجهه فقلت له يا رسول الله انك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال: يا عم رسول الله والله الله أشد حباً له مني انه لم يكن نبي إلا ذريته الباقية بعده في صلبه، وإن ذريتي من بعدي في صلب هذا. انه إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسماء أمهاتهم سترأ من الله عليهم إلا هذا وذريته فأنهم يدعون لإبائهم لصحة ولا ذمتهم^(٢).

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أنا والعباس جالسين عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم إذ دخل علي (عليه السلام) فلم فرد عليه النبي صلى الله عليه واله وسلم السلام، وقام إليه وعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه فقال العباس يا رسول الله أحبه فقال: يا عم والله الله أشد حباً له مني الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا^(٣).

(١) ذخائر العقبى ص ١٦٩ . ينابيع المودة ص ٢٦٨ . جواهر العقدين ق ٢ ج ١ ص ١٣٨ .

(٢) ذخائر العقبى ص ٦٧ . الصواعق المحرقة ص ١١٢ .

(٣) فرائد السمطين ج ١ ص ٣٢٤ . جواهر العقدين ق ٢ ج ١ ص ١٥١ .

٤- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا عباده بن زياد الاسدي حدثنا يونس بن أبي يعفور عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلا نسي وسبي^١.

٥- أخبرنا عقيل بن الحسين أخبرنا محمد بن عبيد الله أخبرنا عمر بن محمد الجمحي بمكة أخبرنا علي بن عبد العزيز البغوي أخبرنا إبراهيم أخبرنا الفضل بن دكين عن سفيان الثوري عن أبي جريح عن عطاء عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: كل حسب ونسب يوم القيامة منقطع إلا حسي ونسي إن شتم أقرأوا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْأَلُونَ﴾^٢.

أقول:

أن هذه الآية تشتمل على اختصاص النبي صلى الله عليه واله وسلم بانتساب أولاد ابنته إليه بالنسبة والأبوة والنسل، وهم أولى بذلك. ولهذا لما رأى، عليه السلام يتسرع إلى الحرب في بعض أيام صفين قال: ((أيها الناس املكوا عني هذين الغلامين فأني أنفسي بهما عن القتل أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم))^٣.

وان أولاد بناته يُنسبون إليه صلى الله عليه واله وسلم وأولاد بنات غيره لا ينسبون إلى جدهم في الكفاءة وغيرهم.

وحكى بعضهم أن الرشيد قال لموسى الكاظم عليه السلام: كيف قلتُم نحن ذرية رسول الله صلى الله عليه واله وسلم. وانتم بنو علي وإنما ينسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده

(١) حلية الأولياء ج ٧ ص ٣١٤. فيض القدير ج ٥ ص ٢٠. الصواعق المحرقة ص ١١٢. كفاية الطالب ص ٣٨٠.

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٤٠٧. مجمع لبيان ج ٧ ص ١١٩.

(٣) تذكرة خواص الأمة ص ١٨٣.

لامه فقرأ الكاظم (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله: وعيسى والياس كل من الصالحين﴾^(١).

ثم قال: وليس لعيسى أب وإنما الحق بذرية الأنبياء من قبل أمه وكذلك ألحقنا بذرية لنبي صلى الله عليه واله وسلم من قبل أمنا فاطمة رضي الله عنها. وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم...﴾^(٢). الآية. ولم يدع صلى الله عليه واله وسلم عند مباہلتهم غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء^(٣).

(١) سورة آل عمران / ٦١ .

(٢) سورة آل عمران / ٦١ .

(٣) بنابيع المودة ص ٣٦٢ .

«اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»

(النور ٣٥)

١- روي عن الرضا (عليه السلام) أنه قال: نحن المشكاة فيها والمصباح محمد صلى الله عليه واله وسلم يهدي الله لولايتنا من أحب. وفي كتاب التوحيد لأبي جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله: «كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» قال: نور العلم في صدر النبي صلى الله عليه واله وسلم «الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ» الزجاجة في صدر علي (عليه السلام) صار علم النبي صلى الله عليه واله وسلم إلى صدر علي، عَلَّمَ النَّبِيُّ عَلِيًّا «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» نور العلم «لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» لا يهودية ولا نصرانية «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ» قال: يكاد العالم من آل محمد صلى الله عليه واله وسلم يتكلم بالعلم قبل أن يسأل «نُورٌ عَلَى نُورٍ» أي إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في أثر إمام من آل محمد صلى الله عليه واله وسلم وذلك من لدن آدم (عليه السلام) إلى أن تقوم الساعة فهو لاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه وحججه على خلقه لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم^(١).

٢- عن علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عز وجل: «كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ» قال: المشكاة فاطمة عليها السلام والمصباح الحسن والحسين عليهما

السلام ﴿وَالزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال: كانت فاطمة كوكباً درياً بين نساء العالمين نوقد من شجرة مباركة إبراهيم ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ قال: كاد العلم ينطق منها ﴿وَلَوْ لَمْ تَنْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: منها إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يهدي لولايتنا من يشاء^(١).

٣- عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنحل بن جميل عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ فهو محمد صلى الله عليه واله وسلم ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هو العلم ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الزجاجاة أمير المؤمنين وعلم نبي الله عنده^(٢).

٤- عن الحسين بن أيوب عن محمد بن غالب عن علي بن الحسين عن الحسن بن أيوب عن الحسين بن سلمان عن محمد بن مروان الذهلي عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: كذلك الله عز وجل قال: قلت ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ قال: محمد صلى الله عليه واله وسلم، قلت ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ قال: صدر محمد صلى الله عليه واله وسلم قال: قلت ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: فيه نور العلم يعني النبوة، قلت ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ قال: علم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم صدر إلى قلب علي عليه السلام، قلت ﴿كَأَنَّهَا﴾ قال: لأي شيء تقرأ كأنها، فقلت: فكيف جعلت فداك؟ قال: كأنه كوكب دري قلت ﴿يُقَادُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: ذلك أمير المؤمنين، عليه السلام لا يهودي ولا نصراني قلت ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَنْسَسْهُ نَارٌ﴾ قال: يكاد العلم

(١) غاية المرام ص ٣١٥.

(٢) غاية المرام ص ٣١٧.

يخرج من فم العالم من آل محمد من قبل أن ينطق به قلت ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ قال: الإمام في اثر الإمام عليه لسلام".

أقول:

لقد بيّن الله تعالى بان له نوراً خاصاً يستنير به المؤمنون ويهتدون إليه بإعمالهم الصالحة وهو نور المعرفة الذي سيستنير به قلوبهم وإبصارهم يوم تنقلب فيه القلوب والإبصار فيهتدون به إلى سعادتهم الخالدة ومثل تعالى هذا النور بمصباح في زجاجة في مشكاة يشتعل من زيت في نهاية الصفاء فتلاً للآل الزجاجة كأنها كوكب دري فتزيد نوراً على نور والمصباح موضوع في بيوت العبادة التي يسبح الله فيها رجال من المؤمنين لا تلهيهم عن ذكر ربهم وعبادته تجارة ولا بيع. فهذه صفة أكرم الله به المؤمنين من نور معرفته المتعقب للسعادة الخالدة. فان نور الإيثار والمعرفة نور مستعار مشرف على قلوب المؤمنين مقتبس من نوره تعالى قائم به مستمد منه.

وفي كتاب التوحيد فقد روي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فقال: هو مثل ضربه الله لنا فالنبي والأئمة صلوات الله عليهم من دلالات الله وآياته التي يتندي بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والسنن والفرائض ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". وقد وردت عدة من الأخبار من طرق الشيعة في تطبيق الآية على النبي (ﷺ) وأهل بيته عليهم السلام.

فمقتضى هذه الآية أن الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى والرضوان وعرة الهدى والإيثار شجرة أصلها النبوة وفرعها الإمامة وأغصانها التنزيل وأوراقها التأويل وخدمها جبرائيل وميكائيل. فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله عز وجل خلفاء في أرضه وحججه على خلقه لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم عليهم السلام.

(١) التوحيد ص ١٥٧ .

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق ص ١٥٧ .

﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
وَالْآصَالِ﴾ ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾

(النور ٣٦، ٣٧)

١- عن أبي عبد الله الدينوري حدثنا أبو زرعة حدثنا أحمد بن الحسين بن علي الرازي حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الحمدي حدثنا المنذر بن محمد القابوسي حدثني أبي حدثنا عمي حدثنا الحسين بن سعيد، قال: حدثني أبي عن إبان بن تغلب عن بقيق بن الحرث عن أنس بن مالك وعن بريده قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه واله هذه الآية: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾ فقام رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: بيوت الأنبياء فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها، لبيت علي وفاطمة، قال: نعم من أفضلها^(١).

٢- عن محمد بن همام قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك قال: حدثنا القاسم بن الربيع عن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن منحل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ قال: هي بيوت الأنبياء وبيت علي منها^(٢).

أقول:

أن الله سبحانه وتعالى جعل الذكر جلاء للقلوب. وإن للذكر اهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة ويهتفون بالزواج عن محارم الله في

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ٤١٠ . مجمع البيان ج ٧ ص ١٤٤ . غاية المرام ص ٣١٨ .

(٢) غاية المرام ص ٣١٧ .

إسماع الغافلين ويأمرون بالقسط ويأتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون. وقد نشروا دواوين أعمالهم وفرغوا المحاسبة أنفسهم على كل صغيرة وكبيرة، وحملوا ثقل أوزارهم على ظهورهم فنشجوا نشيجاً وتجاوبوا نجياً يعجون إلى ربهم في مقام ندم واعتراف لرأيت إعلام هدى ومصايح دجى، وقد حفت بهم الملائكة، وتنزلت عليهم السكينة وفتحت لهم أبواب السماء واعدت لهم مقاعد الكرامات في مقام اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون بدعائمه روح التجاوز جرح طول الأسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم.

فطوبى لأولئك الذين طال سجودهم وزاد خشوعهم وخنوعهم فصفت نفوسهم وتزكت أرواحهم فخلت من أدرانها وآثامها، ثم عرجت إلى معالم القدس حيث لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

(النور ٥٢)

١ - عن عبد الله بن محمد بن هاشم الدوري حدثنا علي بن الحسين القرشي، قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن الشامي عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة، قال: أنزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

أقول:

حكمت هذه الآية بفلاح من أجاب الدعوة إجابة خالصة إلى حكم الله ورسوله بالسمع والطاعة بقيد الإيمان كأنه قيل: إنما افلح من أجاب إلى حكم الله ورسوله وهو مؤمن لأنه مطيع لله ولرسوله وهو مؤمن حقاً في باطنه خشية الله وفي ظاهره تقواه .
ومن يطع الله ورسوله فيما قضى عليه ويخشى الله ويتقيه فأولئك هم الفائزون والفوز هو الفلاح ومن أولى بطاعة الله ورسوله وإجابة الدعوة تلك الطاعة التي تمثلت وتجسدت في شخص أمير المؤمنين، عليه السلام. وفي كل ذلك كان عليه السلام غاية لا تدرك وكان متحلياً بكل الصفات التي جاء بها الإسلام مقبلاً عليها حتى أدرك بمسارعته إلى طاعة الله ورسوله ما فات غيره وقصر عنه سواه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
 خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ﴾

(النور ٥٥)

١- عن ابن شهر آشوب من تفسير أبي عبيدة وعلي بن حرب الطائي قال عبد الله بن مسعود: الخلفاء أربعة آدم ﴿أني جاعل في الأرض خليفة﴾^(١)، وداود ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة﴾^(٢)، يعني بيت المقدس. وموسى ﴿اخلفني في قومي﴾^(٣)، وعلي ((وعد الله الذين آمنوا منكم - يعني -، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم - آدم وداود وهارون - وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم - يعني الإسلام - وليبدلنهم من بعد خوفه أمناً - يعني أهل مكة - يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك - بولاية -، فأولئك هم الفاسقون)) يعني العاصين لله ولرسوله. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من لم يقل أنا رابع الخلفاء فعليه لعنة الله ثم ذكر نحو هذا المعنى^(٤).

٢- عن محمد بن العباس عن الحسين بن محمد عن محمد بن معلى بن محمد عن الوشاء عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

(١) سورة البقرة / ٣٠. (٣) سورة الأعراف / ١٤٢.

(٢) سورة ص / ٢٦. (٤) غاية المرام ص ٣٧٦ الباب ٧٩.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) قال: نزلت في، والأئمة من ولده عليهم السلام ﴿وَلَيَسَكُنَنَّ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ قال: عني به ظهور القائم عليه السلام^(١).

٣- والمروي عن أهل البيت عليهم السلام أنها في المهدي من آل محمد صلى الله عليه واله وسلم. وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام انه قرأ الآية وقال: هم والله شيعة أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وروي مثل ذلك عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام. فعلى هذا يكون المراد بالذين امنوا وعملوا الصالحات النبي وأهل بيته صلوات الرحمن عليهم وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي عليه السلام منهم ويكون المراد بقوله ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هو أن جعل الصالح للخلاف خليفة مثل ادم وداود وسليمان عليهم السلام ويدل على ذلك قوله: ﴿أَنْتَ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) و﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) وقوله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٤) وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة وإجماعهم حجة لقول النبي صلى الله عليه واله وسلم: أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الخوض^(٥).

(١) غاية المرام ص ٣٧٦ الباب ٨٠ الحديث الخامس .

(٢) سورة البقرة / ٣٠ . (٤) سورة النساء / ٥٤ .

(٣) سورة ص / ٢٦ . (٥) مجمع البيان ج ٧ ص ١٥٢ .

أقول:

الخليفة نائب لله فلا بد أن تكون النيابة بأذنه فوجب إذن أن يكون الإمام أو الخليفة منصوباً عليه ولو ثبتت الإمامة بالاختيار لما كان الإمام خليفة لله ولا لرسوله لأنها لم يقال انه خليفة للأمة لان احداً لم يذهب في الخلافة إلى هذا الرأي.

فخلافة الله اذن تقتضي ان تكون بنص من الله ولا بد ان يكون المنصوص عليه معصوماً لأنه إن لم يكن كذلك لكان الله قد نص على من يفسد في الأرض والله لا يحب الفساد وقد ذكرنا معنى الخلافة في الآية الثامنة من هذا الكتاب ص ٢٨.

وقد تواترت الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام انها في المهدي من آل محمد وانه الموعود الذي سيظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وان المراد بالذين امنوا وعملوا الصالحات النبي (ﷺ) والأئمة من أهل بيته عليهم السلام .

فأن هذه الآية تدل على ضرورة الإمامة بعد النبي (ﷺ) لإكمال عملية الاستخلاف الذي يتحقق فيه الأمن الكامل والتوحيد المطلق في العبادة لله تعالى، لان ذلك لم يتحقق في زمن الرسول ولا من بعده ولا زال الشرك بالله والخوف من الناس ظاهرة قائمة في التاريخ الإنساني منذ زمن النبي (ﷺ) وحتى الآن .

﴿وَيَوْمَ بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

(الفرقان ٢٧)

١- عن علي بن هاشم والحسن بن السكن قالوا: حدثنا عبد الرزاق بن همام قال: اخبرني عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وقد على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أهل اليمن، فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم جاءكم أهل اليمن يبتسون بيساً فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال: قوم رقيقة قلوبهم راسخ إيمانهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيي، حائل سيوفهم المسك فقالوا: يا رسول الله ومن وصيك فقال: هو الذي أمركم الله بالاعتصام به فقال عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. فقالوا: يا رسول الله بين لنا ما هذا الحبل فقال: هو قول الله عز وجل: ﴿الْأَبْجَلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلُ مِنَ النَّاسِ﴾ فالحبل الذي من الله كتابه والحبل الذي من الناس وصيي. فقالوا: يا رسول الله ومن وصيك فقال: هو الذي انزل الله فيه ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾. فقالوا: يا رسول الله وما جنب الله هذا فقال: هو الذي يقول الله فيه ﴿وَيَوْمَ بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ قال: وصيي السبيل إلي من بعدي فقالوا: يا رسول الله بالذي بعثك بالحق نبياً أرنا فقد اشتقنا إليه فقال: هو الذي جعله الله آية للمتوسمين فإن نظرتم إليه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم انه وصيي كما عرفتم أني نبيكم فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه فما أهوت إليه قلوبكم فإنه هو لان الله عز وجل يقول في

كتابه: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾^(١) إليه وإلى ذريته عليهم السلام. قال: فقام أبو عامر الأشعري في الأشعرين، وأبو عزة الخولاني في الخولانيين وظبيان وعثمان بن قيس. وعربة الدوسي في الدوسيين، ولا حق بن علاقة فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه واخذوا بيد الأصلع البطين وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم: انتم نخبة الله حين عرفتم وصي رسول الله قبل أن تعرفوه، فبم عرفتم انه هو فرفعوا أصواتهم ليكون وقالوا: يا رسول الله نظرنا إلى القوم فلم تنجس لهم ولما رأينا وجفت قلوبنا ثم اطمأنت نفوسنا فانجاست أكبادنا وهملت أعيننا وتبلجت صدورنا حتى كأنه لنا أب ونحن عنده بنون، فقال النبي صلى الله عليه واله وسلم: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم. أنتم منه بالمرتلة التي سبقت لكم بها الحسنی وانتم عن النار مبعدون، قال: فبقى هؤلاء المستمّون حتى شهدوا مع أمير المؤمنين الجمل وصفين رحمهم الله وكان النبي صلى الله عليه واله وسلم يبشرهم بالجنة واخبرهم إنهم يستشهدون مع علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٢).

٢- عن أحمد بن القاسم عن أحمد بن محمد السيارى عن محمد بن خالد عن حماد عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخَذُكَمُ الرَّسُولُ سَبِيلًا﴾ يعني، عليه السلام^(٣).

٣- عن محمد بن الحسن الشيباني في تفسيره نهج البيان عن الباقر والصادق عليهما السلام في معنى الآية السبيل هاهنا علي عليه السلام ﴿يَا وَيْلَتِي لَيْتِي لَمْ أَخْذُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾^(٤). لقد أضلني عن الذكر يعني علياً عليه السلام. وقال أيضاً: وروى عن الباقر والصادق عليهما السلام

(١) سورة إبراهيم / ٣٧. (٢) غاية المرام ص ٤٤٣.

(٣) غاية المرام ص ٤٤٣. (٤) الفرقان / ٢٨.

أن هذه الآيات نزلت في رجلين من مشايخ قريش اسلما بألستهما وكانا ينافقان النبي صلى الله عليه واله وسلم وأخى بينهما يوم الاخا فصداً أحدهما صاحبه عن الهدى فهلكا جميعاً فحكى الله تعالى حكايتهما في الآخرة وقولها عندما ينزل عليهما من العذاب فيحزن ويتأسف على ما تقدم ويتندم حيث لم ينفعه الندم^(١).

أقول:

لقد ورد في غير واحد من الروايات في قوله تعالى: ﴿يا لئني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾ أن السبيل هو علي عليه السلام وإن كل من لم يتد بهدى الرسول وأهل بيته عليهم السلام فهو ظالم لنفسه فلا يفيد ندمه بعد ذلك.

فالإمامة ضرورة من ضروريات الحياة لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال فيها يقام ما اعوج من نظام الدنيا والدين، وبها تتحقق العدالة الكبرى التي ينشدها الله في أرضه ويتحقق الأمن العام والسلام بين الناس ويدفع عنهم المهرج والمرج يمنع القسوي من أن يتحكم في الضعيف ومن أهم الأمور الداعية إلى وجود الإمام إيصال الناس إلى عبادة الله ونشر أحكامه وتعاليمه وتغذية المجتمع بروح الإيمان والتقوى ليعتد الإنسان بذلك عن الشر وينتج إلى الخير ولهذا يجب على الأمة كافة الانقياد إليه والامثال لا وأمره ليقوم أودها ولم شعنها ويهديها إلى سواء السبيل.

وهذه الأوصاف لم تتوفر إلا في أئمة أهل البيت عليهم السلام لأنهم حفنة الإسلام وحماة والإدلاء على مرضاة الله وطاعته.

أن أئمة أهل البيت سلام الله عليهم قد دللوا بسيرتهم وهديم على عصمتهم من الخطأ والزيف وقد برهنت الحوادث والوقائع على ذلك ودلت على أنهم نسخة لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية وذلك لما لهم من عظيم الفضل والتقوى.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾

(الفرقان ٥٤)

١- عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في الخمسة أهل العباء ثم قال: المراد من الماء نور النبي (ﷺ) الذي كان قبل خلق الخلق ثم أودعه في صلب آدم عليه السلام ثم نقله من صلب إلى صلب إلى أن وصل إلى صلب عبد المطلب فصار جزأين، جزء إلى صلب عبد الله فولد النبي (ﷺ) وجزء إلى صلب أبي طالب فولد علياً ثم ألف النكاح فزوج علياً بفاطمة فولدا حسناً وحسيناً (عليهما السلام) .

٢- عن ابن عقده عن محمد بن منصور عن أحمد بن عبد الرحمن عن الحسن بن محمد بن فرقد الأسدي عن الحكم بن ظهير عن السدي في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ قال: نزلت في النبي صلى الله عليه واله وسلم وعلي، زوج فاطمة علياً وهو ابن عمه وزوج ابنته كان نسباً وكان صهراً .

٣- عن أبي بكر السبيعي أخبرنا علي بن العباس المقانعي أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسين أخبرنا محمد بن عمرو أخبرنا حسين الأشقر أخبرنا أبو قتيبة التيمي قال: سمعت ابن سيرين يقول: ﴿فجعلناه نسباً وصهراً﴾ قال: هو .

٤- عن محمد بن سلمة الواسطي قال: حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال: ركب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ذات يوم بغلته فانطلق إلى جبل آل فلان وقال: يا أنس خذ البغلة وانطلق إلى موضع كذا وكذا تجد علياً جالساً يسبح بالخصي فأقرأه مني السلام واحمله على

(١) ينابيع المودة ص ١٣٩ .

(٢) شواهد التنزيل ج ١ ص ٤١٤ كما رواه الطبرسي في مجمع البيان ج ٧ ص ١٧٥ ، والشبلنجي في نور الأبصار ص ١١٢ عن ابن سيرين . غاية المرام ص ٣٧٥ .

(٣) شواهد التنزيل ج ١ ص ٤١٤ .

البغلة وأنت به الي قال أنس: فذهبت فوجدت علياً عليه السلام كما قال رسول الله فحملته على البغلة فأنت به عليه فلما أن نظر رسول الله (ﷺ) قال: السلام عليك يا رسول الله قال: وعليك السلام يا أبا الحسن اجلس فإن هذا موضع قد جلس فيه سبعون نبياً مرسلأ ما جلس فيه احد من الأنبياء إلا وأنا خير منه وقد جلس مع كل نبي أخ له ما جلس فيه من الإخوة احد إلا وأنت خير منه قال أنس: فنظرت إلى سحابة قد أظلتها ودنت من رأسها فمد النبي (ﷺ) إلى السحابة فتناول عنقود فجعله بينه وبين علي وقال: كل يا أخي قلت: يا رسول الله صف كيف علي أخوك قال: أن الله عز وجل خلق ماء تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام واسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم فلما خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب ادم إلى أن قبضه الله ثم نقله في صلب شيت فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتى صار في عبد المطلب ثم شقه الله عز وجل نصفين نصف في أبي عبد الله بن عبد المطلب ونصف في أبي طالب. فأنا من نصف الماء وعلي من النصف الآخر فعلي أخي في الدنيا والآخرة ثم قرأ رسول الله (ﷺ) وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً^(١).

أقول:

لقد كانت هناك حلقة اتصال ورائة النور الإلهي بين النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) من حيث أنها تنتقل في الأصلاب الطاهرة من أب إلى ابن فإن النور الذي وصل إلى عبد المطلب قد انقسم إلى قسمين فصار قسم في عبد الله وقسم في أبي طالب فخرج النبي من عبد الله وخرج علي من أبي طالب وهكذا تتصل بهذه المادة النورانية سلسلة وجود الصفوة كما تكتمل سلسلة ميراث الأنبياء والأوصياء من علوم إلهية هذا النور الخلاب الذي بهر المخلصين والمجتبين فآمنوا إيماناً عجبياً ولقد آمن من قبل الملائكة حين انتقل هذا النور إلى آدم وقد أمر الله آدم أن

ينظر إلى قمة العرش فشاهد تلك الأجسام النورانية المقدسة منعكسة في هذا القدس العظيم
كما تنعكس صورة الوجه في مرآة صافية.



﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

(الشعراء ٢١٤)

١- عن منهل بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن العباس عن، (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا علي أن الله أمرني إن أنذر عشيرتك الأقربين فضيقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أبادتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمتُ عليه حتى جاء جبريل فقال: يا محمد انك الآن تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فأصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجلاً شاةً واملاً لنا عساً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما أمرت به. ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يؤمئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه: أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إلي دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجلست به فلما وضعت تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديعة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ثم قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتى ما لهم شيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وإيم الله الذي نفس علي بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم، فجلستهم بذلك العس فشربوا حتى رويوا منه جميعاً وإيم الله أن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكلمهم بدهر أبو لهب إلى الكلام فقال: لقدما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الغد يا علي أن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن اكلمهم فعذ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم إجمعهم إلي قال: ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربت لهم. ففعل كما فعل بالأسس فأكلوا حتى ما لهم شيء حاجة ثم قال: اسقهم فجلستهم بذلك العس فشربوا حتى رويوا منه

جميعاً. ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم فقال: يا بني عبد المطلب أني والله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: واني لأحدثهم سناً وارمضهم عينا وأعظمهم بطناً واحشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوه، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

٢- عن علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: جمع النبي صلى الله عليه (واله) وسلم من أهل بيته فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا قال: فقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي فقال رجل: يا رسول الله أنت كنت بحراً من يقوم بهذا قال: ثم قال الآخرة، فعرض ذلك على أهل بيته فقال علي عليه السلام أنا^(٢).

٣- جمع رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجذع ويشرب الفرق قال: فصنع لهم مِدّاً من طعام فأكلوا حتى شبعوا قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتى رروا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب. ثم قال: يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيتم من هذا الأمر ما رأيتم فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد فقمت إليه

(١) رواه الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٦٢ . الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤ . شرح الشفاج ج ٣ ص ٣٧ . تفسير

الحازن ص ٣٩٠ . جمع الجوامع ج ٦ ص ٣٩٢ . تاريخ التمدن الإسلامي ج ١ ص ٣١ . حياة محمد

ص ١٠٤ . أنباء نجباء الأبناء ص ٤٦ . كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧ . نهج البلاغة ج ١٣ ص ٢١٠ .

(٢) مسند احمد ج ١ ص ١١١ . كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٦ . بابيع المودة ص ١٢٢ . غاية المرام ص ٣٢٠ .

وكننت اصغر القوم قال: فقال: اجلس قال: ثم قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي وقال: هو أخي وصاحبي في الجنة".

٤- عن عثمان بن مغيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجذ: أن رجلاً قال لـ رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك دون أعمامك قال: جمع رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم بني عبد المطلب فصنع لهم مداً من الطعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس. ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب فقال: يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم وأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه احد فقممت إليه وكننت اصغر القوم فقال: اجلس حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي ثم قال: فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي".

٥- عن علي بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن أبي إسحاق عن البراء قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العُسّ فأمر علياً برجلٍ شاة فأدماها ثم قال: ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم: اشربوا بيسم الله. فشرب القوم حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما أسحركم به الرجل، فسكت النبي صلى الله عليه واله وسلم يومئذ فلم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم انذرهم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل والبشير لما يمحى به أحدكم جنتكم بالدنيا والآخرة فاسلموا

(١) مسند احمد ج ١ ص ١٥٩ . تاريخ الطبري ج ١ ص ٢١٧ . الخصائص ص ١٨ . جمع الجوامع ج ٦ ص ٤٠٨ . ينابيع المودة ص ١٢٢ .

(٢) مسند احمد ج ١ ص ١٩٥ . تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣ . الخصائص ص ٨٦ الحديث ٦٣ . كثر العمال ج ٦ ص ٤٠٨ . ج ١٥ ص ١٠٠ . مجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٢ . الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٧ . كفاية الطالب ص ٢٠٦ الباب ٥١ . غاية المرام ص ٣٢١ الباب ١٥ . الغدير ج ٢ ص ٢٧٩ . ج ٣ ص ١١٧ .

وأطيعوني تهتدوا ومن يواخيني منكم ويوازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني فسكت القوم وأعاد ذلك ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي: أنا فقال: أنت فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمره عليك^(١)

٦- قال رسول الله صلى الله عليه (واله) وسلم: يا بني عبد المطلب أن الله قد بعثنى إلى الخلق كافة وبعثنى إليكم خاصة، فقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وأنا ادعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان: شهادة أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله. فمن يبييني إلى هذا الأمر ويوازرني يكن أخي ووزير ووصي ووراثي وخليفتي من بعدي فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله قال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس فأنت أخي ووزير ووصي ووراثي وخليفتي من بعدي^(٢).

٧- عن علي عليه السلام، قال: أمر رسول صلى الله عليه (واله) وسلم خديجة وهو بمكة فاتخذت له طعاماً ثم قال لعلي عليه السلام: ادع لي بني عبد المطلب فدعا أربعين فقال لعلي عليه السلام: هلم طعامك قال علي عليه السلام فأتيتهم بشريفة أن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، فأكلوا منه جميعاً حتى امسكوا ثم قال صلى الله عليه (واله) وسلم: أسقهم فسقيتهم بإناء هو ري أحدهم فشربوا منه جميعاً حتى صدروا، فقال أبو لهب: لقد سحركم محمد ففرقوا ولم يدعهم فلبثوا أياماً ثم صنع لهم مثله ثم أمرني فجمعتهم فطعموا، ثم قال لهم: من يوازرني على ما أنا عليه ويبييني على أن يكون أخي وله الجنة ؟ فقلت: أنا يا رسول الله

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٢، كما رواه في تفسيره ج ١٩ ص ١٢١. كفاية الطالب ص ٢٠٤. كنز العمال ج ٦

ص ٣٩٢. غاية المرام ص ٣٢٠ الباب ١٥. بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٤٤ مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٦.

(٢) رواه ابن تيمية في منهاج السج ٤ ص ٨٠. والخليفي في سيرته ج ١ ص ٣٠٤.

واني لأحدثهم سنأ واحشهم ساقاً، وسكت القوم ثم قالوا: يا أبا طالب ألا ترى ابنك ؟ قال: دعوه فلن يألو ابن عمه خيراً^(١)

٨- وروى عن أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمعهم في الشعب فصنع لهم رجلاً شاة فأكلوا حتى تضلعوا وسقاهم عساً فشرّبوا كلهم حتى رروا ثم قال: إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وأنتم عشيرتي ورهطي وإن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له من أهله اخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً وخليفة في أهله فأبكم يقوم فيبايعني على أنه أخي ووارثي ووزير ووصي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فسكت القوم فقال ليقوم قائمكم أو ليكونن في غيركم ثم لتندمن ثم عاد الكلام ثلاث مرات فقام علي (عليه السلام) فبايعه واجابه ثم قال: ادن مني فدنا منه ففتح فاه ومج في فيه من ريقه وتقل بين كتفيه وثديه فقال أبو لهب: فبئس ما حبوت به ابن عمك أن أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ملأته حكمة وعلماً^(٢).

٩- عن إسماعيل بن الحكم الرافعي عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: قال أبو رافع: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله (وآله) وسلم بني عبد المطلب وهم يؤمئذ أربعون رجلاً وإن كان منهم لمن يأكل الجذعة ويشربون الفرق من اللبن فقال لهم: يا بني عبد المطلب إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له من أهله اخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً ومنجزاً لعداته وقاضياً لدينه فمن منكم يبايعني على أن يكون أخي ووزير ووصي ومنجز عداي وقاضي ديني فقام إليه، وهو يؤمئذ أصغرهم فقال: اجلس وقدم إليهم الجذعة والفرقة من اللبن فصدروا عنه حتى أنهلهم وفضل منه فضلة فلما كان في اليوم الثاني عاد عليهم القول ثم قال: يا بني عبد المطلب كونوا في الإسلام رؤساء ولا تكونوا اذنباً فمن منكم يبايعني على أن يكون أخي ووزير ووصي وقاضي ديني ومنجز عداي فقام إليه، فقال: اجلس فلما

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) رواه الطبرسي في مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٦ ، كما رواه الثعلبي في تفسيره .

كان في اليوم الثالث أعاد عليهم القول فقام ، فبايعه من بينهم فتغل في فيه ، فقال أبو لهب :
بس ما جزيت به ابن عمك إذا أجابك إلى ما دعوته إليه ملأت فاه بصاقاً^(١).

أقول:

بعد أن اثبت كثير من حفاظ المسلمين وجمع كثير من علماء السنة والأمامية كابن أبي
حاتم والشعبي وابن جرير الطبري في تفسيره الآية في تاريخه ج ٢ ص ٦٣ ، وأبي الفداء في الجزء
الأول من تاريخه وذكره أبو جعفر الاسكافي في كتابه نقص العثمانية في الجزء الثالث ، وابن
حنبل في الجزء الأول من مسنده والحاكم النيسابوري في مستدركه من الجزء الثالث والسيوطي
في الدر المنثور في الجزء الخامس . وقد أرسله ابن الأثير إرسال المسلمين في الجزء الثاني من
كاملة عند ذكره أمر الله نبيه بإظهار دعوته ومن ذكره أيضاً المتقي الهندي في كثر العمال في الجزء
السادس والكنجي الشافعي في كفاية الطالب والحموي الشافعي في كتابه فرائد السطرين
والخازن في تفسيره وابن كثير في كتابه البداية والنهاية في الجزء الثالث والنسائي في خصائصه .
وهذا من أوضح النصوص على إمامته إذ لا معنى لجعله واجب الطاعة على الأكابر من قومه
وبني عمومته إلا انه يريد كونه خليفة عليهم فان كان كذلك فقد وجب أن يكون خليفة في
غيرهم بطريق الأولى.

فحينما جمع النبي (ﷺ) عشيرته الأقربين وبينهم ، عليه السلام وكان أصغرهم سناً .
فقال لهم النبي (ﷺ) : انني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه
فأيكم يوازنني على هذا الامر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم إلا ،
فقال النبي (ﷺ) : أن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم .

((الخاتمة))

انتهى الجزء الأول من كتاب ((علي في القرآن)) بعون الله وتوفيقه - وسيليه الجزء الثاني إنشاء الله تعالى - وهو ثبت جملة من الآيات النازلة والأحاديث الواردة في كرامة أهل البيت عليهم السلام واختصاصها بهم مما شهدها الصحابة والتابعون وتقبلها الحفاظ وحملته الحديث ودونها كبار العلماء من أعلام السنة والجماعة .

لقد كان ، (عليه السلام) دليل القاصدين ومنازلاً للمهتدين وسبيلاً للسالكين وشمساً مشرقة في قلوب العارفين ولايته سبب للنجاة ، وطاعته معرفة للحياة وعدة بعد الممات وعز المؤمنين وشفاعة المذنبين ونجاة المحبين ونور التابعين .

قال النبي (ﷺ) : أني خلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الخوض .

فالنبي والعترة لا يفترقان إلى آخر الدهر ، فهم رأس دائرة الإيمان ، وقطب الوجود ، وسماء الجود ، وشرف الوجود ...

قال جورج جرداق :

((وما ذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن علياً بعقله وقلبه ولسانه وذوي فقاره))

((والله الحمد أولاً وآخرأ))

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- الاحتجاج : أحمد بن علي الطبرسي
- ٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر
- ٣- إسعاف الراغبين : للشيخ محمد الصبان ، بحاشية نور الابصار
- ٤- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني
- ٥- أسباب النزول : علي بن أحمد الواحدي
- ٦- أسد الغابة : لابن الأثير الجزري
- ٧- احياء العلوم : أحمد بن محمد النيسابوري
- ٨- الأصول العامة للفقه المقارن : السيد محمد تقي الحكيم
- ٩- امالي الطوسي : للشيخ الطوسي
- ١٠- أرجح المطالب : عبد الله بامل
- ١١- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية : جورج جرداق
- ١٢- البداية والنهاية : ابن كثير الدمشقي
- ١٣- بشارة المصطفى : للطبري
- ١٤- بحار الأنوار : للمجلسي
- ١٥- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي
- ١٦- تاريخ دمشق : علي بن الحسن بن عساكر
- ١٧- تاريخ الخلفاء : للسيوطي
- ١٨- تاريخ الطبري : محمد بن جرير الطبري
- ١٩- تذكرة خواص الأمة : سبط ابن الجوزي الحنفي
- ٢٠- تفسير ابن كثير : ابن كثير الدمشقي
- ٢١- تفسير الخازن : علي بن محمد الخازن البغدادي
- ٢٢- تفسير البرهان : للبحراني
- ٢٣- تفسير الطبري : محمد بن جرير الطبري
- ٢٤- تفسير البيضاوي : عبد الله بن عمر البيضاوي

- ٢٥- تفسير البخاري : للحسين الفراء البغوي
- ٢٦- تفسير أبي السعود : لأبي السعود العمادي
- ٢٧- تفسير الثعلبي : للثعلبي
- ٢٨- تفسير النيسابوري : للحسن بن محمد النيسابوري
- ٢٩- تفسير الكشاف : محمود بن عمر الزمخشري
- ٣٠- تفسير نور الثقلين : عبد علي بن جمعة الخويزي
- ٣١- تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني
- ٣٢- التوحيد : للشيخ الصدوق
- ٣٣- تفسير الرازي : محمد بن عمر الفخر الرازي
- ٣٤- تفسير النسفي : عبد الله بن أحمد النسفي
- ٣٥- جواهر المقدين : نور الدين السهمودي
- ٣٦- الجواهر في التفسير : طنطاوي بن جوهر المصري
- ٣٧- حياة محمد : محمد حسين هيكل
- ٣٨- حلية الأولياء : أحمد أبو نعيم الاصفهاني
- ٣٩- خصائص النسائي : أحمد بن شعيب النسائي
- ٤٠- الدر المنثور : عبد الرحمن السيوطي
- ٤١- درر السمطين : جمال الدين الزرندي الحنفي
- ٤٢- دلائل النبوة : أحمد بن عبد الله الأصبهاني
- ٤٣- ذخائر العقبى : عبد الدين الطبري
- ٤٤- الرياض النضرة : عبد الدين الطبري
- ٤٥- روح المعاني : شهاب الدين محمود الالوسي
- ٤٦- سمط النجوم : الحافظ السلفي
- ٤٧- السيرة الحلبية : علي بن إبراهيم الشافعي الحلبي
- ٤٨- شرح الشفا : شهاب الدين أحمد بن محمد الحفاجي
- ٤٩- شرح نهج البلاغة : عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي
- ٥٠- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل : الحاكم الحسكاني
- ٥١- صحيح مسلم شرح النووي: الحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري

- ٥٢- الصواعق المحرقة : أحمد بن حجر الهيتمي
- ٥٣- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد البصري
- ٥٤- عمدة الطالب : أحمد بن علي الداودي الحسني
- ٥٥- غاية المرام في حجة الخصام : للبحراني
- ٥٦- الغدير : عبد الحسين الاميني
- ٥٧- فضائل الخمسة من الصحاح الستة: مرتضى الحسيني الفيروز آبادي
- ٥٨- فرائد السمطين : إبراهيم بن محمد بن مؤيد الحموي الشافعي
- ٥٩- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: علي بن محمد الصباغ المالكي
- ٦٠- فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني
- ٦١- فيض القدير : محمد عبد الرؤف المناوي
- ٦٢- كفاية الطالب : محمد بن يوسف الكنجي
- ٦٣- الفضائل : أحمد بن حنبل الشيباني
- ٦٤- كنز العمال : حسام الدين المتقي الهندي
- ٦٥- كنوز الحقائق : محمد بن عبد الرؤف المناوي
- ٦٦- الكامل : لابن الأثير
- ٦٧- كتاب الألفين : للعلامة الحلبي
- ٦٨- لباب النقول في أسباب النزول : عبد الرحمن السيوطي
- ٦٩- لسان الميزان : أحمد بن حجر العسقلاني
- ٧٠- اللئالي المصنوعة : عبد الرحمن السيوطي
- ٧١- لوايح الحقائق : أحمد الاشتياني
- ٧٢- مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن الطبرسي
- ٧٣- المراجعات : عبد الحسين شرف الدين
- ٧٤- مجمع الزوائد : نور الدين الهيتمي
- ٧٥- مشارق أنوار اليقين : الحافظ رجب البرسي
- ٧٦- مستدرک الصحيحين : الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري
- ٧٧- المناقب : لا بن المغازلي
- ٧٨- المناقب : للخوارزمي

- ٧٩- المطالعات في مختلف المؤلفات : محمد علي الحامي
- ٨٠- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي
- ٨١- المعجم الكبير : سليمان بن أحمد الطبراني
- ٨٢- ميزان الاعتدال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
- ٨٣- منهاج السنة : أحمد بن تيميه
- ٨٤- مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري
- ٨٥- مرآة العقول : للمجلسي
- ٨٦- مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون
- ٨٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل الشيباني
- ٨٨- مطالب السؤل : محمد بن طلحة الشافعي
- ٨٩- معرفة علوم الحديث : الحاكم النيسابوري
- ٩٠- نزهة المجالس : للصغوري
- ٩١- نور الابصار : الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي
- ٩٢- وروثة الفردوس : الشيخ عبد الصاحب المظفر
- ٩٣- يتاييع المودة : سليمان بن إبراهيم القندوزي
- ٩٤- دلائل الصدق : الشيخ محمد حسن المظفر
- ٩٥- سيرة الأئمة الاثني عشر : هاشم معروف الحسني
- ٩٦- كشف الغمة : علي بن عيسى الاربلي
- ٩٧- كنز العرفان : للمقداد السيوري
- ٩٨- عقائد الأمامية : الشيخ محمد رضا المظفر
- ٩٩- عبقرية الإمام علي : عباس محمود العقاد

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	الآية القرآنية
٦	حديث نبوي
٧	الإهداء
٩	كلمة الأستاذ الدكتور حسن الحكيم
١١	تقرير السيد حسين أبو سعيدة الموسوي
١٣	المقدمة
	الآيات النازلة حسب ترتيب السور
١٩	اهدنا الصراط المستقيم
٢١	ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين
٢٣	أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون
٢٥	وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
٢٧	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
٢٩	الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون
٣١	وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات
٣٣	أنني جاعل في الأرض خليفة
٣٦	فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
٤٠	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين
٤٣	وأنها لكبيرة إلا على الخاشعين

- ٤٥ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
- ٤٧ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال أني جاعلك للناس
- ٥٠ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً تكونوا شهداء على الناس ويكون
- ٥٣ وإن كانت لكبيرة الأعلى الذين هدى الله
- ٥٦ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة أن الله مع الصابرين
- ٥٨ لبس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . . .
- ٦٠ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد
- ٦٤ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
- ٦٦ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله
- ٦٩ ومثل الذين يتفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم
- ٧١ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً
- ٧٤ الذين يتفقون أموالهم بالليل والنهار سرراً وعلانية فلم أجزمهم عدد
- ٧٧ أن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين
- ٨١ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا
- ٩٠ واعتصموا بمحبل الله جميعاً ولا تفرقوا
- ٩٢ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل
- ٩٥ وسيجزي الله الشاكرين ﴿٩٥﴾ وسيجزي الشاكرين
- ٩٧ ثم انزل عليكم من بعد الفم آية ناساً
- ٩٨ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا
- ١٠٠ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
- ١٠٣ واتقوا الله الذي تسالون به والأرحام

- ١٠٧ ولا تقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيماً
- ١٠٨ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله
- ١١١ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً
- ١١٣ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم
- ١٢١ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
- ١٢٤ ولورودهم إلى الرسول إلى أولي الأمر منهم لعله الذين يستبطنونه
- ١٢٦ قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً
- ١٢٧ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً
- ١٣١ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
- ١٣٤ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
- ١٤١ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته
- ١٤٧ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون
- ١٤٩ ولئن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
- ١٥١ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين
- ١٥١ وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم
- ١٥٦ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
- ١٥٨ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب
- ١٦١ وإذا يكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون
- ١٦٣ واعلموا أن ما غنم من شيء فإن الله خمسة للرسول ولذي القربى
- ١٦٦ هو الذي إيدك بنصره وبالمؤمنين
- ١٦٩ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

- ١٧١ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ إِنَّ اللَّهَ بَرِي
- ١٦٥ أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
- ١٧٩ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ
- ١٨١ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
- ١٨٣ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
- ١٨٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
- ١٨٩ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
- ١٩١ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنَبِّئَ أَفَمَنْ لَا يَهْدِي
- ١٩٣ وَرَسَتْ بَوْنُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ أَيْ رَبِّي أَنَّهُ الْحَقُّ وَمَا أَسْمُ بِمُحْجَزِينَ
- ١٩٥ قُلْ فَضَّلَ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ
- ١٩٨ إِلَّا أَنْ أُولِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
- ٢٠٠ فَلَمَّا تَرَاكَ تَارِكًا بَعْضُ مَا يَرْجُو إِلَيْكَ وَضَاقَتْ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا
- ٢٠٣ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ
- ٢٠٧ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا مِنْ اتَّبِعَنِي
- ٢٠٩ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مَسْجُودَاتٍ وَجَنَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَيْعُ غُلٍّ وَنَخِيلٍ صُنُوفٌ وَغَيْرُهَا
- ٢١٢ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ
- ٢١٦ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ
- ٢١٨ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَا أَجْرُهُمْ
- ٢٢١ قُلْ كُلُّي بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ
- ٢٢٦ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
- ٢٢٩ يَشْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

- ٢٣٠ ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار
- ٢٣٣ واجنبنني وبني ان تعبد الأصنام
- ٢٣٥ ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين
- ٢٣٨ أن في ذلك لآيات للمتوسمين
- ٢٤٠ فوديك لتسألنهم أجمعين
- ٢٤٢ وعلامات وبالعجم هم يحيدون
- ٢٤٤ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم
- ٢٤٦ والذين هاجروا في الله من بعدما ظلموا لنبتونهم في الدنيا حسنة
- ٢٤٨ فأسألوا أهل الذكر ان كُنتُمْ لا تعلمون
- ٢٥١ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً
- ٢٥٤ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب
- ٢٥٥ واستغزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
- ٢٥٩ يوم ندعوا كل اناس بأسمائهم فمن اوتى كتابه يمينه فأولئك
- ٢٦٢ وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
- ٢٦٣ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً
- ٢٦٦ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفوراً
- ٢٦٧ انا جعلنا ما على الأرض زينة لها
- ٢٧٠ هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقاباً
- ٢٧١ وجعلنا لهم لسان صدق عليا
- ٢٧٣ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
- ٢٧٦ واجعل لي وزيراً من اهلي ﴿١﴾ هارون اخي ﴿٢﴾ اشدد به ازري ﴿٣﴾ واشركه في امري

- ٢٨١ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى
- ٢٨٣ ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى
- ٢٨٥ وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها
- ٢٨٨ فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى
- ٢٩٠ إلى الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون
- ٢٩٢ هذان خصمان اختصموا في ربهم
- ٢٩٥ وبشر المخبتين ﴿٢٩٥﴾ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين
- ٢٩٧ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا
- ٢٩٨ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون
- ٣٠٠ قل رب إما تربني ما يوعدون ﴿٣٠٠﴾ رب فلا تجعلني في القوم الظالمين
- ٣٠٣ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
- ٣٠٦ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح
- ٣٠٩ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها
- ٣١١ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون
- ٣١٢ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
- ٣١٥ ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً
- ٣١٨ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً
- ٣٢١ وانذر عشيرتك الأقربين
- ٣٢٧ الخاتمة
- ٣٢٨ المصادر
- ٣٣٢ الفهرست